الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد ٤٠٤ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ ـ يوليو / أغسطس ١٩٩٩ م

توقير العلماء ورقي الأمة

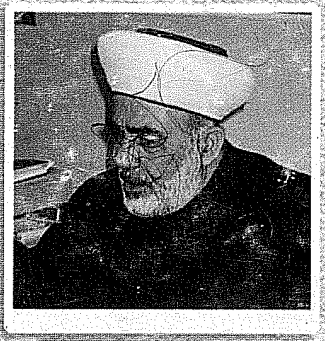

حوار مع
فضيلة مفتي جبل لبنان
الشيخ الدكتور محمد علي الجوزو

الغرب يكتشف رمزيات فلسفية في الفنون الإسلامية

الغزو الثقافي والدور المطلوب لمواجهته

المؤتمر الدولي لبحث دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا

هديتك مع العدد براعم الإيمان

الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة

١٠

د.ك

- بـ ١٠ د.ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

« رواه مسلم »

للاستفسار :

رقم : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع

بيجر : (٩٢٥-٩٢٥٠)

السهم الوقفي

صدقة جارية ... لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

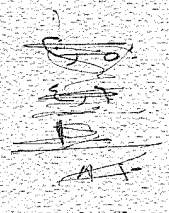

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 404 . السنة الخامسة والثلاثون - ربيع الآخر 1420 هـ - يوليو / أغسطس 1999 م

كلمة العدد

مكانة العلماء

خلال أشهر متلاحقة من هذا العام، فقدت الأمة الإسلامية بعض الأجلاء من أعلامها في علم الفقه والشريعة والثقافة الإسلامية، حيث كانت وفاة سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ولحقه في الشهر الثاني من وفاته ما بين ربيع الأول والآخر عالمان جليلان هما الشيخ علي الطنطاوي، والدكتور مصطفى الزرقاء. ومن الحق ذكر مآثرهما وما لهما من فضل في نصح وإرشاد هذه الأمة وما تركاه من تراث علمي زاخر وقد خصل هذا العدد باختصاص كل منهما بكلمة لأحد الفضلاء، كما احتوى العدد على أمور أخرى تبرز أيضاً دور العلماء، كما نلاحظ في التغطية لمؤتمر موسكو دور المسلمين في تنمية المجتمع الروسي ومقابلة الشيخ الجوزو مفتي جبل لبنان، وقضايا أخرى شرعية وأخلاقية وغيرها، إضافة إلى الموضوعات والأبواب الثابتة، إلا أن الشيء المهم هو الإشادة بالعلماء كما في موضوع إعادة ثقة الأمة بعلمائها، أنسب شيء يتزامن مع هذا الموضوع كذلك الحديث عن المقدسات نحو قدسية بيت الله الحرام.

إن أملنا كبير في أن نقدّم ما يفيد القارئ ويثري المادة العلمية مع الحرص على متابعة الأحداث في إطار التوجيه الإسلامي.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤ ريالات . الإمارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة . الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ١٢٠ أوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما .

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة ـ الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت ـ برقيا نيوزيبر

في العدد

مؤتمرات

المؤتمر الدولي لبحث دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا

15

للمؤتمرات دور أساس في نهضة الفكر والتعريف بدور مهم يقوم به المتفانون في خدمة الدين.

حوار 22

حوار مع فضيلة مفتي لبنان الشيخ الدكتور محمد علي الجوزو

بنفس مشرقة وحرص على إحقاق كل ما يمت للحقيقة بصلة كان الحوار مع الدكتور محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان.

فكر 26

الغزو الثقافي والدور المطلوب لمواجهته

موضوع شغل الغرب قبل الشرق، ويحاول المفكرون شرقاً وغرباً ـ السيطرة عليه من أفكار وممارسات... وقد وفق الكاتب إلى حد كبير في عرض الموضوع ووضع الحلول.

الفهرس

٣	كلمة العدد	التحرير
٤	الفهرس	التحرير
٥	الافتتاحية	رئيس التحرير
٦	أنشطة الوزارة	التحرير
٩	حدث في مثل هذا الشهر	وائل أحمد الهنيدي
١٠	علماء العصر	بدر الحسن القاسمي
١٥	مؤتمرات/ المؤتمر الدولي لبحث دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا	أحمد عثمان
٢٢	حوار/ مع فضيلة مفتي جبل لبنان الشيخ الدكتور محمد علي الجوزو	د. عماد الدين عثمان
٢٦	فكر/ الغزو الثقافي والدور المطلوب لمواجهته	د. علي جاسم الشهاب
٢٩	سياسة شرعية/ ملامح المنهج الإسلامي في الإدارة	أحمد عبدالعظيم
٣٢	دراسات قرآنية / تفسير سورة الفتح	د. محمد طنطاوي
٣٥	أصول فقه/ وسائل العبادات ومقاصدها في التشريع	د. أحمد كريمة
٣٩	أهمية إعادة ثقة الأمة بعلمائها	حسن براق
٤١	قبس من إعجاز القرآن	عقيل محمد العرفي
٤٣	مجتمع/ التعايش مع غير المسلمين	د. سالم البهنساوي
٤٨	الوقف الإسلامي وأثره التنموي والحضاري	موسى البوسعيدي
٥٠	تشريع/ قدسية بيت الله الحرام في القرآن والسنة والفقه الإسلامي	رفعت المرصفي
٥٤	إعلام/ من أجل رؤية مستقبلية للإعلام	عبدالعزيز انسميرات
٥٨	أخلاق/ الصبر... خلق إسلامي وأحد أعمدة العقيدة	محمد عبدالمتجلي
٦٢	فنون/ الغرب يكتشف رمزيات فلسفية في الفنون الإسلامية	د. أمينة خليل
٦٥	قصة/ بهاء الاهتداء	محمد علي وهبة
٦٨	البيت المسلم/ ٨ أخطاء للأهل تنعكس سلباً على الأطفال	حواس محمود
٧٠	الطفل المدلل كيف نتعامل معه	عبدالعزيز أحمد
٧٢	من أسرار الزواج	محمد سلامة جبر
٧٤	ماذا لو كانت الضحية ابنتك أو زوجتك	محمد رشيد العويد
٧٦	الاستهلاك عند الأطفال	د. زيد محمد الرماني
٧٨	لحظات السعادة المفقودة	د. إسماعيل حسب الله
٨٠	الطفل الخجول .. كيف نشجعه ونرعاه	محمد عباس عرابي
٨٣	ترجمات/ العالم بحاجة إلى دبلوماسية إنسانية جديدة	عبدالمنعم أحمد
٨٤	نافذة على العالم	التحرير
٨٧	قصيدة/ وصية شهيد من كوسوفا	منير محمد خلف
٨٨	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩١	جديد الطب والعلوم	تمام أحمد
٩٤	الفتاوى الشرعية	هيئة الفتوى
٩٦	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٨	المرسى/ الأدب الملتزم	عبدالغني أحمد ناجي

توقير العلماء .. ورقي الأمة

الافتتاحية

إذا كان العلم نوراً يهدي النفوس للخير، ويدفع بالأمم والمجتمعات إلى الرقي والتقدم، فإن هذا العلم بمختلف دروبه ومجالاته يحتاج إلى من ينهض به ويعمل له ويدعو إليه، ومَنْ مثل العلماء يقومون بهذا الجهد الكبير والواجب السامي الرفيع، لذلك كان بيان الله سبحانه في كتابه الحكيم مشيداً بالعلماء وفضلهم، قال تعالى في الآية ٢٨ من سورة فاطر: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

وقال تبارك وتعالى في الآية ٣٩ من سورة الزمر: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)، وجاءت أحاديث وتوجيهات المصطفى صلى الله عليه وسلم، مؤكدة لبيان الله سبحانه، قال صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وأعلى عليه الصلاة والسلام مكانة معلم الناس الخير بأن بيَّن حتى الحيتان في البحر تستغفر له إلى غير ذلك من أقواله صلى الله عليه وسلم في فضل طلب العلم وتعليمه نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله به طريقاً إلى الجنة»، وهناك شواهد كثيرة في هذا الموضوع.

إن توقير العلماء وإعلاء مكانتهم ووضعهم في المكان اللائق من حيث التقدير وأخذ المشورة، وتقديمهم وإفساح المجال لهم لتعليم الناس وبث الخير ونشر الهداية لهو من علامات رقي الأمم، وإذا ما قام العلماء بدورهم وأخلصوا عملهم، فإنه مما لا شك فيه سيتبوأ مجتمعهم مكانه الذي يليق به، وسط سائر المجتمعات، وإذا ما أردنا أن نرى أثر العلم في المجتمع الذي يسود به، فلنا أن نتبين الصورة واضحة في مجتمعات غشيها الجهل وعدم الإقبال على التعليم وذلك حسب قول الشاعر:

..... وبضدها تتميز الأشياء

إنه على الرغم من تشعب وتنوع العلوم، إلا أن العلم الشرعي يبقى هو العلم المطلوب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، إذ هو العلم المخدوم حسب تعبير أحد العلماء وإن علوم الدنيا هي الخادمة، باعتبار أن علم الشريعة يحض عليها ويعتبرها من فروض الكفايات كالهندسة والطب وغيرها.

إن مكان العلم في ديننا الإسلامي الحنيف له حكم الوجوب فمن غير ذلك كيف يمكن لنا معرفة أحكام الدين من صلاة وصيام وغيرها؟ ومصداقاً لهذا المعنى كانت الإشادة بالعلماء بأنهم ورثة الأنبياء، وبأن نقصهم بانقضاء آجالهم إحدى علامات الساعة الصغرى، وما حدث في الأشهر الأخيرة من أقدار الله بوفاة علماء أجلاء كالشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ علي الطنطاوي، والدكتور مصطفى الزرقاء، وسبقهم في العام الماضي الشيخ محمد متولي الشعراوي وغيرهم من الفضلاء ممن لم يتيسر ذكرهم، وأن كل ذلك مما يدفع إلى التدبر وصدق الإيمان بقضاء الله وقدره والحرص على الاستزادة من العلم الشرعي والاهتمام به والدعوة إليه.

إنه أمل عزيز أن نقف على مرامي مكانة العلماء وأثرهم في الأمة، فيكون منا واجب التوقير والاحترام وطلب الدعاء والمغفرة لأهل العلم النافع وأن نكون على أثرهم، ففي ذلك الخير والثواب والحياة الطيبة... اللهم آمين.

رئيس التحرير

القناعي : نسعى إلى نشر الثقافة الإسلامية بين جموع المواطنين والمقيمين تحقيقاً لأهداف الوزارة

صرَّح عبدالعزيز بدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية بأن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت تسعى جاهدة لتلبية احتياجات الوزارات والهيئات الحكومية الأخرى من الوعاظ العاملين في إدارة الثقافة الإسلامية، تحقيقاً للأهداف العامة للوزارة وذلك للعمل على نشر الفكر والثقافة الإسلاميين، وصولاً إلى الغاية الاستراتيجية الكبرى، وهي المساهمة في الحفاظ على هوية المجتمع العربي الإسلامية وعلى تماسك وحدته... مع تحقيق التجاوب الفاعل مع العصر الذي نعيشه، وأداء دور إيجابي في حركة نمو المجتمع ومواجهة مشكلاته الأساسية والنهوض به في المجالات كافة.

كما تسعى وزارة الأوقاف إلى نشر الثقافة الإسلامية بين جموع المواطنين والمقيمين على أرض دولة الكويت، هذا وقد نظمت الوزارة برنامجاً للوعظ والإرشاد مع عشر وزارات وهيئات حكومية على مستوى الدولة منها: «وزارة الداخلية، وزارة الصحة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة التربية، وزارة الدفاع، جامعة الكويت، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، إذاعة القرآن الكريم، المشروعات السياحية»، وذلك من خلال خطة للوعظ والإرشاد يقوم بتنفيذها مجموعة من الوعاظ العاملين في إدارة الثقافة الإسلامية.

وأوضح الوكيل القناعي أن الوزارة رشَّحت وعاظاً متميزين في أعمالهم للقيام بهذه المهمة، وستنظم الإدارة اجتماعاً يعقد يوم الأربعاء من كل أسبوع بين الوعاظ والمشرفين على إدارة الثقافة الإسلامية للاطلاع على سير العمل وتذليل بعض العقبات في سبيل إنجاز أعمالهم والتطوير للأداء الأحسن.

● الوكيل المساعد عبدالعزيز بدر القناعي

وأضاف الوكيل القناعي أن عملية الوعظ تتم داخل الكثير من الإدارات على مستوى الوزارات والهيئات المختلفة التي بادرت مشكورة بالتنسيق مع وزارة الأوقاف في هذا المجال لتقديم الدعم اللازم ولإفساح المجال أمام الوعاظ لأداء أعمالهم حيث تسعى الوزارة من خلالها إلى المشاركة في تنمية الروح الإيمانية وتقويم السلوك والحض على العمل والاجتهاد، فعلى مستوى وزارة الداخلية يقوم الوعاظ بإلقاء الدروس على نزلاء سجن أحكام المرور «طلحة» والسجن المركزي، وعلى مجندي قوات الأمن الخاصة، وعلى طلاب أكاديمية سعد العبدالله للعلوم الأمنية «كلية الشرطة» وعلى منتسبي المغاوير، وعلى ضباط وجنود إدارة النجدة.

وبالنسبة لوزارة الدفاع فإن دروس الوعظ والإرشاد تقدم إلى أفراد قوات الدفاع الجوي، والقوة الجوية، الحرس الأميري، سرية الإنذار، المدرسة الفنية، ومجمع الصيانة.

أما بالنسبة لوزارة التربية يقوم الوعاظ بإلقاء الدروس على طلبة البعوث في كل من «السالمية، قرطبة، حولي»، وكذلك لطلاب البعوث في جامعة الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، وقد حرصت الوزارة كل الحرص على التواصل مع الجمهور الكريم وطرق جميع الأبواب والأماكن التي من خلالها تصل الوزارة برسالتها السامية إلى تنمية الفرد والمجتمع... وعلى هذا يلتقي الوعاظ بروّاد المشروعات السياحية، حيث يلتقون برواد نادي الشعب، الجزيرة الخضراء، نادي الفحاحيل، صالة التزلج، شاطئ المسيلة، متنزه جنوب الصباحية، النافورة الموسيقية، وقد روعي أن تكون بعض هذه اللقاءات خلال يومي الخميس والجمعة حتى يكون هناك أكبر عدد من الروّاد في هذه الأماكن السياحية، التي توليها وزارة الأوقاف اهتماماً خاصاً في جانب الوعظ والإرشاد، بالموضوعات التي تتناسب وطبيعة المكان والأنشطة التي تُمارس فيه، وتتم الدعوة من خلالها إلى الترابط الأسري، وتربية الأبناء، وقضاء الوقت بما هو مفيد، وتجنيب الأبناء المخاطر وأهمية رقابة الأسرة والمتابعة لهم.

كما يلتقي الوعاظ بنزلاء «الطب النفسي» مكتب الإدمان في الأندلس خلال أيام الأسبوع وبالتعاون مع وزارة الصحة، قامت إدارة الثقافة الإسلامية بالترتيب لإيجاد مكتب توجيه داخل هذه المؤسسة التي تتحمل المسؤولية تجاه آثار تعاطي المخدرات.

ويختتم الوكيل القناعي حديثه موضحاً أن جميع الوعاظ من الكويتيين حريصون على مجتمعهم وراغبون في الإسهام في تنميته.

وقد قامت الإدارة بتكليف موجهين يقومون بزيارة الواعظ في أثناء عمله للتقييم وتسجيل جميع الملاحظات الفنية والإدارية، حيث يتم مناقشتها في الاجتماع الأسبوعي الذي تعقده الإدارة. ■

لجنة النشء بجمعية الإصلاح تكرِّم الفائزين بحفظ القرآن الكريم

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب، أقامت لجنة النشء الإسلامي في جمعية الإصلاح الاجتماعي الحفل الختامي للمسابقة الذهبية الكبرى السادسة لحفظ القرآن الكريم، بالتعاون مع صندوق التكافل.

وقد ألقى الدكتور عادل الفلاح كلمة نيابة عن راعي الحفل جاء فيها: إنني أتشرف بتكريم ثلة من شبابنا الناشئة الحفّاظ لكتاب الله الكريم، ولا شك أن الناشئة شريحة مهمة في المجتمع، فهي اللبنة التي سيقوم على أكتافها مستقبل هذا البلد، فلا تبنى الأوطان ولا تتقدم الأمم إلا بسواعد أبنائها الحاملين لكتاب الله، وهم أولى بذلك، ونظراً لتوجه الدولة نحو بناء جيل صالح وحرصاً منها على هذه الشريحة الأساسية، فقد أقيمت المسابقة الذهبية لحفظ القرآن الكريم، ثم ختم كلمته بشكر لجنة النشء على اهتمامها بالناشئة. ثم تحدث بعد ذلك مزعل الرندي رئيس لجنة النشء الإسلامي فقال: إننا نحتفل اليوم بتوزيع جوائز المسابقة الذهبية الكبرى لحفظ القرآن الكريم للسنة السادسة على التوالي، تلك المسابقة التي احتضنت خلال السنوات السابقة ستة آلاف ناشئ من مختلف محافظات الكويت مما يدل على اهتمام أولياء الأمور من آباء وأمهات بحسن تربية أبنائهم على كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - والبحث لهم عن مواطن الخير والعزة والكرامة، وتقدم بالشكر للحضور وعلى رأسهم الشيخ عبدالله المطوع والدكتور خالد المذكور وأولياء الأمور، والصحافة المحلية. ■

● الدكتور عادل الفلاح يكرِّم أحد الفائزين.

● لقطة جماعية للمكرمين.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تحتفل بالمولد النبوي الشريف

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب، أقامت الوزارة احتفالاً لمناسبة المولد النبوي الشريف، والذي أقيم في قاعة المحاضرات في المسجد الكبير، واستضافت الوزارة المستشار د. حسن الحفناوي، الذي ألقى محاضرة في هذه المناسبة، تكلّم فيها عن أخلاق الرسول ﷺ مع أهل بيته بخاصة والناس عامة.

وقد حضر الحفل كبار موظفي الوزارة من الوكلاء المساعدين ومديري الإدارات. ■

المؤتمر الثالث للجاليات الإسلامية

● الوكيلان المساعدان القناعي والفلاح يكرمان أحد المشاركين

تحت رعاية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد خالد الكليب أقامت الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت فعاليات المؤتمر الثالث للجاليات الإسلامية، وذلك يوم الجمعة ٤ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ١٨ يونيو ١٩٩٩م. أقيم الحفل في صالة فجحان المطيري في نادي القادسية.

بدأ الحفل بعد صلاة المغرب، واستهل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، أعقبها كلمة ممثلي الجاليات الإسلامية في دولة الكويت، ثم مشهد تمثيلي، فأنشودة دينية بعدها، وُزعت الجوائز على الفائزين. وفي الختام قام المدعوون بزيارة الركن الشعبي الخاص بكل جالية من الجاليات، ثم ختم الاجتماع بحفل عشاء لأعضاء الجالية المدعوين. وهذا من ضمن الأنشطة التشجيعية الدائمة في الكويت للتواصل المستمر مع أبناء الجاليات الإسلامية. ■

● لقطة جماعية للمشاركين.

● القناعي والفلاح مع ثلة من السفراء وبعض موظفي الوزارة

تعليم: وائل أحمد الهيتي

ربيع الآخر

نقف في هذا الشهر مع نظام السرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إلى القبائل حول المدينة... التي كانت تعيش - قبل الإسلام وبعده بفترة وجيزة - حال اللاحرب واللاسلم - حسب ما تمليه عليه مصالحهم المادية وأعني بها تلك الثروات الطبيعية من كلأ وزروع وتجارة، أو رعونات الثأر والعداوة، لأسباب تمليها عليهم أخلاق فاضلة من حيث هي مثل حماية المال والشرف، وحفظ العزة والمنعة، ولكنها تشهد - في تلك الحقبة - انحرافات غريبة، وتطورات مشوهة لمعانٍ سامية راقية، قلَّ أن يوجد مثلها في غيرهم من الأمم. فتجد حرباً عاتية تستمر سنوات، بسبب ناقة دخلت وهي ترعى الكلأ إلى حمى أحد زعماء القبائل، فتدوس خطأ على وكر قُبَّرة، ويراها فلا يتمالك نفسه غضباً لهذه القبّرة التي افترض سلفاً أنها طلبت حمايته - فيرمي بسهمه هذه الناقة فيصيبها في ضرعها فتموت بعد حين، هذه الناقة كانت لزعيم قبيلة أخرى، عزَّ عليه أن يجترئ أحد على ناقته، ويقوم - ثأراً لهذه الناقة - بغزو يستمر سجالاً عشرات السنين!!

كانت السرايا في عهد النبي - ﷺ - ذات هدف سام وبأسلوب مقصود، لم تعهد العرب مثله من قبل.

لم تكن تلك السرايا لمتابعة ثأر قديم أو تصفية وجود، وإن كانت - في ظاهرها - تعترض قوافل قريش التجارية، أو توجه إلى غيرها من القبائل فتعود بعضها بغنائم من الإبل والغنم، فقد كانت تهدف إلى معنى جديد لم يتعوده العرب حينها، وهو نشر الدعوة أولاً، ثم فرض الحماية لكيان المجتمع الجديد الذي نشأ في المدينة تحت راية الإسلام ثانياً، لتؤصل بذلك صورة من صور الجهاد القتالي الذي يهدف بالدرجة الأولى كما ذكرنا آنفاً إلى الدعوة حسب مقتضى الحال، التي يفرضها الموقف، وهو هنا بث الهيمنة التي يحتاج إليها الدعاة حماية لدمائهم فتبقى مصونة محفوظة وما يدل على ذلك ما حدث في السرية التي بعثها رسول الله - ﷺ - إلى بني ثعلبة، وأمّر على هذه السرية محمداً بن مسلمة - رضي الله عنه -، وكان معه عشرة من الرجال، «فكمن القوم لهم - وقد كانوا مئة من بني ثعلبة - فلما ناموا - أي المسلمين - قتلوهم إلا محمداً بن مسلمة ﷺ، فإنه أفلت منهم جريحاً»(١).

إن هذا التصرف من بني ثعلبة يعدُّ غدراً واستهانة لا يقبلها الرسول - ﷺ - وهو الحاكم - لمبعوثيه وسراياه، فأمر أربعين رجلاً من الصحابة بالخروج إليهم ليؤدِّبوهم، وأمَّر عليهم أبا عبيدة ابن الجراح - ﷺ - فساروا ليلتهم مشاة، ووافوا بني ثعلبة مع الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم، وغنموا نعماً وشاء»(٢).

فيعود أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - وقد أرهب بني ثعلبة وأدّبهم على فعلهم المشين حين غدروا بأصحاب رسول الله - ﷺ - فقتلوهم نياماً، ونجاحه في هذه المهمة يهز قلوبهم خوفاً من تكرار فعلهم الغادر، وبث الرعب في القبائل حولهم من غدرة أخرى قد تسوّل لهم نفوسهم الاستمراء عليها.

وبعث رسول الله - ﷺ - بسرية غيرها في هذا الشهر من العام السادس للهجرة، وأمَّر عليها زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى ماء لبني سليم يسمى «الجموم» في مر الظهران، وفي هذا الحادث موقف يجدر أن نقف عنده قليلاً.

يذكر أصحاب السير أن زيداً بن حارثة رضي الله عنه أصاب في هذه السرية امرأة من مزينة، يُقال لها حليمة، فدلت السرية إلى محلة من بني سليم، أصابوا فيها نعماً وشاء وأسرى، «فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزينية نفسها وزوجها»(٣). فلم يدخلهما في الرق.

ترى ما الذي يمكن أن يجعل امرأة من مزينة على شركها تدلُّ زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى ذلك المكان الذي اختاره بنو سليم؟، ربما لأنه أستر على أموالهم وأعراضهم، ربما كانت قد فعلت ما فعلت لثأر قديم أمَّلت أن تأخذ منه بنصيب، وربما وقر في نفسها الإيمان ولم تستطع أن تجهر به خوفاً من أهلها، وربما وربما... ولكن الذي يستوقفنا هو مَنُّ رسول الله - ﷺ - عليها وعلى زوجها، مكافأة لها على ما فعلت، فهذا هو ما يدلّ عليه سياق القصة، وذلك ليدلنا الرسول الكريم - ﷺ - على تيسير كل سبل الإفادة من جميع الظروف وتشجيع ما يخدم السياسة الخارجية والداخلية بما لا يخرم مروءة ولا يدنس سمعة.

هذا... وفي جمادى الأولى لنا وقفات أمام أحداث أخر، نستشرفها ونستلهم منها الفائدة لتضيء حياتنا بمصابيح الهدى وسبل السلام من هدي النبي المصطفى ﷺ. ■

الهوامش:

١ - ٢ - ٣ - من كتاب الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - ص٣٠٧.

بقلم : بدر الحسن القاسمي

فجعت الأمة الإسلامية بعلمين عظيمين من أعلام علمائها خلال أسبوعين متلاحقين، أولهما الشيخ علي الطنطاوي . رحمه الله . الداعية الإسلامي الكبير الذي يسلب بحديثه القلوب والألباب، والثاني المؤلف العظيم وصاحب القلم المبدع في رسم أركان الفقه في مؤلفاته العظيمة التي لن تجد نظيراً لها بين الكتب.

إنها فاجعة كبرى ومصاب أليم ألمَّا بالأمة الإسلامية وما يخفف مصابنا أن رسل الله سبقوهما إلى رحاب الله، ولكن نتمنى على الله أن يعوضنا خيراً منهما.

هذان الرجلان رحمهما الله كانا نجمين ساطعين من أنجم العقيدة الإسلامية، آمنا بالله حق إيمانه، فأنارا الطريق لمن ضل سواء السبيل، التف حولهما الناس من العلماء والبسطاء، لما لهما من دور فعّال في المعرفة والعلم، والشيخ بدر القاسمي جزاه الله خيراً يخط بقلمه مقالين عن هذين الرجلين ليترجم مآثر وفضل كل منهما لما لهما من فضل وأياد بيضاء على الإسلام والمسلمين، يرحم الله الفقيدين ونرجو الله أن يعوض الأمة الإسلامية خيراً منهما ليبقى نور العقيدة ساطعاً وضاء تُنار به القلوب وتبصَّر به العقول، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

العلامة الفقيه الكبير الدكتور :

مصطفى أحمد الزرقا

لم يمض أكثر من أسبوعين على نعي الشيخ الأديب العبقري النابه علي الطنطاوي حتى جاءنا خبر وفاة العلامة الفقيه الدكتور مصطفى أحمد الزرقا بتاريخ ١٩٩٩/٧/٣م في مدينة الرياض بعد حياة دامت نحو قرن من الزمان، وتميزت حياة هذا الإنسان العالم بإنتاج فقهي غزير لم يسبق إليه أحد من أقرانه.

كان الدكتور الزرقاء أحد أركان الفقه الإسلامي وأصوله في هذا العصر، وبوفاته سقط هذا الركن وحدثت ثلمة في قلعة العلم لا يوجد أحد في الساحة يستطيع أن يسدها.

ولد الشيخ الزرقاء في العام ١٩٠٧م في مدينة حلب الشهباء في بيت علم ودين عريق، فوالده هو الشيخ أحمد بن محمد الزرقاء من أعلام الفقهاء في الشام، بدأ حياته التعليمية في كتاتيب القرآن عند الشيخ محمد الحجار وتعلم الكتابة والقراءة وتلاوة القرآن والحساب، ثم التحق بمدرسة الفرير الفرنسية في مدينة حلب، وتعلم مبادئ اللغة الفرنسية، وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى وإغلاق المدرسة الفرنسية انتقل إلى المدرسة الرشيدية، ثم إلى الثانوية الشرعية التي كانت انشئت حديثاً وإلى جانب التعليم النظامي واصل مع والده دروسه في الفقه والحديث في الجامع الكبير بحلب وجامع الخير وفي المدرسة الشعبانية وكان يدرس فيها حاشية ابن عابدين وشرح الزيلعي وصحيح الإمام البخاري مع الطلاب الكبار الذين كانوا يأخذون العلم عن والده العلامة الشيخ أحمد - رحمه الله - وقد اضطر إلى زيادة ثلاث سنوات في عمره حتى يتمكن من الالتحاق بمرحلة البكالوريوس فهو في الحقيقة من مواليد ١٩٠٧م وليس ١٩٠٤م، كما هو مدّون في الأوراق الرسمية الخاصة به، كتب

عنه الشيخ الراحل المحدّث عبدالفتاح أبو غدة واصفاً إياه بالعلامة الكبير أستاذنا الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء وذلك ضمن ترجمة والده فقال: «أما الذين تفقهوا به من الخاصة فهم كثيرون جداً يبلغون المئات وظهر منهم فقهاء أفذاذ، يعتبر بعضهم من كبار فقهاء هذا العصر اللامعين وفي مقدمهم نجله العلامة الأديب الأريب شيخنا فقيه العصر البارع والضليع الشيخ مصطفى الزرقاء صاحب المؤلفات البديعة والآثار العلمية الرفيعة. وهذا أشهر من أن يعرّف به ولو لم ينجب الشيخ غير هذا الفقيه لكفاه فخراً وذكراً، وكان الشيخ مصطفى مصاحباً لأبيه أحمد في دروسه كلها، كما كان مصاحباً له في المنزل والمقام، ولما بلغ من طلب العلم والتفقه مبلغاً حسناً، يسأل ويناقش في المسائل الفقهية العويصة بحذق ومعرفة: تعلق به قلب والده الشيخ أحمد - رحمه الله - للمدارسة والمذاكرة معه، وفي كل الأحيان حتى أنه أمره أن ينام بقربه في الليل وطلب إلى والدته أن تنام في غرفة أخرى، لكي يتسنى له محادثته ومناقشته فيما يعرض له من خواطر في المسائل الفقهية الدقيقة، وبهذا قد رقّه الفقه والعلم رقّاً».

انظر كتاب «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي» ص٩٤-٩٥.

ولذا يمكن أن يُقال إنه ولد بحلب ودرس العلوم الشرعية على يد والده وشيوخ عصره وتفوق فيها، كما درس الحقوق والآداب في الجامعة السورية وبعد تخرجه فيها عُيِّن أستاذاً للحقوق المدنية والشرعية في كلية الحقوق العام ١٩٤٤م، وبقي بها حتى بلغ سن التقاعد في العام ١٩٦٦م، وانتخب عضواً في مجلس النواب السوري في دورتين شرعيتين، وتولى وزارة العدل والأوقاف، ومن أهم إنجازاته تأسيس مناهج عدد من الجامعات العربية منها: كلية الشريعة وأصول الدين في الأزهر، وكلية الشريعة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكلية الشريعة في جامعة دمشق، ومن أشهر مؤلفاته: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، المدخل الفقهي العام، وأحكام الأوقاف، وعقد التأمين وموقف الشريعة منه، كما ألف المدخل في القوانين المدنية وله مئات من البحوث التي تعالج مشكلات وقضايا معاصرة، حاز جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية العام ١٩٨٤م، ومن مآثره الخالدة تأسيس مشروع الموسوعة الفقهية في دولة الكويت، وإلى جانب تدريسه في الجامعة الأردنية كان عضواً فعّالاً في عدد من المجامع الفقهية كمجمع الفقه الإسلامي بجده ومجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن.

ويقول عن إنجازاته: «في هذه المرحلة وفقني الله لإخراج سلسلتين من المؤلفات، أولاهما السلسلة الفقهية، وعنوانها العام (الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد)، وهو في أربعة مجلدات، وقدر الله لهذا المؤلَّف البقاء والذيوع فهو مرجع للتدريس في جامعة دمشق إلى يومنا هذا، وفي الجامعة الأردنية وغيرها من الجامعات ويعتبر من المراجع المعتمدة لدى القانونيين والشرعيين والأساتذة المدرسين في جامعة دمشق، ولا سيما النظريات الأساسية في الفقه الإسلامي».

هذه السلسلة بما تنطوي عليه من التجديد في أسلوب عرض الفقه وتبسيطه قد أوضحت المعقد من القضايا الفقهية، التي كانت تستعصي على غير طلاب الفقه حتى باتت بمتناول أفهام غير ذوي الاختصاص.

أما السلسلة الثانية فتتألف من ثلاثة مجلدات في شرح القانون المدني السوري، الذي حلّ محل مجلة الأحكام الملغاة بالقانون المدني العام ١٩٤٩م، حيث عرضت فيها النظريات القانونية الوضعية بصورة مبسّطة، ويقول: «ولم أجر فيها على غرار ما يفعله الكثيرون من القانونيين العرب، إذ يأخذون المصادر الأجنبية ثم يترجمونها حرفياً، بل سلكت مسلكاً حراً في شرح القانون وفي عرض أحكامه ونقدها .. وقد أودعتها آراء وبحوثاً قد تخالف آراء أولئك القانونيين الذين نقلوها بمحض التقليد للأجانب في مصر وغيرها.

وفي آخر العام ١٩٦٦م، فكرت وزارة الأوقاف في الكويت أن تتبنى هذا المشروع العلمي العظيم، فاستطلعت رأي شخصيات عديدة في البلاد العربية، ثم وقع اختيارها عليَّ، فاستعارتني من جامعة دمشق لأكون خبيراً في الموسوعة الفقهية لتنفيذ هذا المشروع لديها، وقمت بتأسيس جديد لسير العمل والاستكتاب فيه مدة خمس سنوات أنجزنا خلالها ما يعادل ربع المشرع كتابة .. وكنت قد قدّرت لهم أن يخرج في ثلاثين مجلداً، وفي أثناء وجودي في الكويت أنجزنا معجماً للفقه الحنبلي من كتاب المغني لابن قدامة المقدسي، على غرار معجم الفقه الظاهري من كتاب المحلى لابن حزم والذي أنجزناه في دمشق».

ويقول عن الاجتهاد: «كنت في طليعة الذين فكروا وكتبوا في موضوع الاجتهاد الجماعي منذ ثلاثين عاماً وقد وجد القناعة المنشودة ولله الحمد ومن ذلك أن السيد محمد سرور الصبان رحمه الله قد طلب إليَّ وضع مشروع ونظام لإنشاء مجمع فقهي فوضعته وقدمته إليه في بيروت، وللمجمع دورة سنوية في مكة يتدارس فيها البحوث المقدمة إليه ويقرر ما يرى، وقد قدمت إليه بحوثاً عدة هي الآن قيد النظر، منها بحث ضاف عن المصارف ومعاملاتها والفوائد التي تتعامل على أساسها والحكم الشرعي فيها ومنها أيضاً بحث عن التلقيح الصناعي البشري وأطفال الأنابيب وهو من أهم قضايا الساعة .. ولهذا كله صلة وثيقة بقضايا الاجتهاد الجماعي».

رحم الله الفقيه الراحل الشيخ الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء وأسكنه فسيح جناته

وبعد أن انتهيت من الحديث عن الدكتور الزرقاء رحمه الله سأردف الحديث بكلمة عن أحد أدباء العربية المرحوم الشيخ علي الطنطاوي.

كلمة عن الأديب والداعية

الشيخ علي الطنطاوي

حيث فقدت الأمة الإسلامية أيضا بوفاة الأديب الأريب والداعية الجليل علماً من أعلامها الفضلاء الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ بتاريخ ١٩٩٩/٦/١٩م في مكة المكرمة عن عمر يناهز ٩٢ عاماً، ذلك العالم من أبرز الشخصيات الإسلامية، وألمع الكتاب والأدباء في هذا القرن، والذي ترك لنا بصمات واضحة على حركات التعليم والإصلاح الديني والاجتماعي في البلاد العربية، فقد عُرف ببعد نظره وغزارة إنتاجه الأدبي والفكري، فالشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ اسم ظل لامعاً منذ العقد الثالث من هذا القرن في الصحف والمجلات، ثم على موجات الأثير من خلال برامجه الإذاعية وعلى شاشات التلفاز من خلال إبداعاته تحت عنوان «نور وهداية» و«على مائدة الإفطار».

كان الشيخ الطنطاوي أديباً من الطراز الأول، غيوراً محافظاً على سلامة اللغة، كاتباً قديراً، متحدثاً موهوباً يأسر القلوب والألباب ويأخذ بمجامعها، ولد الشيخ الطنطاوي في دمشق العام ١٣٢٧هـ في أسرة علمية دينية، فكان أبوه وجده من كبار العلماء في دمشق، كما أن أمه من أسرة آل الخطيب الشهيرة في مصر، والشيخ محب الدين الخطيب خاله، تخرج في الحقوق وفي الآداب، كما تعلّم في كلية دار العلوم بمصر، وكان رفيقاً للشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ اشتغل في مجال التعليم في سورية والعراق، تقلد مناصب القضاء في دمشق وكان له دور كبير في تدوين قانون الأحوال الشخصية في سورية، وإعداد كتب المناهج الدراسية، وقد أبلى بلاء حسناً في مقاومة الاستعمار الفرنسي، إلى جانب ذلك ظل مالئاً الدنيا وشاغل الناس من خلال كتاباته الأدبية والفكرية الرصينة في مجلات الرسالة والزهراء والفتح والمسلمون وحضارة الإسلام إلى جانب كتاباته اليومية وأعمدته في الصحافة، وفي العام ١٩٦٣م هاجر إلى المملكة العربية السعودية واستقر بها واستنار بجو الحرم المفعم بالإيمان فأنار الأفكار من خلال برامجه الإذاعية والتلفزة المتنوعة، إلى جانب تدريسه في كلية اللغة وكلية الشريعة الإسلامية، وكان له برنامج خاص في رمضان في التلفاز «على مائدة الإفطار»، كان الشيخ الراحل عالماً جليلاً وأديباً بارعاً ومتحدثاً قديراً، جمع بين الفكر الإسلامي الرصين والأسلوب الكتابي الأخاذ والإلقاء المؤثر الخلاب إلى جانب قوة الشخصية وجرأته في القول والشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عاش الشيخ الطنطاوي حياة حافلة بغزارة الإنتاج وقوته، فقد كان له السبق في إعداد أدب الأطفال، كما كان من الرواد الأوائل في كتابة القصص الهادفة وإعداد الأدب المسرحي الحواري، أما غيرته على اللغة العربية فلا يكاد أحد يجاريه فيها من الموجودين، كان شديد النقد للأسلوب السائد في المجلات والصحف والإذاعة والتلفاز، بل في قاعات التدريس، حيث يسود اللحن، وله مئات المقالات والبحوث في هذا المجال، كما أن له نحو خمسين مؤلفاً من أبرزها: «تعريف عام بدين الإسلام، رجال من التاريخ، فكر ومباحث، من حديث النفس، عمر بن الخطاب، الصديق أبو بكر، كما شارك في تحقيق وتهذيب صيد الخاطر لابن الجوزي، وما كتبه من مقدمات عن كتب المعاصرين هي نفسها تحفة أدبية قيمة، وذكريات الشيخ الطنطاوي تاريخ عصر كامل وموسوعة ثقافية وفكرية وأدبية ممتازة.

لقد أبدع الشيخ الطنطاوي في بيان مراحل حياته وما شهد

من أحداث وتطورات منذ نعومة أظفاره إلى أن تجاوز الثمانين، ومن المعروف أن نبوغ الشيخ كان مبكراً في مجال الكتابة وكان لديه شعور بما يملك من موهبة خارقة في هذا المجال فاتصل بالكاتب الروائي الشهير معروف الأرناؤوط، وعمل معه مدة خمسة أشهر وارتبط بمجلة فتى العرب، وذلك في العام ١٩٣٠م، وبعدها عمل في جريدة «ألف باء». ثم في جريدة «القبس» و«الأيام» السوريتين» كان هدفه النضال ومقاومة الاستعمار الفرنسي آنذاك. وكان يهاجم الانتداب الفرنسي من خلال كتاباته فيلهب مشاعر الجماهير من خلال خطبه الحماسية.

أصدر مجلة شهرية باسم «البعث» وكانت أول مجلة إسلامية تصدر في سورية إلا أنها لم تدم طويلاً. انتقل إلى القاهرة تلبية لدعوة خاله الأستاذ محب الدين الخطيب الذي كان يصدر مجلتين باسم «الزهراء» و«الفتح» حيث شارك في تحريرهما إلى أن توقفتا.

عاد الطنطاوي إلى دمشق، ومارس مهنة التدريس في كل من بيروت، وبغداد، والموصل، ولعل أوضاعه المالية وضيق ذات يده مع مسؤولياته العائلية الضخمة الجأته إلى تغيير خط سيره في الحياة فانضم إلى سلك القضاء وعلى الرغم من انقطاعه فترة غير قصيرة عن دنيا القانون والحقوق، إلا أنه نجح في مجال عمله الجديد وتدرّج فيه إلى أن أصبح مستشاراً في محكمة النقض بدمشق والقاهرة.

ففي العام ١٩٦٣م بعدما تغيرت الأوضاع في مسقط رأسه انتقل إلى المملكة العربية السعودية، واشتغل فترة في مجال التدريس بكلية اللغة والشريعة، ثم انقطع للعمل في مجال الإعلام وظل محط الأنظار والأسماع طوال ٢٥ عاماً، من خلال برامجه الإذاعية والتلفازية، فقد امتلك قلوب المستمعين وعقولهم، حيث كان الناس ينتظرون حديثه بلهفة واشتياق، ورغم هذا لم يتعود على الإعداد المسبق، بل كان يرتجل الحديث ارتجالاً، وكانت أحاديثه تخرج سلسلة بليغة من غير أن يتلعثم أو يلحن في الإلقاء، ولم يكن التعبير يخونه في الإفصاح ببراعة عما في صدره، وهذه موهبة ربانية تميز بها الشيخ الطنطاوي.

فأسلوب الطنطاوي إلى جانب وفرة عطائه وغزارة إنتاجه يتميز بأنه أدبي رفيع، لا تعقيد فيه ولا التواء في أداء الأفكار، حيث اللغة طيعة بين شفتيه، تأتيه التعبيرات الأدبية الجميلة طيعة منقادة في عبارات عذبة صافية تقنع العقول وتهيج المشاعر وتأسر القلوب. وكم هو صادق في وصف قلمه حيث يقول: «قلم إن شئت لان في يدي حتى ليخشن معه الحرير وإن شئت صلب حتى يلين إلى جنبه الحديد، إن أردته هدية نبت شقه الزهور وقطر منه العطر. وإن أردته رزية حطمت به الصخر وأحرقت الحجر، قلم كان عذباً لقوم وعذاباً لقوم آخرين».

مؤلفاته:

ظهر أول كتاب له في العام ١٩٣٠م كان يحمل اسم «الهيثميات»، وقد أهداه إلى روح الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي حيث وصفه «بسيد كُتّاب العصر» وذلك قبل أن يحتك بأدباء العصر «كالرافعي» و«الزيات» و«العقاد» و«المازني» وآخرين كما ظهرت له رسائل صغيرة تحت عنوان «رسائل الإصلاح».

وله قصص من التاريخ، ورجال من التاريخ، وحكايات من التاريخ، وأعلام التاريخ، وفصول إسلامية، وصور وخواطر، ودمشق، ومن نفحات الحرم، وحديث النفس، ومقالات في كلمات، و«ذكريات» وفتاوى في أجزاء عدة، هذه الكتب تتجلى فيها شخصيته بوضوح في أسلوب أدبي قصصي جميل يمثل أدباً إسلامياً رفيعاً ويزخر بمعلومات أدبية. وكفى بالطنطاوي مكانة في الأدب أن يجاري أعلام الأدب العربي كالعقاد والمازني، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، ومصطفى صادق الرافعي. عمل مع الزيات في مجلة «الرسالة»، التي كانت من أكبر المجلات الأدبية وأقواها آنذاك، وكانت كتاباته تفوق في كثير من الأحيان مقالات هؤلاء العمالقة كما يشهد بذلك نقاد الأدب العربي والمنصفون من الأدباء والمؤرخين.

خلاصة القول:

إن حياة الراحل الشيخ علي الطنطاوي كانت حلقات متصلة من الكفاح ضد المستعمر والدفاع عن الدين وخدمة اللغة والأدب، فقد كان عالماً فقيهاً وأديباً بارعاً، وخطيباً مفوهاً وناشراً مبدعاً، وثائراً على الظلم والظالمين، وهب حياته وقلمه ولسانه للذود عن المثل العليا التي يؤمن بها ويدعو إليها هادفاً الخير والحق والصدق والجمال.

وقلمه كان ينفث سحراً وينثر درراً، ويصف بلده دمشق فيقول:

«فأي مزاياك يا دمشق أذكر وفيك الدين وأنت الدنيا وعندك الجمال وعندك الجلال وأنت ديار المجد وأنت ديار الوجد، جمعت عظمة الماضي وروعة الحاضر».

ويتحدث عن ذكرياته فيقول: «ذكرياتي حملتها طوال حياتي وكنت أعدها أغلى مقتنياتي لأجد فيها نفسي وأراجع فيها أمسي».

من حق هذا الأديب الأريب أن يخلّد ذكره ويدرّس فكره وأدبه. رحمك الله يا شيخنا رحمة الأبرار وأسكنك فسيح جناته.

انتقاده قراء بعض أعلام عصره

قوله رحمه الله عن الشيخ الشعراوي:

كان من طبع الطنطاوي ألا يبخس حق عالم وبخاصة إذا عرفه ولا يسكت على خطأ إذا انكشف لديه مهما بلغت مكانة من وقع منه الخطأ، يقول في مقدم كتاب «لمحات في مباحث علوم القرآن» للدكتور محمد لطفي الصباغ.

«وكنت أرجو أن يشير إلى الشيخ «الشعراوي» وما أعطاه الله من موهبة في الكلام في التفسير وفي وجوه الإعجاز وأنه يجيء بما لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، وإن كانت له كما يكون لكل إنسان زلات كادعائه أن الهواء جزء من الأرض لقوله تعالى

(سيروا في الأرض) ولم يقل (سيروا عليها)، وإن كان هذا استدلال، فالقاعدة أنه لا عبرة بالدلالة في مقابلة النص، والله قد نص في كتابه على: (والسحاب المسخّر بين السماء والأرض)، ومعلوم أن السحاب في الهواء، فكان ذلك نصاً على أن الهواء ليس من الأرض على أن أصل الاستدلال غير مسلّم، فإذا نازعك جارك وادّعى أنك تسير على أرضه، قلت له: بل أنا أسير في أرضي، فلا فرق في الاستعمال بين قولي «سرت في الأرض» و«سرت على أرضي»، وإلا فهم من قولنا «يسير في الأرض» أنه يحفر فيها جحراً ويدخل في باطنها كالجرذان.

ومما يؤخذ عليه إلى أن آزر عم إبراهيم - عليه السلام - وليس أباه، كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين، لتأثير الإسرائيليات عليهم، وهذا القول لا سبيل إلى قبوله بعد أن صرّح الله بقوله: (وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر)(١)

قوله عن الشيخ ابن باز

يقول مخاطباً الشيخ محمد محمود الصواف حول رده على الشيخ ابن باز في مسألة إنكار دوران الأرض:

أخي الأستاذ الصواف:

«رحبت فيما سمعت عن عزمك على طبع ما كتبته في موضوع (دوران الأرض)، لا لأن فيه رداً على مقال الشيخ الجليل ابن باز، بل لأن أعداء الإسلام استغلوا ذلك المقال وعلّقوا عليه تعليقات، ملأت الصحف الأميركية والأوروبية، نالوا فيها من الإسلام بالباطل، فوجب الدفاع عن الإسلام بالحق، وبيان أن الذي كتبه الشيخ ابن باز رأي له، قد يكون له قبول عند بعض العلماء، ولكنه ليس حكم الإسلام القطعي في هذه المسألة، وجمهرة علماء المسلمين على خلافه.

والشيخ ابن باز عالم جليل، ولكنه لم يدّع لنفسه ولا ادّعى أحد له العصمة من الخطأ، وما من العلماء إلا مَن ردّ ورُدّ عليه.

ثم إن المسألة أكبر من المجاملة، وأجلّ من أن تدخل في تقدير الأمور الشخصية، ولو أن الشيخ ابن باز رأى مقالة لأقرب صديق إليه، وأجلّ عالم عنده، وتيقّن أن فيها ما يجانب الحق، لما منعته صداقته له ولا إجلاله إياه، من أن يردّ عليه، وأظنه لا يجرم غيره حقاً يراه هو لنفسه».(٢)

قوله عن المرحوم الشيخ الزرقاء:

للشيخ علي الطنطاوي آراء فقهية ومجموعة فتاوى في مسائل وقضايا كانت تعرض عليه وهو قاض وفقيه كما هو كاتب وأديب.

قرأ أن مجلس المجمع الفقهي في المملكة اتخذ قراراً في مسألة التلقيح الصناعي جاء فيه أن أم الولد التي ترثه ويرثها هي التي أخذت البيضة منها، «وينبه على أن الكلمة الصحيحة هي البيضة وليست البويضة» وأن التي حملته وولدته تعتبر كالأم من الرضاعة استناد إلى الدراسة التي قدمها الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقاء.

ويقول معلقاً على قراء المجمع ومناقشاً الفتوى الصادرة عن المجمع:

١ - إن الشيخ مصطفى أخي وصديقي ورفيقي في كلية الحقوق، درسنا فيها معاً وتخرجنا فيها معاً سنة ١٩٣٣م أي منذ اثنتين وخمسين سنة قمرية، وهو فقيه فقه رواية، وفقه دراية أبوه فقيه وجده الشيخ محمد فقيه وابنه الدكتور أنس فقيه، فهذه سلسلة الذهب ومجلس المجمع فيه علماء كبار أجلاء، ولكن هذا لا يمنع أن أخالفهم، وأن أذهب غير مذهبهم والمدار على الدليل.

٢ - لقد قرروا أن المرأة التي حملت الجنين وولدته ليست أمه التي ترثه ويرثها، واستدلوا على ذلك بأن البيضة من المرأة الأخرى، فالقاعدة الشرعية، وأخونا الأستاذ الزرقاء له بحث في شرح هذه القواعد، والقاعدة تقول: إنه لا عبرة بالدلالة في مقابل التصريح، وقد صرّح في كتابه بأن أم الولد هي التي ولدته، وسلك إلى ذلك أقوى طرق القصر وهي النفي والإثبات فقال: «إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم) أي أنه ينفي الأمومة عن التي لم تلد الولد.

٣ - الأم هي الوالدة، وهما كلمتان مترادفتان، والوالدة كما هو معروف اسم فاعل من ولده يلد، فكيف تكون والدته حقيقة ولا تكون أمه شرعاً؟

٤ - والله يقول: (لا تضار والدة بولدها) ومعلوم أن الحقيقة هي المقدمة على المجاز والوالدة حقيقة هي التي ولدت فكيف سماه الله ولدها ويقرر المجمع أنه ولد غيرها وأن أمه الحقيقية التي ترثه ويرثها هي المرأة الأخرى التي لم تلده!

٥ - والله يقول: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان) فالذي يرث المرأة هو الطفل الذي ولدته فصارت بذلك والدته الحقيقية، لا التي أخذت البيضة منها.

٦ - والله يقول (والوالدات يرضعن أولادهن) ومعلوم أن التي ترضع الولد هي التي ولدته، ولو كانت البيضة من غيرها.

٧ - والله يقول (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) فبين أن التي تحمل الولد وتضعه هي أمه».

رأي الطنطاوي عن الحداثة

يقول مخاطباً الشاعر الكبير ضياء الدين الصابوني: «وأحمد الله أن جنّبك داء الحداثة وأراك الطريق، وسيّرك على البيضاء النقية، وأبعدك عن هذا الدنس الذي ظاهره التجديد وحقيقته محاربة التوحيد، ويضيف: ومالك والطريق المظلم وأنت الضياء وكيف يمسّ شعرك الدنس وأنت «الصابوني». ■

الهوامش:

١ - مقدمات الطنطاوي ص ١٢٧ - ١٣٨.

٢ - ص ١٢٠.

٣ - الإنجاب في الإسلام نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط.

كتب : أحمد عثمان

بإشراف لجنة مسلمي آسيا في الكويت والإدارة الدينية بموسكو

المؤتمر الدولي لبحث دور المسلمين في النهضة الروحية لروسيا

ستظل الأوساط الثقافية والفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية تتحدث لفترة طويلة عن حدث لم يسبق له مثيل في الأوساط الروسية، بعد النجاح الكبير الذي حققته الكويت من خلال لجنة مسلمي آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والدكتور عادل عبدالله الفلاح، في المؤتمر الإسلامي العالمي الذي عقد في العاصمة موسكو أخيراً، تحت شعار (دور المسلمين في نهضة المجتمع الروسي) بالتعاون مع الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من ورسيا.

وقد أظهر المؤتمر دور الكويت الحضاري والإنساني والإسلامي، كأفضل عمل دبلوماسي في المرحلة الراهنة، استطاعت الكويت من خلاله أن تؤكد ثوابتها الدائمة في السلام ومساعدة الآخرين، وتعزيز التعايش السلمي بين الأديان، والتآخي والتعاون والتكاتف بين المسلمين من جهة، وبين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى، بعيداً عن الخلافات والفتن التي تشكل عواقب وخيمة في مسيرة التقدم التي يسعى إليها المسلمون في روسيا.

الدكتور الفلاح

أهدافنا بناء الإنسان المسلم وغرس قيم الخير والفضيلة والمواطنة والتعاون والتعايش مع الجميع

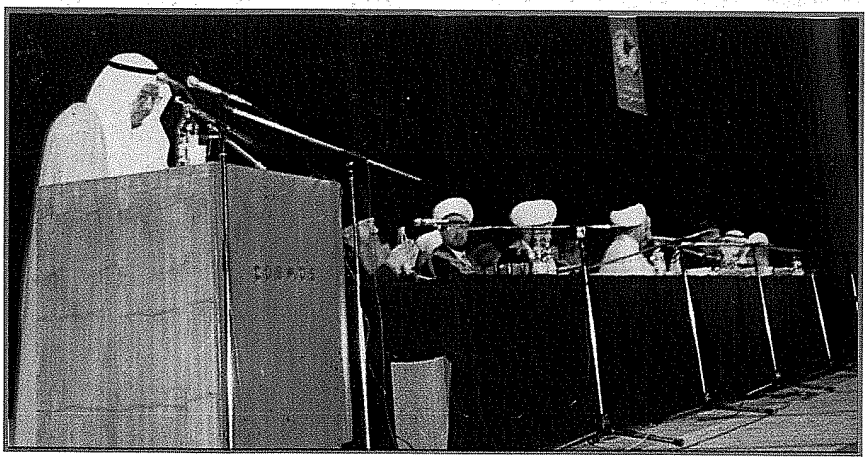

● الدكتور عادل الفلاح يلقي كلمته.

وقد شهد افتتاح المؤتمر وللمرة الأولى هذا الكم الهائل من الرسميين والإعلاميين، وحشد كبير من المهتمين، حيث بعث الرئيس بوريس يلتسين ممثله الخاص، وكذلك رئيس الحكومة سيرجي ستيباشين، ورئيس البرلمان غينادي سيليزنيوف، ووزير الداخلية الكسندر روشايلو، كما حضر عدد كبير من مسؤولي مؤسسات الدولة والمنظمات الاجتماعية.

وبعث خادم الحرمين الشريفين بتحياته للمشرفين على أعمال المؤتمر، كما شارك في المؤتمر الذي عقد في قاعة المؤتمرات في فندق كوسموس وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف، ووزير الدولة رمضان عبدالطيفوف، ووزير شؤون القوميات فيكتور ميخايلوف، ومحافظ موسكو يوري لوجكوف.

وقد شاركت وفود إسلامية وعربية من الكويت والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية وقطر ومصر ولبنان وليبيا وتركيا وإيران وبريطانيا والولايات المتحدة الأميركية ويوغسلافيا وبلدان أخرى، إلى جانب ممثلي أكثر من ٥٠ مقاطعة ومدينة روسية.

ويأتي هذا المؤتمر احتفالاً لمناسبة مرور ٩٥ عاماً على إنشاء المسجد الجامع، وعلى مرور الذكرى الخامسة على تأسيس الإدارة الدينية في موسكو.

وإلى جانب أهمية المناسبتين اللتين تزامنتا مع عقد المؤتمر، فإنه جاء في وقت تشهد فيه

● د. صالح الراشد رئيس تحرير الوعي الاسلامي في الجلسة الافتتاحية وإلى جانبه بعض الحضور

الدكتور المذكور

على مسلمي روسيا دور في بناء وطنهم بالخير والاطمئنان ومواكبة تطورات العصر وبناء المجتمع على المحبة والألفة

الساحة الدينية الروسية جولة أخرى من الصراع بين الإدارات الدينية حول تزعم المسلمين في روسيا بعد النشاط الكبير الذي بذلته الهياكل الدينية الروسية من أجل توحيدها في مركز واحد، (هو مجلس المفتين الواقع مقره في موسكو)، حيث أظهر الاهتمام الذي أولته الجهات الرسمية والاجتماعية لهذا المؤتمر، وكثرة مندوبي الدول الإسلامية، بأن الكفة بدأت تميل بشكل حاسم إلى مجلس المفتين في موسكو، الذي استطاع أن يوحد الإدارات المختلفة، وأن ينبذ الخلافات ويحلها.

كلمة رئيس المفتين

وقد ألقى سماحة الشيخ راوي عين الدين رئيس الإدارة الدينية للقسم الأوروبي من روسيا ورئيس مجلس المفتين كلمة افتتح بها المؤتمر، قال فيها:

إن هذا المؤتمر مكرس لذكريين عزيزتين، الأولى مرور ٩٥ سنة على تأسيس المسجد الجامع في موسكو، والثانية مرور ٥ سنوات على إنشاء الإدارة الدينية للقسم الأوروبي في روسيا الاتحادية، وخلال الـ٩٥ سنة التي تفصل بين هاتين الذكريين جرت الكثير من التغييرات في حياة المجتمع الروسي ومواطنيه، وقد لمست هذه التغييرات بصورة جذرية مصير مسلمي روسيا ومنظماتهم.

ولكننا نحتفل بهما معاً، وفي ذلك مغزى عميق لأن المسجد الجامع هو الذي أصبح

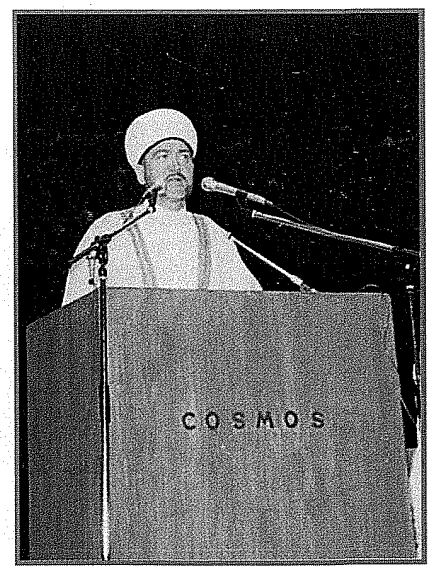

● مفتي فرنسا يلقي كلمته في المؤتمر.

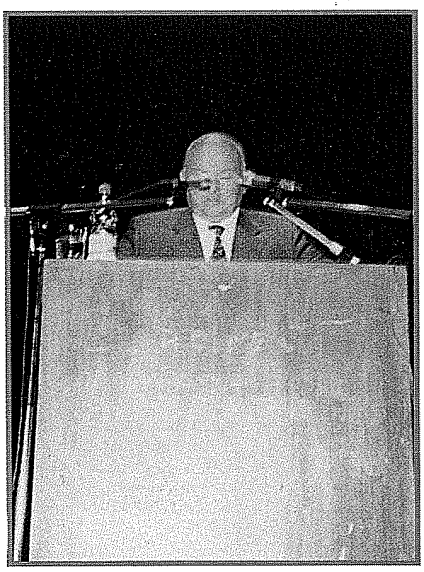

● محافظ موسكو يلقي كلمته في المؤتمر.

أساساً للإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي لروسيا الاتحادية، ولم يكن المسجد الجامع في موسكو أول مسجد في المدينة، بل كان ثاني مساجد المدينة.

إن ظهوره في مركز موسكو في أوائل القرن كان مرتبطاً بالنمو السريع في ظروف روسيا القيصرية، حيث كان الإسلام ضد الديانات المقبولة، والكنيسة المسيحية الروسية كانت مسيطرة وذات أولية.

واليوم يتذكر الأحفاد بجزيل الشكل والامتنان والتقدير أُناساً تم بفضل جهودهم بناء هذا المسجد وتشغيله، ومن هؤلاء الأشخاص التاجر الأول يرزن، وأحد مواطني موسكو باكيروف، والتاجر البولاتوف من منطقة قسيموروه، وإمام المسجد عليموف رحمهم الله جميعاً.

ومنذ الثلاثينات ظل المسجد الجامع في موسكو المسجد الوحيد ليس في موسكو وحسب، بل في منطقة أوسع منها بكثير، ذلك لأن السلطة السوفييتية ولأسباب مختلفة، لم تتعامل معه مثلما كانت تتعامل مع آلاف المساجد الأخرى التي تم إغلاقها ونزعها من المسلمين.

وأكد المفتي عين الدين أنه منذ بداية إعادة البناء وثمّ التغييرات الديموقراطية نهضت في كثير من مدن روسيا المركزية الجماعات الإسلامية العاملة، وهكذا أصبح المسجد الجامع في موسكو أساساً لهذه الجماعات، ووسيلة لتوحيدها، وتأسيس المركز الديني وهو الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من روسيا.

نحن في خدمة الإسلام نتعامل مع نفوس الناس، ونؤثّر على عقولهم ومعاملاتهم، وتوجهاتهم في الحياة، إن هذا الأمر في غاية الأهمية وذو مسؤولية كبيرة، وكما نعتقد أن نجاح أي نشاط ولا سيما المرتبط بالحياة الروحية للجماعات الكثيرة من الناس من دون معالم واضحة ودون تحديد الأهداف والمهام بصورة سليمة، ودون مراعاة بعض العوامل المهمة والمبدئية بالنسبة لمصير المسلمين والمجتمع بأسره، وهذه القضايا هي:

أولاً: أن نهضة الإسلام جزء من النهضة الروحية للمجتمع الروسي بكامله، كما أنها نهضة لجميع الديانات التي يوجد أتباعها

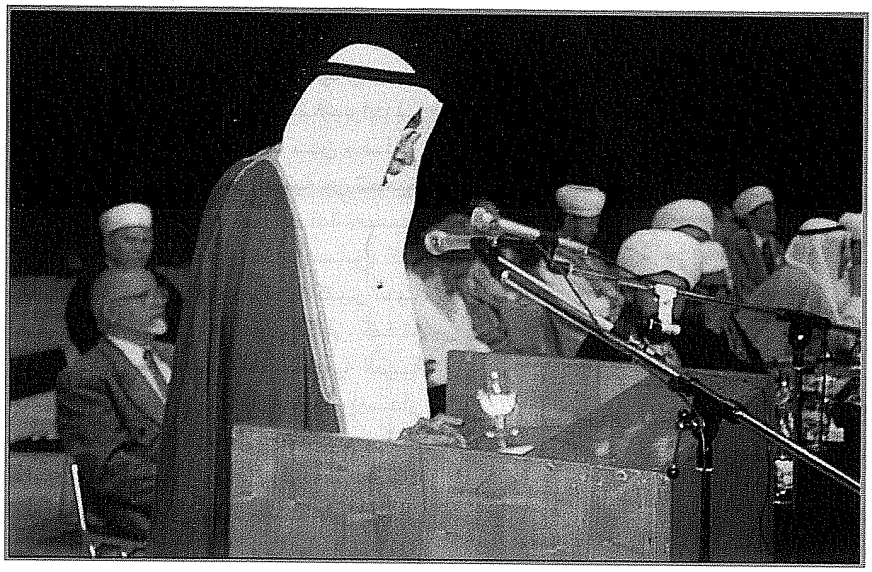

● الدكتور خالد المذكور يلقي كلمة الوفود.

المفتي عين الدين

علينا مسؤولية جبارة لإعداد المسلمين للقرن الجديد

في روسيا، وهناك أكثر من ٣٠ قومية يختلف بعضها عن بعض من حيث السكان وتمثل الشعوب الإسلامية القاطنة في روسيا، والمسلمون في روسيا على امتداد القرون يشعرون بالتأثير الإيجابي من قبل ممثلي الديانات الأخرى، ولا سيما من قبل المسيحيين، ولكنهم أيضاً كان لهم تأثير ملحوظ على الشعوب غير الإسلامية، حيث لعبوا دوراً بارزاً في تشكيل البعد الروحي للبلد، وإن هذه الترابطات رسّخت وازدادت خلال العقود الأخيرة.

ولشعوب روسيا أهداف مشتركة، فازدهار شعب واحد يتوقف بصورة جذرية على وضع الشعوب الأخرى، لذلك، فإن مستقبل البلد ونجاحه يتوقفان على وحدة جميع شعوب روسيا على الرغم من الاختلافات الدينية، ونحن رجال الدين المسلمين علينا أن نعمل على تطوير وتعزيز هذه الوحدة.

ثانياً: إن مؤتمرنا مكرّس لإحياء ذكريين ذكرى المسجد الجامع في موسكو، وذكرى تأسيس الإدارة الدينية ولكننا إذا تحدثنا عن مهماتنا المستقبلية، تحضرني بصورة واضحة الذكرى الثالثة التي لابد من ذكرها وهي اختتام القرن واختتام الألفية الثانية، وبداية القرن والألفية الثالثة الجديدة.

ويعلّمنا الله تعالى نحن المسلمين أن نعيش ونتعلم لمراعاة التغيرات المستقبلية، وأن نكون مستعدين لمواجهة التطورات المقبلة في حياة المجتمع وشخصية الإنسان، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) الحشر:١٨.

وأكد المفتي أن أطفالنا وأحفادنا إن شاء الله تعالى سيشهدون ما سيحققه القرن الجديد من تغيرات وحياة جديدة في عصر التكنولوجيا وعصر المعلومات، والتغيرات الديموقراطية اللاحقة، حيث سيصبح العالم مفتوحاً بشكل كبير، ومن هنا علينا مسؤولية جبارة، وهي تقديم مساعدة للمسلمين لإعداد حياتهم للقرن الجديد، وعلينا أيضاً أن نساعد المسلمين للحصول على الطمأنينة، وليجدوا مكاناً مرموقاً في ظروف جديدة وفي عالم سريع التغيرات.

والقرآن الكريم يساعدنا في ذلك، وقد ورد فيه: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:١١.

ثالثاً: إن التغييرات المقبلة لها أهمية كبيرة لإعداد الناس، ولمواجهة هذه التغيرات في رأينا يجب أن يكون منطلقاً لتقدير العملية

التي نسميها نهضة الإسلام.

فخلال العشر سنوات الأخيرة وبفضل إرادة الله تعالى، ثم بفضل التغيرات في الحياة الاجتماعية، تمكنا نحن مسلمي روسيا بوساطة المنظمات الدينية من تحقيق أشياء كثيرة، حيث تمت إعادة تعمير المساجد التي كانت موجودة من سابق، كما بنّينا آلاف المساجد الجديدة، والكثير منها تعمل كمدارس دينية للأطفال والكبار، كما تم افتتاح الكثير من المؤسسات التعليمية الدينية الخاصة بإعداد رجال الإسلام، وإصدار بعض الصحف والكتيبات، إضافة إلى برامج إذاعية وتلفازية حول الإسلام وإقامة علاقات دولية واسعة النطاق، وقد عملت على إرسال الآلاف من المسلمين لأداء مناسك الحج في مكة المكرمة.

وأشاد المفتي عبدالدين بدولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً، وبلجنة مسلمي آسيا، على الجهود التي تُبذل لخدمة الإسلام والمسلمين في روسيا ورعايتهم، وتقديم العون الثقافي والخيري لهم وذلك، لتأدية شعائرهم الدينية بشكل صحيح وسليم بعد سنوات الإلحاد الماضية.

كلمة وزير الخارجية

وألقى وزير الخارجية الروسي خطاباً أكد فيه أن روسيا لا تنازع الإسلام كدين، بل تسعى أسوة بالكثير من الدول - بما فيها الإسلامية - إلى قطع الطريق على التطرف.

وقال: «إن هذا المؤتمر يعقد في أحرج فترة يمر بها السلام العالمي، والذي وصل إلى مفترق الطرق»، حسب تعبير الوزير الروسي، وبين وصول الإنسانية إلى العدالة بين الشعوب أو الفرقة والتنافر والمجابهة الدائمة.

وحاول وزير الخارجية الروسي في كلمته تصحيح نظرة الدول الإسلامية من موقف روسيا المرتبط بأزمة البلقان، مشيراً إلى أنه ينحصر في معارضة موسكو حل هذه المشكلة باستخدام القوة، ولا وجود أساساً لاتهامها بمعادة المسلمين والألبان.

كلمة وزير الدولة

وتحدث وزيرالدولة الروسي رمضان عبدالطيفوف، والمكلف بالملف القومي عن ممارسة الإسلام ودوره الكامل في الحياة الاجتماعية والسياسية الروسية، وفي ثقافة

الكويت حققت إنجازات متميزة على المستويين الرسمي والشعبي وأبرزت دورها الحضاري والإنساني

البلد، واستعرض المشاكل التي يواجهها الإسلام في الفترة التي تشهد فيها روسيا صحوة دينية.

كلمة الدكتور عادل الفلاح

وقد ألقى رئيس مجلس إدارة لجنة مسلمي آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الدكتور عادل عبدالله الفلاح الكلمة التالية:

من دولة الكويت، دولة المحبة والخير والسلام، أنقل إليكم تحيات إخوانكم هناك، أميراً وحكومة وشعباً، كما أنقل إليكم تحيات

الجميع يؤكد أن المؤتمر قفزة نوعية في العمل الخيري لم يسبق له مثيل

إخوانكم في لجنة مسلمي آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وأقدّم جزيل شكري للإدارة الدينية في جمهورية روسيا الاتحادية، ولكل من أسهم في هذا المؤتمر من أجل إنجاحه فللجميع مني الكشر والتقدير، وجزاهم الله كل خير.

أيها السادة: إن عنوان مؤتمرنا هذا يتطابق تماماً وتطلعات أهداف لجنة مسلمي آسيا التي تعمل على مد جسور التواصل الفكري والمعرفي والثقافي مع المسلمين في قارة آسيا، وفي مقدمهم مسلمو روسيا وآسيا الوسطى والقوقاز، وبناء الإنسان المسلم فيها، وغرس قيم الخير والفضيلة والمواطنة، وفي هذا السبيل أنجزت اللجنة الكثير من المشاريع الثقافية، وأقامت الكثير من المؤتمرات والندوات، وحاولت بكل إمكاناتها المتواضعة أن تركز في أدبياتها على ترسيخ المفاهيم الوطنية البناءة في نفوس المسلمين، ولهذا فإنني أشكر الإدارة الدينية في روسيا على اختيارهم الموفق لعنوان المؤتمر من أجل تعزيز المسيرة الوطنية للمجتمع الروسي، والمساهمة في حركة البناء الحضاري في روسيا، بحيث يتجاوز المسلمون مرحلة التعايش وتقبل الآخرين لمرحلة التعاون والتكامل، وصولاً إلى مرحلة النهضة والتنمية الشاملة للأمة الروسية، وهذا ما لمسته من برنامج الإدارة الدينية ومنطلقاتها المستقبلية، وعملها الرائع وإسهاماتها الوطنية مع الآخرين في معالجة كثير من القضايا في روسيا، ومنها محاربة

● الدكتور عادل الفلاح يشكر محافظ موسكو على مشاركته وحضوره المؤتمر.

الجريمة والإدمان والمخدرات، والسعي إلى تحقيق الأمن والأمان، ومعالجة التفكك الأسري، والعمل على تنشيط العلاقات مع العالم الإسلامي، واتخاذ الكثير من الخطوات الطيبة لإثراء دائرة المعرفة الإنسانية، وتنفيذ الكثير من الأعمال الخيرية والتنموية.

أيها السادة: صحيح إن تطبيق وتنفيذ مثل هذه البرامج يحتاج إلى جهود شاقة ومضنية ومكثّفة، لأن إنزال الأحكام على الواقع بشكل علمي وموضوعي من أصعب الأشياء، لكن بالإخلاص والعمل والسلوك الجاد والتفاني ونسيان الذات، لابد أن يوصلنا إلى تحقيق ما نصبو إليه من أهداف نبيلة.

أيها السادة الحضور: أشكركم على حرصكم على مناقشة مثل هذه المفاهيم الوطنية النبيلة، وآمل أن تعقد مؤتمرات وندوات أخرى في المستقبل لترسيخ وتأصيل هذا الموضوع من كل جوانبه.

كلمة الوفود

وعن الوفود الأجنبية ألقى الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت الكلمة التالية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: السيد مندوب ديوان الرئاسة في جمهورية روسيا الاتحادية، أصحاب الفضيلة رؤساء الإدارات الدينية والمفتين والعلماء، أصحاب المعالي الوزراء، أصحاب السعادة السفراء، أيها لحفل الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فيسرني ويسعدني أن أنوب عن إخواني وفود الدول التي قدمت للمشاركة في هذا المؤتمر الإسلامي العالمي، الذي يوافق مرور الذكرى الخامسة والتسعين على إنشاء المسجد الجامع، والذكرى الخامسة لإنشاء الإدارة الدينية، شاكرين لكم حسن استقبالكم وكريم ضيافتكم، سائلين الله تعالى أن يكلل جهودكم بالنجاح والتوفيق، وأن يكون هذا المؤتمر مقدمة للقاءات أخرى عالمية، تبين دور المسلمين الفعّال في قضايا وطنهم الاقتصادية والتربوية والاجتماعية

● مفتي موسكو ورئيس التحرير في قاعة المؤتمرات.

وغيرها.

أيها الإخوة الكرام: إن الإسلام دين يأمر بالخير والألفة والمحبة والتراحم وبذل المال للمحتاجين، ويدعو إلى هذه الأمور من خلال الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلن، وأنه مطلع على خفايا القلوب وما تكنه السرائر، فهو يدعو إلى العقيدة الراسخة إيماناً بالله وتصديقاً بأنبيائه كلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبكتبه التي أنزلها على رسله.

ويربط الإسلام ربطاً محكماً بين هذه العقيدة وهذه الأخلاق الفاضلة والسلوك الحميد ظاهراً وباطناً في المحبة والإخلاص والأمانة والوفاء والصدق، وغيرها من الصفات والمزايا الأخلاقية.

ولا يكون المسلم مسلماً صادق الإيمان إلا إذا تخلى عن الصفات الذميمة وتحلى بالصفات والأخلاق الحميدة، ويعامل كل الناس على اختلاف دينهم وعقيدتهم بهذه الصفات لا يفرق بين مسلم وغير مسلم، لأنه يبتغي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة: إن روسيا وهي تنهض من جديد وتعود إلى الصلة الروحية بالله سبحانه وتعالى، فإن على مسلميها دوراً كبيراً في هذه النهضة الروحية، وتأثيراً كبيراً في بناء وطنهم على أسس ثابتة من الخير والاطمئنان، آخذين سماحة الإسلام بشائر الخير، ومن سعة الشريعة الإسلامية مواكبة لتطورات العصر، ومن أخلاق الإسلام الفاضلة بناء المجتمع على المحبة والألفة.

كلمة محافظ موسكو

وقد ألقى محافظ موسكو رئيس البلدية يوري لوجكوف كلمة كانت الطابع الذي يتميز به كسياسي بارز في الساحة السياسية الروسية، وأحد أقرب المرشحين للفوز بمنصب الرئاسة الروسية، وتناول في حديثه الذي استمر ساعة كاملة، العمق التاريخي للإسلام في روسيا متعددة القوميات، مؤكداً أن الإسلام ظهر في روسيا قبل المسيحية، واعتبر ذلك من العلامات التي أثرت في تاريخ المنطقة.

وأعطى لوجكوف مثالاً عن التسامح الديني والتآخي بين الأديان الذي عاشته روسيا على مر العصور بالمرسوم الملكي الذي أصدرته ايكاترينا الثانية في القرن الثامن عشر، أكدت فيه أن التسامح الديني يعتبر أساس التعامل بين أبناء روسيا.

وأشار إلى أنه يوجد في موسكو ١٤١ قومية ينتمون إلى ٢٧ طائفة دينية، وفي هذا الوضع لابد من أن تكون سياسة الدولة والمجتمع مبنية على أساس التعايش السلمي والوفاق بين الجميع، لأن الله تعالى خلق الناس من أمم وشعوب كثيرة، واعتبر ذلك الركيزة التي تحكم أبناء المجتمع الروسي.

وأبدى لوجكوف في رأيه بشأن الأزمة في البلقان وقال: إنه لقي ترحيباً خلال لقائه

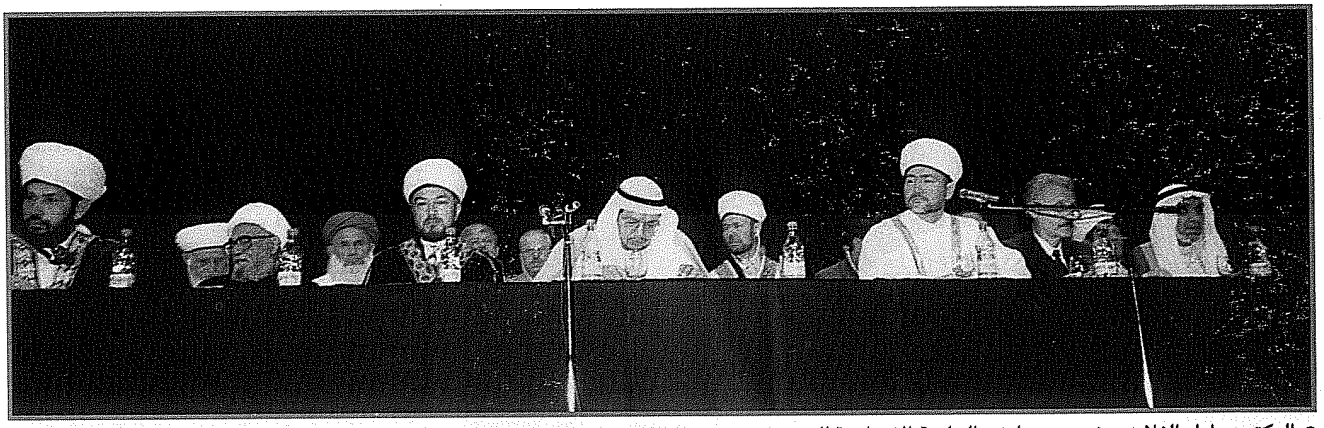

● الدكتور عادل الفلاح ومفتي روسيا في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

بالرئيس الفرنسي جاك شيراك وبابا الفاتيكان، ورئيس الوزراء الإيطالي والمستشار الألماني، ويتلخص بضرورة إيقاف قصف يوغسلافيا، وإعادة الألبان الكوسوفيين إلى ديارهم، وحل الأزمة بالطرق السلمية، واعتبر أن الخلافات لا توجد بين الشعوب، بل هي من فعل السياسيين فقط، لأن الشعوب عاشت لظروف طويلة في سلام ووئام.

وتحدث في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر أيضاً رئيس منظمة العلاقات الثقافية والإسلامية في إيران آية الله محمد تسخيري، وألقى القائم بأعمال سفارة المملكة العربية السعودية علي جعفر كلمة ممثل الهيئات الدبلوماسية لسفراء الدول العربية والإسلامية في موسكو، نقل فيها تحيات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، وتمنياته بنجاح المؤتمر.

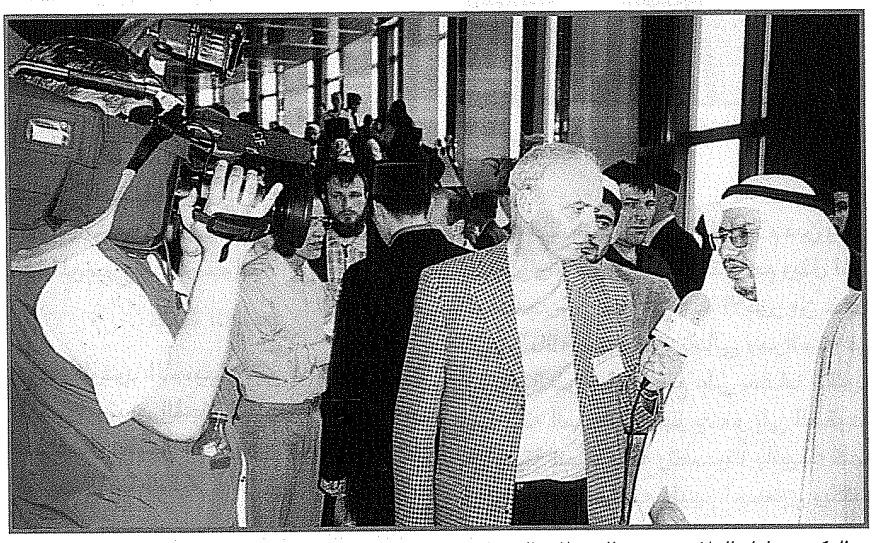

● الدكتور عادل الفلاح يتحدث للمحطات الفضائية.

أبحاث المؤتمر

وفي اليوم الثاني للمؤتمر جرت المناقشات في محاور عدة، حيث ناقش رئيس جامعة موسكو الإسلامية الدكتور مراد مرتضى مسألة «مكانة ودور رجال الدين المسلمين في المجتمع الروسي» وأشار خلال بحثه إلى الدور الملقى على رجال الدين في المرحلة الحالية وكيفية إعدادهم ليؤدوا دورهم المناط بهم في هذه المرحلة الحرجة، وفي هذا العصر بما يتوافق ومعطيات القرن الجديد.

وعلق على ذلك الإدارة الدينية لمسلمي تتارستان المفتي عثمان اسحاقوف، وكبير باحثي الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية الدكتور اليكسي ملاشينكو.

وقدم الأستاذ سالم البهنساوي بحثاً تحت عنوان: «مفهوم المواطنة في الإسلام» وقد عقب عليه الدكتور خالد المذكور مشيداً بالبحث وما يتضمنه من مفاهيم عصرية وصفها الإسلام قبل ١٤ قرناً من الزمان.

وقدم البروفسور ليونير سوكيانين عميد معهد القانون الدولي في موسكو بحثاً حول التشريعات الروسية ودورها في النهضة الروحية لروسيا، واشترك في مناقشة المحور رئيس مجلس شؤون الأديان لدى مجلس وزراء تتارستان الدكتور رينالت نابييق، وممثل وزارة العدل الروسية الدكتور كودريافيتش. وناقش مفتي دمشق وعميد المعاهد الإسلامية في روسيا موضوع المغالاة والتشدد وآثارهما على المجتمع، عقب عليه نائب رئيس جامعة الأزهر الدكتور محمد الصوفي.

واختتم المؤتمر البحث الذي قدمه الدكتور عادل الفلاح، حول دور المنظمات الإسلامية في دعم مسلمي روسيا فقال: شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين تغيرات هائلة في الساحة العالمية، وفي ظل هذه التغيرات اتجه العالم إلى نوع جديد من الصراع الحضاري، كبديل للصراعات والحروب العسكرية الساخنة والباردة منها، والتي سادت لعقود طويلة منذ بداية هذا القرن، لقد أفرزت هذه التغيرات الأخيرة سلسلة من القضايا المهمة بالنسبة إلينا نحن المسلمين، وفي مقدمها ظهور دول إسلامية جديدة وجمهوريات ذات حكم ذاتي «في روسيا أكثر من ٧٤ جمهورية مستقلة ذاتياً ينتشر فيها الإسلام»، إلى حيز الوجود، تضم عشرات الملايين من المسلمين في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز وروسيا الاتحادية، موزعين على مساحة جغرافية شاسعة مع

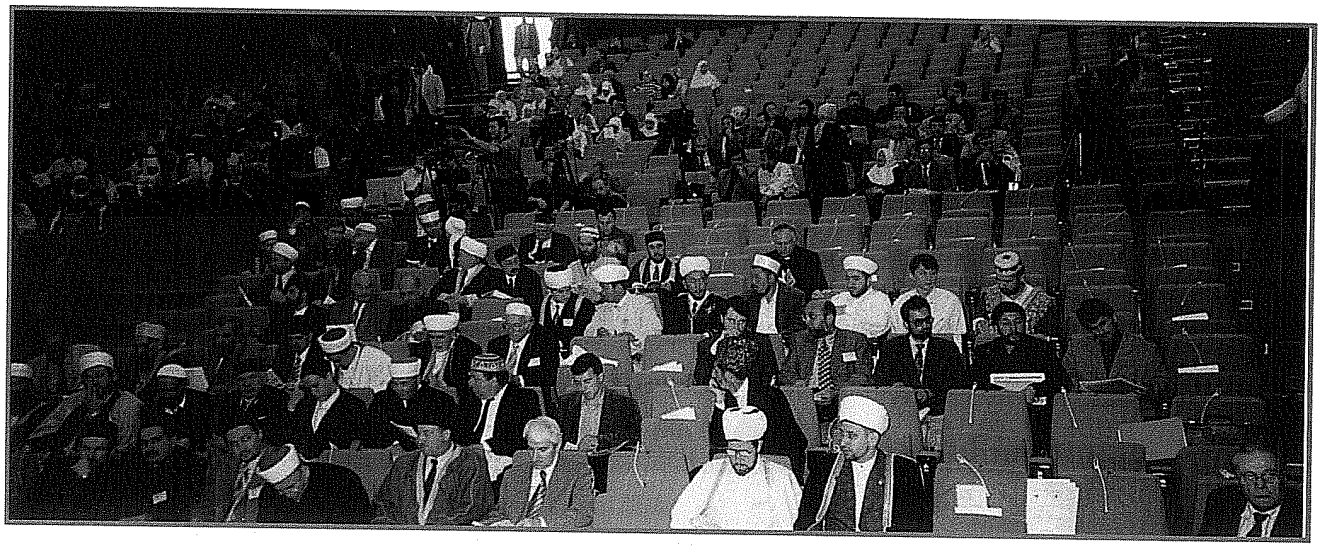

● جانب من الحضور.

تباين قومياتهم وأصولهم وعاداتهم وأساليب وأنماط حياتهم، ما أحدث فراغاً فكرياً وروحياً كبيرين في هذه المنطقة، الأمر الذي دفع لجنة مسلمي آسيا في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية كمؤسسة خيرية إسلامية تنموية إلى مد يد العون والمساعدة للمسلمين في هذه الدول، فأرسلت الوفود الميدانية إليها لاستطلاع احتياجاتها، وارتأت إقامة مشروع التواصل الحضاري مع أحفاد الإمام البخاري، في الأول من يناير العام ١٩٩٤م، كمشروع متخصص يعمل لصالح أبناء المنطقة البالغ تعدادهم أكثر من ثمانين مليون نسمة، والذين هم في أمسّ الحاجة للمحافظة على الهوية الإسلامية، واستعادة الدور الحضاري الرائع الذي لعبوه في الماضي، والذي أفرز العديد من العلماء والمفكرين في العلوم الشرعية والكونية من أمثال البخاري ومسلم والخوارزمي والطبري والنسائي، وغيرهم.

كيف تدعم المؤسسات الإسلامية المسلمين في روسيا؟

وإزاء هذه الظواهر والمشكلات المتنوعة التي يعيشها مسلمو روسيا لابد للمؤسسات الإسلامية وفي إطار من التنسيق فيما بينها من المبادرة السريعة لنجدة إخوانهم في روسيا، والإسهام في حل مشكلاتهم أو حتى التخفيف من وطأتها وآثارها الجانبية، ودفعهم ليكونوا عناصر إيجابية في مجتمعهم الروسي الكبير، وصورة مشرقة للإسلام الحضاري والإنساني، وذلك من خلال الوسائل التالية:

١ ـ بث ونشر الوعي الإسلامي في صفوف المسلمين الروس، وبكل الوسائل الممكنة لإبعادهم عن شبح التطرف والغلو.

٢ ـ دراسة المشكلات التي يعاني منها المسلمون الروس، وبيان أسبابها وآثارها، مع وضع الحلول العملية لها.

٣ ـ تكثيف البرامج والأنشطة اللذين يساعدان المسلمين على الانصهار في جماعة واحدة قوية متينة الأركان، ومتمثلة في الإدارة الدينية.

٤ ـ تحقيق التواصل بين المسلمين في روسيا وإخوانهم في العالم الإسلامي، وفتح قنوات في العلاقات الثقافية والتعليمية وغيرها.

٥ ـ تشجيع المؤسسات والشركات التجارية على الاستثمار في روسيا.

٦ ـ دعم المسلمين الروس في بناء مشروعاتهم من المدارس الشرعية والأئمة والدعاة والمناهج والكتب والجامعات.

٧ ـ تقديم العون والدعم المالي للمسلمين الروس حتى يستطيعوا إيجاد وسائل إعلامية خاصة بهم مثل قناة فضائية لتقوم بالدور التوجيهي والتثقفي والتصدي للتيارات الإعلامية المناوئة.

توصيات المؤتمر

في نهاية جلسات المؤتمر العالمي لدور مسلمي روسيا في نهضة المجتمع الروسي صدرت التوصيات التالية:

أكد المؤتمر العالمي الخاص دور المسلمين في النهضة الروحية الروسية ضرورة الإفراج عن جميع الأسرى والمحتجزين بالقوة في كل مكان، ووضع حد لسفك الدماء وانتهاك حقوق الإنسان.

كما دعا المشاركون إلى ضرورة العمل الهادف لمكافحة النزاعات المتطرفة، وعدم السماح بحدوث انقسامات بين صفوف المسلمين، وفتح الحوار مع ممثلي الديانات الأخرى، وبلورة المقترحات الخاصة بتنظيم مؤتمر عام لضمان الوحدة الروحية لشعوب روسيا. أكد المؤتمر ضرورة تكثيف العمل ومضاعفة دور المنظمات الإسلامية ضمن النشاط الهادف إلى تجاوز التناحر الديني والقومي، وتقديم المساعدة الخيرية ومكافحة الظواهر السلبية مثل انتشار المخدرات والكحول والجريمة وحماية البيئة. كما قرر المؤتمر وضع برامج تثقيفية ضمن البرامج الإذاعية والتلفازية في روسيا للتعريف بالإسلام وعلى دور المسلمين في إغناء الجانب الروحي الروسي في الماضي والحاضر. طالب المؤتمر من الهيئات والمؤسسات التعليمية الروسية بالتعاون مع الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من روسيا وضع مناهج دراسية للتعريف الموضوعي والصادق بالإسلام. أكد المؤتمر كذلك أهمية الإعداد وعلى مستوى الدولة للاحتفال بالذكرى ٤٠٠ بعد الألف لانتشار الإسلام في روسيا. ■

حوار

أجرى الحوار : د. عماد الدين عثمان

الدكتور الجوزو للوعي الإسلامي :

هناك حملة منظمة توحي بأن الإسلام هو الإرهاب

أوضح الدكتور محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان، أن الإسلام ينتشر ويتسع ولله الحمد، وهذا ما يحسب له الأوربيون الغربيون ألف حساب الآن... فالإسلام انتشر في أوروبا والغرب بأخلاق التجار «القدوة» وهذا ما نحتاج إليه... والمسلم الذي يتمتع بأخلاق حميدة في الغرب هو رسالة في حد ذاته.

ومن جانب آخر من خلال حديثه للوعي الإسلامي... أضاف الجوزو أن هناك حملة منظمة توحي بأن الإسلام هو الإرهاب... وفي المقابل هناك صورة مشرقة يلمسها كل عالم يتحرك على الساحة الإسلامية.

جاء ذلك خلال الزيارة التي قام بها فضيلته أخيراً إلى دولة الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

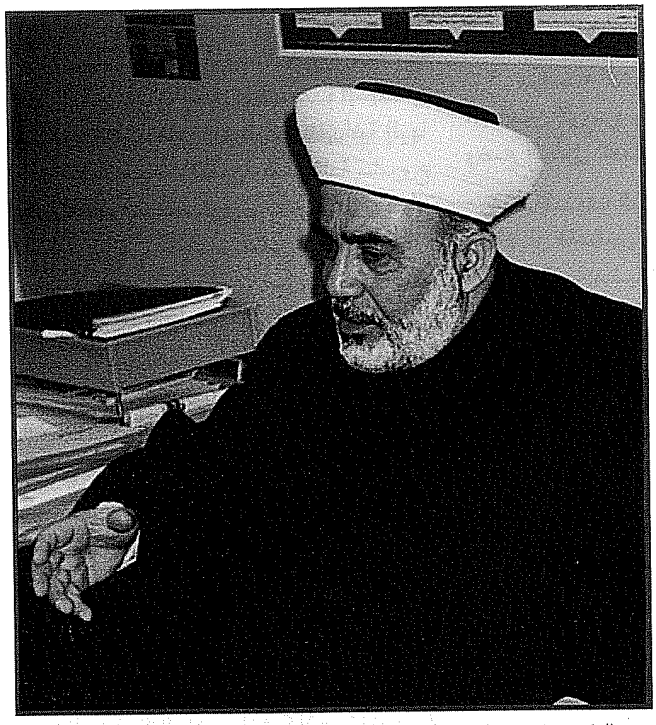

● الدكتور محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان

- **هناك صورة مشرقة يلمسها كل عالم يتحرك على الساحة الإسلامية**
- **الدعوة الإسلامية الواعية العاقلة المتزنة تستطيع أن تعالج الأمور بشكل علمي وليس عاطفي والشباب المسلم يشعر بأنه أكثر وعياً من الماضي**

● بما أننا على أعتاب قرن جديد من عمر البشرية... كيف ترون صورة الإسلام على مستوى العالم كله؟

- أولاً، لابد أن نتخلى قليلاً عن الصورة المتشائمة التي تفرضها علينا الظروف السياسية التي نعيشها نحن المسلمين سواء أكان ذلك في داخل العالم الإسلامي أم في خارجه، هذه الهجمة الشرسة على الإسلام في داخل البلاد الإسلامية بسبب أن بعض القيادات أصبحت تخشى الإسلام وتخشى الحركة الإسلامية كحركة إسلامية، وتحاربها بشتى الطرق والوسائل، هي أخطر من الحرب التي تُشنُّ على الإسلام من خارج بلاد المسلمين.

وللأسف هناك تناغم بين الخارج والداخل، هناك حملة منظمة توحي بأن الإسلام هو الإرهاب... ليس الغرب وحده هو الذي يتهمنا بالإرهاب، وإنما نحن فينا من يتهم المسلمين بالإرهاب، كما أن بعض القيادات تتهمنا بالإرهاب، فهي تأخذ البريء بجريرة المتهم والمجنون بالعاقل، لا تفرّق بين فريق من الشباب المتهور الذي يرتكب الحماقات التي لا يوافق عليها الإسلام بأي شكل من الأشكال بل تعمم الحكم.

العلمانيون ... مرضى

لا أريد أن أذهب مع هذه النظرة المتشائمة جداً بالنسبة للأوضاع الإسلامية وبخاصة أن الذين يستهدفونه كثيرون فالفئة العلمانية التي رباها الاستعمار على عينه هي السبب، حيث جاء الاستعمار وزرع في بلادنا ثقافات معينة هذه الثقافات حاولت أن تبعد أبناءنا عن أصالتهم، عن تاريخهم، عن تراثهم، عن عقيدتهم، ونجح إلى حد كبير في جذب بعض من هؤلاء الناس.

والعلمانيون على وجه الإجمال هم أناس مرضى ومعقّدون، فتنوا بحضارة الغرب وثقافتهم، وظنوا أن طعن الإسلام هو الوسيلة الوحيدة التي يظهرون فيها بأنهم متمدينون أو عصريون أو أهل للحداثة... هذه عقدة... بعض هؤلاء العلمانيين يريدون أن يظهروا بأنهم هم الذين يسيرون في ركاب حضارة الغرب وفي فكره وبأنهم بلغوا آفاقاً واسعة لم يبلغها المفكرون المسلمون من قبل في العالم الإسلامي... هؤلاء يعكسون صورة لانهيار وضعف الشخصية فهم يعتبرون أنفسهم يؤسسون حياتهم على أسس صحيحة.

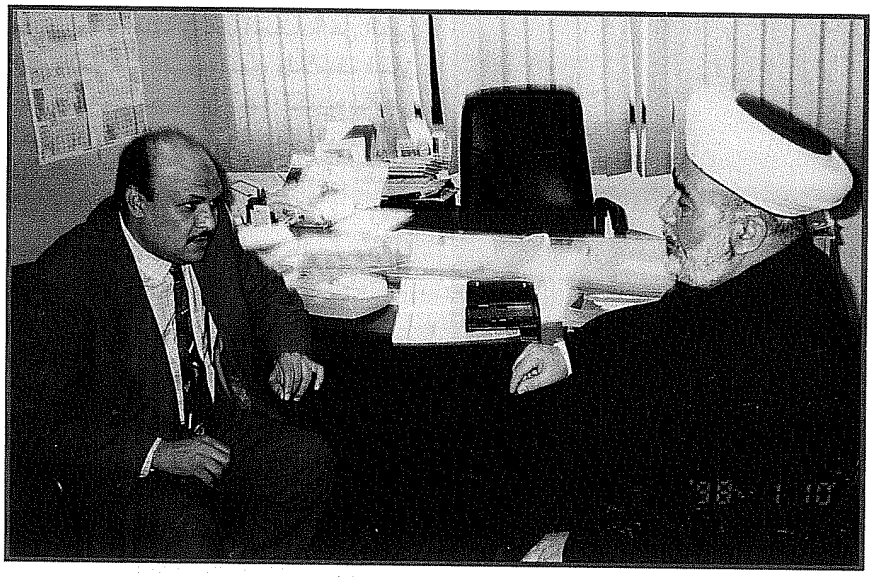

● الدكتور محمد علي الجوزو يتحدث إلى الدكتور عماد الدين عثمان

لن يعترف بنا الغرب إلا إذا اقتنع بأسس موضوعية علمية

الكنيسة اعتمدت على المستشرقين في البحث عن المسالب والعيوب حتى تشوّه صورة الإسلام في الساحة الغربية

صورة مشرقة

من هنا أود أن أقول: إن هناك صورة مشرقة أراها أنا وألمسها ويلمسها كل عالم يتحرك على الساحة الإسلامية، عندما يرى إقبال الشباب على العبادة في بيوت الله، فالأكثرية الساحقة الآن من رواد المساجد هم من الشباب، رغم الاضطهاد، ورغم الاتهامات، ورغم الحرب الضروس التي تشنُّ على الإسلام والمسلمين، وعلى الشباب الإسلامي، ترى المساجد ملأى ولله الحمد، وترى بيوت الله يؤمها الشباب المتحمس لدينه ولعقيدته، هذا في بلادنا! ... وفي الخارج أيضاً، عندما تذهب إلى أميركا... إلى أوروبا... تجد المساجد أيضاً ملأى... هذه الظاهرة تدلُّ على أن الإسلام ولله الحمد بخير في داخل العالم الإسلامي وفي بعض البلاد خارجه... فالشباب المسلم يشعر بأنه أكثر وعياً من الماضي... وأن هذه الفئة من العلمانيين هم أشبه ما يكون أن نطلق عليهم «جعجعة بلا طحن».

● بما أن لكم تجربة سابقة للتعامل مع الغرب والعيش فيه سنوات طويلة خلال تحضيركم لشهادة الدكتوراة في فرنسا... بماذا تفسرون وضع الإسلام هناك ؟

- الحقيقة، هناك فكرة مسبقة عند الغربيين، فالحروب الصليبية استمرت فترات طويلة، سبع غزوات صليبية تعرض لها العالم العربي والإسلامي، فهناك دماء بيننا وبينهم،

حروب متواصلة زرعت أحقاداً عن الدين الإسلامي في نفوسهم، وللأسف فإن الوسيلة التي لجأت إليها الكنيسة هي الاعتماد على المستشرقين في البحث عن المسالب والعيوب والأخطاء، حتى تشوّه صورة الإسلام في الساحة الغربية... وهذه ضُخِّمت كثيراً، وبدأت تأخذ طابعاً عدائياً مستحكماً في نفوس هؤلاء المستشرقين.

تشويه صورة الإسلام

لقد شاهدت بعض الدروس التي تلقى في بعض الجامعات الفرنسية في التاريخ الإسلامي عن سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسيرة الصحابة - رضوان الله عليهم - كان الأستاذ يحاول أن «يتجه بالطلبة نحو تشويه الصورة بأي شكل من الأشكال ليشكك هؤلاء الطلبة بتاريخهم... الطلبة لا شك يتأثرون بهذا.

ومن هنا أستطيع القول: إن وظيفة الاستشراق للأسف الشديد هي تشويه صورة الإسلام، وهذا ما يقرؤه الأوربيون الغربيون عنّا، ومن ثمّ يحملون لنا العداء بشكل تاريخي وطبيعي... لذلك نحن لا نستطيع أن نغيّر في عقلية هؤلاء الغربيين الأوروبيين إلا إذا انتشر المسلمون وتوسع انتشارهم بشكل إيجابي في الغرب، وكانوا رسل أخلاق عن رسالة الإسلام.

والآن، نجد أن الاحتكاك بين المسلمين وبين البيئة الغربية يتيح نتاجاً طيباً وبخاصة إذا كان الذين يحتكون بالناس من المثقفين المسلمين، من الذين يعرفون كيف يعرضون الإسلام، هؤلاء يكسبون ساحات جديدة وينضم إليهم عدد كبير لا بأس به، ولذا يجب أن نركز على هؤلاء الذين يدخلون في دين الإسلام من أبناء البيئات الأوروبية ومن أبناء الجنسيات الأوروبية والأميركية ... حينما يتحول الأميركي للدعوة إلى الإسلام في أميركا، والفرنسي إلى الدعوة إلى الإسلام في فرنسا ... يستطيع كل واحد من هؤلاء أن يعطي أكثر لأنه ابن بيئته التي يعيش فيها، «فمراد هوفمان» على سبيل المثال يعتبر أكبر داعية للإسلام في ألمانيا، فهو يجيد مخاطبة الألمان بلغتهم وعواطفهم، فهو ابن بيئتهم.

اهتمام خاص

وعلى ذلك، يجب أن يكون هناك اهتمام خاص من الدوائر الإسلامية التي تهتم

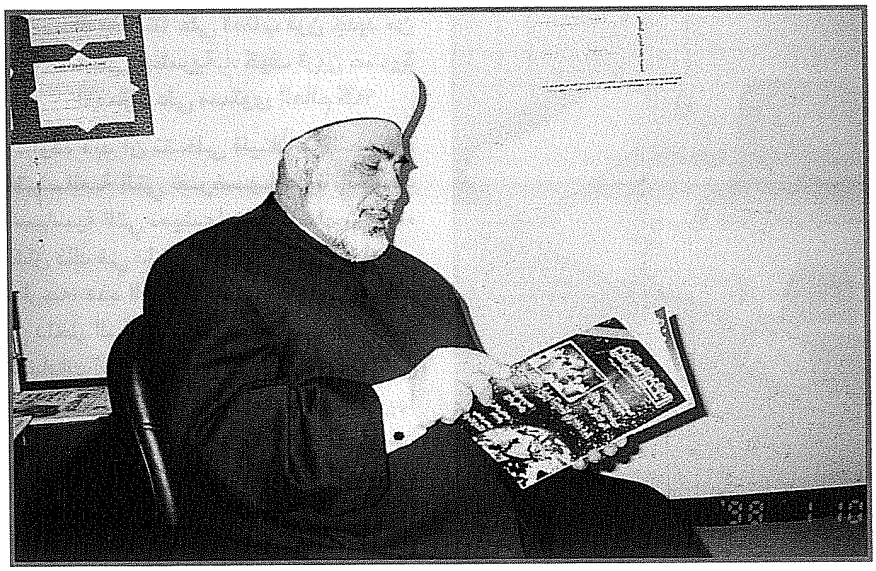

● الدكتور محمد علي الجوزو يطالع مجلة الوعي الإسلامي

الماديون أوصلوا الغرب إلى حال القلق والاضطراب والكفر والإلحاد

بالدعوة لهؤلاء المثقفين، فلا تقتصر على الدعوة إلى المؤتمرات فقط فخراً بهم على أنهم دخلوا في دين الإسلام، بل يجب أن نستفيد منهم وأن نركّز على إعطائهم دوراً مهماً حتى يتحولوا إلى دعاة يخاطبون العقل الأوروبي ويستطيعوا أن يؤثروا فيه.

أنا شخصياً لأنني عشت في فرنسا فترة طويلة من الزمان، استطعت أن أفهم العقلية الفرنسية، وأن أبدأ بالحوار مع هؤلاء، فكنت أذهب إلى الكنائس أحاورهم... وبكل هدوء... حتى أستطيع أن أصل إلى اقناعهم بالحجة

العلمانيون يمثلون «جعجعة دون طحن»

والبرهان... فنحن لا نريد تشنجاً ولا أحكاماً مسبقة من قبلنا، خصوصاً ونحن ننقد الأحكام المسبقة من قِبَل الغرب.

● يرى البعض أن حوارنا مع الغرب لن يفيد إلا إذا اعترف بنا اعترافاً جاداً وأميناً!

- نعم، لن يعترف بنا الغرب إلا إذا اقتنع بأسس موضوعية علمية... بمعنى أنه يجب أن يكون هناك تخطيط ودراسات، يجب أن نجمع بعض أبناء الغرب في مؤتمرات خاصة لهم، تشرف عليها هيئات إسلامية، لكي يدرسوا البيئة ويحاولوا أن يوجدوا مخططاً لمخاطبة الغربيين بطريقة علمية وعملية وأن نسمح لهم بالكتابة وتوجيه الرسائل الصغيرة، والكثيرة لهؤلاء الغربيين وحتى نستطيع أن ننشر إعلامنا الإسلامي بشكل جيد... فلا يكفي أن يتحدث المسلم الذي يعيش وحده عن الإسلام في الغرب... بل لابد من أن يتكلم الغربي نفسه عن الإسلام حتى يقنع الآخر، فإقناع الغربيين بما في الإسلام من أهداف سامية ضرورة ملحّة.

الزمان لمصلحتنا

وهذا يحتاج إلى وقت وزمان ولكن الزمان سيكون لمصلحتنا وليس لمصلحة الأعداء، فأميركا مثلاً لم يكن فيها عدد كبير من المسلمين من قبل... حيث كان المسيحيون اللبنانيون فقط هم الذين يهاجرون إلى هناك، ومن ثمّ تركوا لنا أدباً مهجرياً مطبوعاً بالطابع المسيحي، ونحن جميعاً درسنا شعر

المهجر... وشعراء المهجر كانوا جميعاً من المسيحيين اللبنانيين، ولذلك تركوا بصماتهم واضحة في ذلك الأدب.

والآن هناك سبعة ملايين مسلم في أميركا وحدها، وفي باريس وحدها أيضاً ثلاثة ملايين مسلم، والمساجد تملأ باريس «ليست كلها مساجد بمعنى كلمة مساجد، إنما هناك مصليات».

الدعوة الإسلامية الواعية

إذاً الأرض عطشى، والغرب يعيش حال القلق، حال الاضطراب، حال الكفر والإلحاد، أوصله إليها الماديون... من الذي يستطيع أن ينقذ هؤلاء مما يتخبطون فيه؟ الدعوة الإسلامية الواعية، العاقلة، المتزنة هي التي تستطيع أن تعالج بشكل عملي وليس بأسلوب عاطفي أو بإطلاق أحكام التكفير يمنة ويسرة.

منظومة قيم

● **إذاً كيف لنا نحن المسلمين أن نبحث عن منظومة قيم مشتركة في ظل ما ينادي به العالم الآن من اتجاه نحو العولمة الثقافية والفكرية؟**

- هذه أطاريح يصعب تحديدها... فنحن داخل أي بيئة لا نستطيع أن نجمع الناس على رأي واحد أو فكر واحد أو توجه واحد... هذا من الصعب بمكان... وإلا فكيف نشأت المذاهب والفرق؟

ولكن هناك مجال واحد فقط للتقارب الثقافي من ناحية عرض ما عند المسلمين من ثقافة وحضارة حتى يعرف الآخرون هذه الثقافة، ونحن بطبيعة الحال نأخذ عن الغرب الكثير، ونعرف الكثير عن عقلية الغرب وعن الفكر الغربي وهم لا يعرفون عنا إلا القليل

التلاقح... التفاعل

إذاً هذا التلاقح وهذا التفاعل سوف يؤدي إلى التقارب أكثر فأكثر... سيظل هناك اختلاف، وسيظل هناك أناس حاقدون لا يرضون باللقاء معك... وستظل الساحة تموج بالأفكار المتعددة غير الواضحة.

والعولمة هذه أحلام، نتمنى إذا صحَّ الحلم أن نصل إلى تحقيق شيء ما من اللقاء الإنساني في سبيل أن تتجه البشرية إلى الخير والبناء.

بئس العولمة إذا كانت تعني سيطرة الفكر الغربي على عقولنا

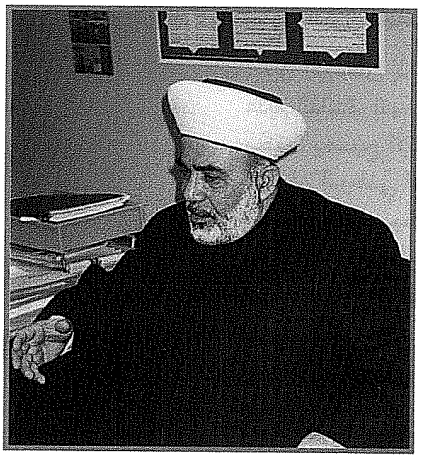

● الدكتور محمد علي الجوزو أثناء الحوار

أما إذا كانت العولمة هي سيطرة الفكر الغربي على عقولنا فبئس العولمة، وكذلك إذا كانت العولمة هي سيطرة الدول الرأسمالية على الدول الفقيرة والمعدمة وامتصاص دماء شعوبها، وأخذ خيراتها، فبئس العولمة أيضاً، فنحن لا نريد أن نكون ترساً في آلة ندور معها كيف تدور.

● **كيف إذاً نستثمر إمكاناتنا الإعلامية العربية والإسلامية وبخاصة الفضائيات في نشر الدعوة الإسلامية وإقناع الغرب بصحة النظرية الإسلامية في جميع المقالات؟**

المسلم الذي يتمتع بأخلاق جيدة في الغرب رسالة في حد ذاته

- العقيدة الإسلامية عقيدة بسيطة، يجب أن نقدمها ببساطتها، والإشكال الذي يقع فيه الغربيون عادة هو أن الفكر المسيحي مركب ومعقد، بالنسبة للعقيدة والإيمان بالمسيح، بالتثليث، المسألة معقدة... ومن أبسط ما يمكن أن ندخل إليها وأن نبين ضعفها، فالأفكار البسيطة التي طرحها القرآن عن الوحدانية يجب أن نتوسع بها ونقدمها بالنسبة للإيمان بالله عزَّ وجلَّ.

مبادئ متقاربة

أما بالنسبة لقضايا الأخلاق، فالأديان كلها التقت على مبادئ متقاربة «لا تقتل - لا تزن - لا تسرق - لا تفعل...» حيث لا يوجد أبداً دين من الأديان يحض على الكذب... فجميع الأديان تدعو إلى الصدق، وتحارب الكذب، وجميع الأديان تحارب الجريمة وتدعو إلى السلام والأمن، هذه مبادئ عامة تلتقي عليها جميع الأديان.

وعلى ذلك، يكون طرح المبادئ الإسلامية، فطرح سماحة الإسلام، والمقارنة بين ما فعلناه في فتوحاتنا، وبين ما يفعله الآخرون يجعلنا نتأمل هذا الإجرام الصربي في التاريخ الحديث، لنتأمل ماذا فعلت أوروبا بنفسها في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وكيف دمَّر الأوروبيون أنفسهم بأنفسهم وهم جميعاً ينتمون إلى المسيحية.

المسلم... رسالة

ولذلك أقول: إن المبادئ والقيم الإسلامية لا تتعارض مع المبادئ والقيم التي جاء بها الرسل جميعاً، بل هي تتفق معها... ومن هذا المنطلق يجب أن نعرض الإسلام على أنه دين الأخلاق والمبادئ والقيم، وأن نثبت لهم ذلك عن طريق العمل، فالمسلم الذي يتمتع بأخلاق جيدة في الغرب هو رسالة إسلامية في حد ذاته.

ولننظر كيف انتشر الإسلام في كثير من بلاد آسيا وأفريقيا... انتشر بأخلاق التجار «القدوة»... وهذا ما نحتاج إليه... وهو موجود والحمد لله... وأنا مطمئن أنه يوجد لدينا شباب لديه خبرة وتجربة واسعة الآن في الغرب وعنده من الثقافة ما يساعده على اختراق أي حواجز تقف في وجه الإسلام.

وهذا ما يحسب له الأوروبيون الغربيون ألف حساب الآن... فالإسلام ينتشر ويتسع هناك ولله الحمد. ■

بقلم : د. علي جاسم الشهاب

الغزو الثقافي والدور المطلوب لمواجهته

لقد تعرضت الحضارتان العربية والإسلامية في القرون الأخيرة إلى غزو ثقافي وحضاري واسع النطاق عززته قوة الاستعمار العسكرية والسياسية ورافقته الآثار النفسية القوية نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمعات الغربية ما جعل عددا كبيرا من الشباب العربي المسلم يشككون في حضارتهم ودورها، بل يشعرون أنها متخلفة وضعيفة أمام قوة الغرب، بل ظن عدد كبير من هؤلاء الشباب أن التقدم الغربي هو في حقيقته تقدم شامل لكل شيء سواء كان في ميدان الصناعة، الحياتية الاجتماعية والعلمية أو حتى في ميدان الأخلاق والقيم ما أدى إلى تناقض فكري وتشتت في الولاء للحضارة والتراث العربي والإسلامي، إن من يدقق في حقيقة الغزو الثقافي الذي عمّ المجتمعات العربية والإسلامية بصورة عامة والخليجية بصفة خاصة، يرى أن حقيقة هذا الغزو أنه يعمل عبر غزو الفكر والمفاهيم والعقل وهي جوانب خطيرة ومهمة، فلقد أشار «محمد عبدالعليم مرسي ١٩٨٨م» إلى حقيقة الغزو الثقافي وتأثيراته بالتالي:

«إن الإنسان إذا انهزم داخلياً، فإنه يصبح مسلوب الإرادة، عديم الفائدة، إنهم يحاولون محو الشخصية العربية والإسلامية، بحيث يصبح الإنسان المسلم تابعاً لا كيان له سواء في ذلك الكيان الوطني أوالقومي أو الديني، ولا يهم أن يظل اسمه محمداً، وجنسيته من أي بلد إسلامي، إنما الذي يهم هو أن يكون محمد هذا مستلب الفكر عديم الشخصية».

إننا لو تطلعنا إلى مظاهر الغزو الثقافي المختلفة في دولنا الخليجية، لرأينا الصورة جلية في عدد من المظاهر المختلفة سواء كانت الفكرية أو التربوية أو الإعلامية وغيرها.

ولذلك سأحاول من خلال هذه المقالة توضيحها ، ومن ثمَّ أعطي التوصيات التي آمل أن تحقق نوعاً من المساهمة في تقليل آثار هذا الغزو على شبابنا الخليجي.

الجانب الفكري والتربوي

لقد كان لدراسة الدكتور «سعيد عبدالله حارب ١٩٨٤م» والتي أجراها عن الغزو الفكري في الخليج العربي دور كبير في إعطاء صورة جلية واضحة بيَّنت دور المدارس، الأجنبية في المجتمع الخليجي، في التأثير على أبناء المجتمع وفي فرض مناهجها الخارجية على الطلبة مع تقليل المواد الرئيسة مثل اللغة العربية والتربية الإسلامية، فمن خلال تجربتي الشخصية في داخل الجامعة ومن خلال التعامل مع عدد من الطلبة والطالبات في جامعة الكويت الذين درسوا في مدارس أجنبية تبيّن أنهم ضعاف في اللغة العربية، بل إن أغلبهم يطلب أن يحل الاختبار أو يعبر باللغة الأجنبية، ويرون من وجهة نظرهم أن اللغة العربية قاصرة عن توصيل المفاهيم وأنها غير ضرورية، بل إنهم يبدون أحياناً عدم رضا عن بعض العادات والتقاليد والتي قد يكون لها أصول إسلامية وبخاصة عند مناقشة هذه الظواهر الاجتماعية مثل قضية التعرف قبل الزواج، إن الفترة الدراسية التي يقضيها الطالب في تلك المدارس بلا شك تعمل على تشكيل جانب كبير في شخصيته، ما يجعل الدور والتأثير قويين في هذا الجانب، وقد يؤيد هذه النتيجة ما توصل إليه الباحث «نايف بن ثنيان آل سعود ١٤١٠هـ» عندما أشار إلى أن التعليم الإرسالي يعتبر من أقوى الوسائل، واستدل على ذلك بما كتبه مصطفى الخالدي وعمر فروخ في مؤلفهما «التبشير والاستعمار في الدول العربية»، حيث نقل عن شخص يدعى «نبروز» وكان رئيساً للجامعة

الأميركية في بيروت، نقلا عنه قوله: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأميركيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان».

لهذا لم تكن المدارس الأجنبية هي الجهة المؤثرة الوحيدة في مجتمعاتنا الخليجية، بل كان لعدد من البعثات الخارجية التي التحق بها عدد من الطلبة في عدد من الجامعات العالمية دور في التأثير الداخلي للمجتمع من أفكار وتصورات قد تكون بعيدة عن ثقافة المجتمع ومعتقداته «محمد عبدالعليم مرسي ١٩٩٥م».

الجانب الإعلامي

يعتبر الغزو الإعلامي من المؤثرات الواضحة التأثير على المواطن الخليجي فساعد بدوره على تغيير وزرع كثير من القيم والاتجاهات التي قد تكون بعيدة عن واقع وطبيعة الإنسان الخليجي وبعيدة عن ثقافته وحقيقته ولقد جاءت أشكال الغزو متمثلة في عدد من الوسائل المختلفة إعلامياً والتي منها:

السينما

بلا شك أن للسينما دوراً كبيراً وواضحاً على خلق قيم وتأثير على «التنشئة الاجتماعية، فكل ما يقدم من قصص وحوار يكون له أكبر الأثر في إحداث التغير أو تكوين الاتجاه، وعندما تستعرض الأفلام الأجنبية والتي تمثل نسبة كبيرة من الأفلام التي تلاقي اهتماماً من الجمهور الخليجي نرى أن هذه الأفلام قد تنقل مواقف كثيرة غير متوافقة مع طبيعة المجتمع وعقيدته، فتحاول تصوير شخصية البطل بالمحب العاشق وتحاول أن تربط بين قيمة الحب كقيمة اجتماعية بتصوير جنسي، بل يغلب على الأفلام إثارة الرعب والانحراف والتي بلا شك تدفع بصورة أو بأخرى إلى تقليد هذه الشخصية وأخذها كقدوة يقتدي بها الشباب في ملابسه وسلوكه وتصرفاته ولغته، فأصبح باتمان وسوبرمان والمغنون هم الأبطال الحقيقيون في أذهان أبنائنا على الرغم مما يقوم به هؤلاء الشخصيات من رعب وإثارة وعنف وخروج عن المعتقدات والعادات.

أطباق الأقمار الصناعية «الستلايت»

إن من ينظر إلى أسطح المنازل والبنايات في كل المدن العربية الخليجية، سيصاب بنوع من الدهشة نتيجة لهذا الكم الهائل من أطباق الأقمار الصناعية التي تبث موادها الإعلامية بكل اللغات وعلى مدى ساعات اليوم كلها، ويتجسد الخطر في أن هذه الشبكات الإعلامية والقنوات الفضائية الوافدة أنها تملك من الإمكانات ووسائل الإبهار والجذب ما يمكّنها من الدخول إلى نفوس أكبر عدد من المشاهدين الذين يكونون عرضة لبث قيم وأفكار قد تشكل تهديداً كاسحاً للهوية والثقافة العربية والإسلامية، وفي إحداث خلل في هذه الثوابت ما يؤدي إلى تدمير مقومات الشخصية العربية وفي المقابل، فإن قنوات التلفاز العربية المحلية تجد نفسها في منافسة غير متكافئة مع هذه الشبكات الأجنبية وهو ما يظهر في التدفق غير المتوازن للمعلومات والأخبار والمواد الإعلامية المختلفة، بل إن تأثير هذه القنوات أصبح تأثيراً واضحاً، بل أدخلت هذه القنوات الفضائية عادات وسلوكيات لم تكن في داخل مجتمعاتنا الخليجية مثال: عيد الحب والذي أصبح تقليداً يعد له، في المحلات التجارية ومحلات الزهور، العدة وهو من القضايا غير المتوافقة مع عادات وتقاليد المجتمعات الخليجية، بل كشفت دارسة قام بها تسعة من أطباء علم النفس على مدى خمس سنوات في داخل المجتمع الأميركي «جريدة الرأي العام ١٩٩٢م»، أظهرت أن البرامج التلفازية تؤثر على الأطفال المراهقين وتدفعهم إلى الصراعات عن طريق استخدام العنف وتجعلهم أكثر تقبلاً للعنف الجنسي، وكشفت هذه الدراسة أيضاً أن أفلام الرسوم المتحركة التي تعرض صباح العطلة الأسبوعية تتضمن مشاهد عنف تزيد بمعدل أربع أو خمس مرات عمّا يشاهد في الأفلام التي تعرض بعد ذهاب الأطفال إلى الفراش فعلى الرغم من كل هذه المظاهر التي وضحتها كل هذه الدراسات نرى تكالب أجهزة الإعلام على هذه المنتوجات الإعلامية.

الإذاعات

على الرغم من توافر الإذاعات في داخل الدول الخليجية، إلا أن عدداً من الدول الغربية حرصت على توجيه إذاعاتها باللغة العربية، وذلك لأسباب عدة، وقد يكون من هذه الأسباب جذب المواطن العربي إليها، وتحاول بما تبث بها من برامج في تشكيل وتوجيه رأيه بما يحقق أفكارها وتوجهاتها.

الجانب التقني للاتصال (الإنترنت)

لا ينكر أحد ما لوسائل الاتصال من أهمية في ربط الأفراد والدول ببعضهم بعضاً، ويكون هذا الربط من جميع النواحي الاجتماعية، السياسية والاقتصادية، فهي حلقة الوصل بين أطراف عدة متباعدة كانت أو متقاربة فهو بهذا يلغي عامل المسافة وتزداد أهمية وسائل الاتصال بزيادة تقدم وتطور المجتمعات ولوسائل الاتصال بصورة عامة والإنترنت بصورة خاصة، فعن طريق شبكة الإنترنت يمكن للمستخدم أن يثري ثقافته إذ باستطاعته استقبال المعلومات وتحديثها، وتبادل الخبرات مع غيره من المستخدمين كما يمكن للمنظمات أن تنشر ثقافتها وتراثها عن طريق هذه الشبكة، ومن ناحية أخرى للإنترنت تأثير على الجانب الاجتماعي للفرد بما يقدمه من خدمات للتواصل مع بقية الأفراد من جميع أنحاء العالم، وعلى الرغم من الإيجابيات السابقة إلا أن اختلاط الفرد بشعوب ومؤسسات ومنظمات ذات أديان مغايرة وعادات وتقاليد مختلفة قد يؤثر على الفرد بصورة سلبية في ظل وجود منظمات إباحية وتبشيرية وماسونية تدعو إلى الانحلال والرذيلة.

العمالة الخارجية

بلا شك أن مجتمعاتنا الخليجية عانت ومازالت تعاني من الحاجة إلى المتخصصين والفنيين لذلك كان المجال مفتوحاً لدخول عمالة أجنبية مجندة لبعض الجمعيات التبشيرية أو الماسونية أو غيرها سواء كانت على شكل متخصصين في التعليم واللغات أو في الصحة أو غيرها، وبلا شك أن احتكاك هذه العمالة الخارجية بتخصصاتها المختلفة مع أفراد المجتمع

يؤدي إلى نشر كثير من أفكارها وآرائها غير المتوافقة مع عقيدة المجتمع وثقافته، لذلك كان لها دور في نشر كثير من أفكارها وآرائها الهدامة في المجتمع سواء على شكل نشر عادات متنافية مع عقيدة أهل الخليج مثال المخدرات والمسكرات أو عن طريق ترويج ونشر الأفكار المعادية للإسلام والمسلمين، فلقد ذكر أنور الجندي عن أحد هؤلاء المتخصصين «أن العرب يحافظون على دينهم وعلى حرمهم وقد تفنى القبيلة كلها محافظة على الشرف، فهم قوم كرام صادقون يأبون الكذب إلا أنهم يخدعون بسهولة بالظواهر المسمومة فاجعلوا بينكم وبينهم معاهدة على حرية الدين والتعليم والتجارة، فهذه - على الأقل تجعلهم - يهملون الحمية الدينية التي تحببهم إلى الحرب، أما حرية التعليم فإنها تولد لهم غلماناً شؤماً عليهم لأنهم يكونون مشغوفين بحب معلميهم، وبذلك يبتعدون عن حب وطنهم، أما حرية التجارة فهي التي تضعضع شيئاً من تمسكهم بأزيائهم، فضلاً عن تجارة الخمر فهي الآن محرّمة، فمتى شاعت فيهم أقدموا على المنكرات بلا مبالاة وفقدوا النخوة ونشأ بينهم الشر وساءت حالهم ولا ننس أن التأنق في النعمة والبذخ والإسراف في الشهوات وإهمال سير الآباء والأجداد من أقوى أساليب انحطاط الممالك القوية».

ولكن السؤال المطروح كيف نستطيع في خضم كل هذه المظاهر والمجالات المختلفة للغزو الثقافي لدولنا أن نعمل أو بمعنى آخر، ما الدور المطلوب لمواجهة كل هذه المجالات والأوجه، إن هذا يتطلب أخذه في الاعتبار، فهناك اعتبارات عدة نستطيع من خلالها تضعيف دور الغزو الثقافي وتقليل آثاره وهي:

أ - توجيه مراكز البحوث والدراسات في دولنا الخليجية إلى دراسة الآثار المختلفة للغزو الثقافي، أسبابه وتأثيراته، ووضع الحلول التي عن طريقها نستطيع وضع البنية الرئيسة لمواجهة هذا الغزو، مع الإيعاز لهذه المراكز بالتعاون فيما بينها وبتوحيد جهودها وبتبادل الخبرات والمعلومات فيما بينها بما يحقق عملاً تعاونياً مشتركاً.

ب - توجيه وزارة التربية في جميع دول مجلس التعاون الخليجي إلى التنسيق فيما بينها بما يتعلق بإلزام المدارس الأجنبية العناية بمادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية والتاريخ العربي الإسلامي لما لهذه المواد من دور في تكوين الشخصية العربية المسلمة الخليجية على أن يكون هناك اهتمام ومراقبة في تطبيق ذلك.

ج - توجيه وزارات التربية في جميع دول مجلس التعاون الخليجي إلى أهمية تفعيل دور المنهج أو بمعنى آخر ترجمة المعتقدات الإسلامية والحضارية إلى سلوكيات وحقائق ووضعها موضع التنفيذ.

د - توجيه وزارات التربية في دول مجلس التعاون الخليجي إلى العناية بالبعثات الدراسية عن طريق اختيار أفضل المؤسسات التعليمية من جهة مع الاهتمام برعاية المبعوث من الأخطار والتأثيرات الثقافية الخارجية، من جهة أخرى.

هـ - توجيه أصحاب القرار في دولنا الخليجية في التقليلمن المدارس التبشيرية مع تشجيع إقامة المدارس الخاصة الأجنبية التي تكون تحت رعاية متخصصين من مواطني مجلس التعاون والتي تأخذ في اعتبارها وعنايتها الاهتمام باللغة العربية والتربية الإسلامية.

و - العمل على توظيف المناهج الدراسية بحيث تواكب التغيرات المختلفة مع الأخذ في الاعتبار التطورات والتغيرات المتسارعة لنظام المعلومات والمتوافقة في الوقت نفسه مع عقيدتنا وتراثنا.

ز - العمل على وضع إجراءات مشددة لمنع المواد الثقافية الخارجة على العادات والتقاليد من خلال وضع ضوابط لعملية الاستقبال للأقمار الصناعية.

ح - العمل على توجيه المنتوجات الثقافية المحلية أن تراعي ثقافة المجتمع ومراعاة التطور المطلوب مع إعطاء أهمية إنتاج برامج ثقافية لنماذج مشرفة من الصحابة وأبطال المسلمين والذين كان لهم دور واضح في تقدم المجتمع الإسلامي.

ط - توجيه أصحاب القرار في دولنا الخليجية بتطعيم أبنائنا ضد تلك الأيديولوجيات الغازية والتي تعينهم للدفاع عن عقائدهم وقيمهم وثقافتهم عند المواجهة.

ي - العمل على وضع بعض القيود عند استخدام الإنترنت وبخاصة فيما يتعلق بالبرامج الإباحية والمتنافية مع طبيعة وثقافة وقيم المجتمعات الخليجية.

ك - توجيه أصحاب القرار في دولنا الخليجية على إصدار أقسى اللوائح المتشددة على من يصدر عليه حكم يضر عقيدة وثقافة المجتمع من العمالة الخارجية.

ن - تفعيل دور المسجد ليتلاءم مع التغير الجديد في العالم عن طريق إلحاق مراكز تابعة له تقوم على تنشئة الأجيال وإمدادهم بالثقافة والعلوم والخبرات المفيدة والمتوافقة مع روح العصر التي تمكن لهم عن مسايرة العصر الحالي وتطعمهم بالطعم الواقي من أخطار الغزو الثقافي الخارجي. ■

المراجع

١ - أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، المكتب الإسلامي ٢٤٨ «من غير تاريخ».

٢ - جريدة الرأي العام ١٩٩٢م: تأثير التلفاز على المجتمع الأميركي، ١٧ مارس ١٩٩٢م، دولة الكويت.

٣ - حمود عبدالعزيز البدر، واقع الثقافة بين شباب الخليج العربي ودور التربية والإعلام في إعادة بنائها، جامعة الملك سعود «من غير تاريخ».

٤ - سعيد عبدالله حارب المهيدي «١٩٨٤م»: الغزو الفكري في الخليج العربي، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٥هـ.

٥ - محمد عبدالعليم مرسي «١٩٩٨م»: التغريب في التعليم في العالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٩هـ ص١٨.

٦ - محمد عبدالعليم مرسي «١٩٩٥م»: الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربي، مكتبة العبيكان، الرياض.

بقلم : أحمد عبدالعظيم محمد

ملامح المنهج الإسلامي في الإدارة العامة

في العدد ٣٩٨ (شوال ١٤١٩هـ) التقينا على صفحات مجلتنا الغراء (الوعي الإسلامي) حول موضوع الإدارة الإسلامية مؤكدين أن الفكر الإسلامي قد أمدّ العلوم الإدارية بأسسها ومقومات وجودها في جميع التخصصات «إدارة عامة - إدارة أعمال - إدارة أفراد - إدارة مالية... إلخ».

وقد تواعدنا أن نلتقي بمشيئة الله مع المنهج الإسلامي في هذه التخصصات لنرى نماذج عملية من خلال الدولة الإسلامية التي بدأ فجرها منذ القرن السابع الهجري.. وها نحن مع المنهج الإسلامي في الإدارة العامة:

الإدارة العامة في معناها العضوي «هي مجموعة منظمات تقوم بتحقيق تدخل الدولة في حياة الأفراد اليومية تحت إشراف السلطات السياسية فيها»(١).

وفي ظل هذا المفهوم، فإن الإدارة العامة لا توجد ولا تمارس نشاطها إلا في ظل وجود دولة، ويتأثر الأسلوب الذي تنتهجه الدولة في تنظيمها الإداري بظروفها السياسية والاجتماعية.

ورغم اختلاف العلماء في تعريف الدولة، إلا أنهم وضعوا لها أركاناً عامة لابد من توافرها لكي يمكن أن نطلق على الجماعة اسم الدولة، وهذه الأركان هي:

١ - الأرض «الإقليم» مجال السيادة والوجود السياسي للدولة.

٢ - الشعب «الجماعة البشرية» مجموعة من الأفراد.

٣ - الحكومة «الهيئة الحاكمة التي تتولى الإشراف على الشعب».

٤ - السلطة «القانون الذي تلتزم به الحكومة تجاه الشعب في هذا الإقليم».

ويرى معظم المؤرخين أن أركان الدولة قد توافرت للمجتمع الإسلامي بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، فقد توافرت له:

- الأرض الإسلامية متمثلة في المدينة وما حولها.
- الشعب متمثلاً في مجتمع المدينة من أنصار ومهاجرين ومن حولهم من الأعراب.
- الحاكم متمثلاً في شخص الرسول ﷺ.
- القانون متمثلاً في الدستور السماوي وهو القرآن الكريم، وسنة رسوله الله ﷺ.

الدولة الإسلامية نشأت متميزة

لعلماء الاجتماع آراء متعددة في كيفية قيام الدولة نذكر منها:(٢)

نظرية الحق الإلهي: التي ترى أن الدولة من خلق الله، وأنه هو الذي يختار الملوك لحكم الشعوب وعلى الأفراد السمع والطاعة.

نظرية القوة والغلبة: ومؤداها أنه لما كانت الغلبة للأقوياء والحق يستدعي القوة، فإن الدولة تنشأ باستيلاء جماعة قوية على جماعات ضعيفة تفرض عليها هيمنتها وتمارس فيها سلطانها، وقد تطورت هذه النظرية فيما بعد، فأصبحت هذه الجماعات الصغيرة تتفق فيما بينها على اختيار شخص يكون رئيساً عليهم ويتولى حمايتهم.

نظرية العصبية القبلية: وقد قال بها ابن خلدون، ومؤداها أن القبائل ذات النفوذ تفرض سلطانها على القبائل الضعيفة وتمارس عليها سيادتها وأن الشخص صاحب العصبة والنفوذ هو الذي يستطيع أن يتولى مسؤولية الحكم والرئاسة.

نظرية العقد الاجتماعي: وهي ترى أنه نظراً لتعارض المصالح والميول والنزعات الشريرة اضطر الأفراد إلى البحث عن نظام يكفل لهم الأمن بالتعاقد على إنشاء مجتمع سياسي يخضع لسلطة عليا، ويعتبر هذا العقد أساس قيام الدولة، والحاكم طبقاً لهذه النظرية هو وكيل عن الجماعة وفقاً لإرادتها ولها حق عزله متى أرادت.

إلا أن الدولة الإسلامية نشأت مخالفة لجميع هذه النظريات، فهي لم تكن دولة دينية تحتكر السلطة وترى أن الحاكم هو ظل الله في الأرض كما تقول نظرية الحق الإلهي، وهي لم تقم باستيلاء قلة قوية على كثرة مستضعفة، وهي لم تقم على عصبية لأن الإسلام ينهى عن العصبيات ولا فضل فيه لعربي على عجمي أو لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهي لم تقم على عقد تعاهدت عليه جماعات ضعيفة رغبة في الحماية والأمان، وإنما قامت على كلمة الله التي بايع عليها أهل المدينة رسول الله ﷺ.

لقد ارتضى أهل المدينة كلمة الحق فأسلموا زمامهم للنبي عليه الصلاة والسلام، يحكمهم بما جاءت به الشريعة السمحة.

ومن هنا يمكن القول: إن الدولة الإسلامية قامت على العقيدة القوية والسلوك السليم الذي يسلم الأمر لله رب العالمين، ويرضى بسلطانه وكلمته وقضائه وقدرته على أن يحقق للبشرية السعادة في الدنيا والآخرة، ولقد أحسن الرسول ﷺ تنظيم هذه الدولة، فنظّم العلاقات على أكمل وجه وأدق صورة.(٣)

نظم علاقة الإنسان بربه: فبنى المسجد النبوي في المدينة ليكون المدرسة التي يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم ودنياهم، ومن هنا ربى المسجد قادة الأمة الإسلامية وخلق روح التكافل الاجتماعي بين جميع

طوائف الأمة.

ونظّم علاقة المسلم بأخيه المسلم: عن طريق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

ونظّم علاقة المسلم بغير المسلم: عن طريق المعاهدة التي عقدها مع غير المسلمين في المدينة.

ومن ما سبق نستطيع أن نؤكد أن الدولة الإسلامية قد ظهرت في القرن السابع الهجري، وشهدت مجتمع المدينة فجر هذه الدولة، وكانت رسالتها تهدف إلى الوحدة الإسلامية ودستورها القرآن الكريم، وقد أمد الإسلام هذه الدولة بالمقومات الأساسية اللازمة لقيامه وهي:

المقومات الاجتماعية: متمثلة في المبادئ الإسلامية الرفيعة مثل الحرية والمساواة وتدعيم روح الجماعة وكل المشاعر الإنسانية السامية.

المقومات السياسية: متمثلة في تلك النظم السامية التي تدعو إلى الوحدة السياسية واختيار الحاكم اختياراً حراً وفرض الطاعة لأولي الأمر وتشجيع الحكام على الالتزام بالعدل والعمل من أجل صالح رعاياهم.

المقومات الاقتصادية: متمثلة في نظام الاقتصاد الذي يكفل الحياة الرغدة لكل المواطنين، والذي يدعو إلى الكسب الحلال والإنفاق المعتدل، والذي ينظر للمال على أنه مال الله والبشر مستخلفون فيه ومحاسبون عليه.

الأسس العامة التي قامت عليها إدارة الدولة الإسلامية:

أولاً - الشورى:

الشورى أصل من أصول الحكم الإسلامي تقررت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وعاشت بالتطبيق الإسلامي في مختلف العصور، قال تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)(٤).

ويقول تعالى في وصف المؤمنين: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم)(٥).

أما السنة النبوية فهي تؤكد أن الرسول عليه الصلاة والسلام التزم بمبدأ الشورى منهجاً وسلوكاً، وقد روى عن أبي هريرة ﷺ قوله: «لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»، ومن المعروف تاريخياً أن الرسول قد التزم برأي أصحابه في غزوة بدر، وفي مواقف أخرى كثيرة، أما الخليفة الأول للمسلمين أبوبكر الصديق - ﷺ - فقد ضرب مثلاً أعلى في الشورى ومشاركته أصحابه في اتخاذ القرار، فحينما رأى قتال من سموا بالمرتدين - جمع أصحابه وشاورهم وشاركهم في اتخاذ القرار، ومن لم يدخل في هذه الحروب إلا بعد اجتماع الصحابة وقاتناعهم برأيه وإقرارهم هذا الرأي.

وعلى هذا النهج سار عمر بن الخطاب - ﷺ - ومن أمثلة ذلك أنه حينما رأى عدم تقسيم أرض العراق بين الفاتحين وعارضه بعض الصحابة في ذلك أخذ يناقشهم حتى اقتنعوا برأيه وأقروه، ولم يبدأ بتنفيذه إلا بعد موافقة شبه إجماعية من كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا كان شأن حكام المسلمين في مختلف عصور الدول الإسلامية، وهكذا أرسى الإسلام مبدأ الجماعية في الرأي والمشاركة في اتخاذ القرارات، وفي هذا يقول الدكتور منصور أحمد منصور:

كان نظام الشورى في الإسلام ركناً جوهرياً وركيزة من الركائز الإسلامية المتطورة التي يتكون منها نظام الإدارة...(٦)

ثانياً العدل:

في الوقت الذي كان العالم يتخبط فيه بين المدرسة السفسطائية في اليونان القديمة التي تقوم فلسفتها في الحكم والإدارة على أن الغايات تبرر الوسائل، وأن الوصول إلى الحكم والحفاظ عليه يتطلب إسقاط الاعتبارات الأخلاقية والتي تجسدت مبادئها في كتاب الإيطالي ميكافيللي «الأمير»، وبين مدرسة سقراط التي أخذت الجانب المعاكس بالبحث عن المثل الأعلى والصورة الفاضلة للحكم، فجاءت نظرياتها غارقة في المثالية، وتجسدت مبادئها في كتاب «المدينة الفاضلة»(٧)، الذي جاءت محتوياته أقرب إلى الأحلام والخيالات، كان الإسلام يضع مبدأ أساسياً في الإدارة العامة هو مبدأ العدل الذي لا يتأثر بالميل أو الهوى، ويجب أن يتمتع به جميع أبناء الأمة ويتساوون أمامه، والذي لا يميز بين الناس من حيث اللون أو الجنس أو العقيدة، ولقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ في مواضع كثيرة:

قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي...)(٨).

وقال سبحانه: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...)(٩).

وقال: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى...)(١٠).

أما السنة النبوية فهي تؤكد هذه المعاني وتشرحها:

يقول ﷺ: «إن من أحب الناس إليَّ وأقربهم مني مجلساً يوم القيام إمام عادل»(١١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «... إلا من ظلم معاهداً أو انتقص حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصيمه يوم القيامة»(١٢).

وفي كل هذا يوجه الإسلام دعوته صريحة واضحة ويجعل العدل هو أساس النظام الإسلامي كله، ومن ثم فنحن نرى أن المقولات الحديثة التي تفاخر بأن العدل أساس الملك إنما هي من المبادئ التي أرساها الإسلام الحنيف وليست من نتاج الأفكار الليبرالية التي وضعتها المدارس الفكرية في العصر الحديث.

ثالثاً: وجوب الطاعة على المحكومين ووجوب نصرة الحاكم:

قدمت لنا مدارس الفكر السياسي الحديث مبادئ متصارعة حول العلاقة بين الحاكم والمحكومين، فمثلاً يرى «هيجل» أن الإنسان لم يجد حريته وسعادته الحقيقية إلا في الخضوع المطلق للسلطة الحاكمة، ومثله «بودان» الفرنسي، فهو يرى أن الدولة متمثلة في الحاكم هي صاحبة السيادة لأنها تعطي الأوامر للجميع ولا تتلقى أوامر من أحد... أما «هارولد لاسكي» المفكر الإنكليزي فهو ينظر إلى الدولة على أنها ليست المصدر الوحيد للحقوق، وأن المواطن له حق المقاومة إذا اعتدت الدولة على حقوقه الأساسية، وهذا ما أسماه «واجب المقاومة»(١٣).

أما لإسلام فقد وضع لنا علاقة متوازنة بين الحاكم والمحكومين تحدد لكل منهم مسؤولياته، وتعطيه حق ممارسة سلطاته، فهو يفرض على المحكومين طاعة الحاكم مادام عادلاً، فحق الطاعة مقابل إقامة العدل يقول القرآن الكريم: (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)(١٤).

ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى ويضع الأمور في نصابها الصحيح فيقول: «سيليكم من بعدي ولاة فيليكم البر ببره، ويليكم الفاجر بفجره

فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم»(١٥)

ويقول عليه الصلاة والسلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١٦).

ويقول أبو بكر بعد توليه الخلافة: «أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقومني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم)(١٧).

رابعاً: إشراف الحاكم على تنفيذ الشريعة:

الغاية من الحكومة الإسلامية إقامة شرع الله في أرضه، وترتيباً على ذلك، فإن الحاكم ملزم بحفظ الدين على أصوله المستقرة، والإشراف على تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، فله في هذا الشأن سلطان كبير ومهام متشعبة هدفها حفظ الدين وصلاح الدنيا... وهو في كل خطواته لابد أن يسعى إلى تحقيق الصالح العام للمسلمين وهذا لن يتحقق إلا بالالتزام بمنهج الله تعالى وشريعته، لأن هذا المنهج أعده الله لإسعاد البشر في الأرض، يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: «منهج الله جاء ليحكم حركة الحياة في الأرض ويقيم العدل بين الناس، ومع المنهج جاء التحذير بأن من يرد الحياة الحقيقية فليرع الله في الدنيا ليصل إلى الحياة الخالدة في الآخرة منعّماً مكرّماً، وإذا سيطر منهج الله على الحياة في الكون اعتدلت وامتلأت الدنيا خيراً مصداقاً لقوله سبحانه: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)(١٨)، ولو تصادمت الأهواء وتصارعت وبعدت عن منهج الله لانتشر الخراب والشقاء في الأرض»(١٩).

المنهج الإسلامي بين المركزية واللامركزية الإدارية:(٢٠)

المركزية الإدارية تقوم على وحدة السلطة الإدارية والعهد بأعمال الإدارة إلى الحكومة المركزية، وكل من يباشر عملاً إدارياً في أي طرف من أطراف الدولة يكون خاضعاً للحكومة المركزية ومسؤولاً أمامها.

أما اللامركزية الإدارية فهي تقوم على توزيع السلطة الإدارية بين الحكومة المركزية وبين هيئات محلية لها قدر من الاستقلال «مع خضوعها لإشراف الحكومة المركزية»، ولو حاولنا تتبع مراحل التنظيم الإداري للدولة الإسلامية نرى أن هذا التنظيم قد بدأ عندما أرسل النبي ﷺ إلى القبائل من يعلّمها القرآن وأحكام الدين، واتسع حينما بدأ ينيب عنه بعض العمال والموظفين في بعض المدن مثل الحجاز واليمن، أمثال معاذ بن جبل للقضاء في اليمن، وعتاب بن أسد للولاية في مكة، كما أنه عليه الصلاة والسلام بدأ في إرسال الرسل إلى القبائل المختلفة، بعضهم لجمع الزكاة، وبعضهم للغنائم والأموال والصدقات، أمثال علي بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة وآخرين، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي يحدد اختصاص هؤلاء ومسؤولياتهم، ويفوضهم بعض السلطة في الحدود التي تكفل لهم القيام بمسؤولياتهم، وكانت تلك بدايات التنظيم الإداري، إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو مستودع السلطة وهو الذي يفوضها لمن يختارهم في حدود خفيفة، وكان هذا النظام أقرب إلى مفهوم المركزية الحديثة، ورغم اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إلا أنه كان يحرص على السير على منهج الرسول، فكان يحتفظ بالسلطة في يده ويفوضها لمن يشاء ضمن الحدود التي تسمح له بالسيطرة على مجريات الأحداث.

وفي أول عهد عمر بن الخطاب كانت الإدارة مركزية مع الأخذ بمبدأ عدم التركيز الإداري، وهذا أعطى للولاة حرية أكبر في التصرف والإدارة.

ويلخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلسفته هذه في إيجاز فيقول: «ما كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، وما غاب عنّا ولينا فيه أهل القوة والأمانة»، وكان رضي الله عنه يلجأ إلى المركزية في المسائل العامة، كإدارة المعارك وتحركات الجيوش واتخاذ العواصم في الولايات المختلفة... إلخ، أما المسائل التفصيلية فكان يتركها للولاة.

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية بعد الفتوح الكبرى في العراق وفارس والشام وغيرها، بدأت حتمية وضع تقسيمات إدارية جديدة واتخذت هذه التقسيمات وجهين:

- تقسيمات إدارية إقليمية.
- تقسيمات إدارية مصلحية.

وفي عهد الدولتين الأموية والعباسية ظهرت بعض الأسباب المهمة التي أدت إلى ضرورة الأخذ ببعض سمات اللامركزية الإدارية ومنها: اتساع رقعة الدولة الإسلامية بسرعة كبيرة وترامي أطرافها مع صعوبة المواصلات، بالإضافة إلى النفور من المركزية من قبل كثير من أمراء الأقاليم.

سار خلفاء الدولتين الأموية والعباسية على نهج يقضي بمنح العامل كل الاختصاصات والسلطات التي تمكّنه من أداء عمله دون الرجوع إلى الحكومة المركزية إلا في أضيق نطاق.

وهكذا نرى أن المنهج الإسلامي في الإدارة العامة قد أمدّ الفكر الإداري الحديث بأسس ومقومات وجوده، ووضع له المبادئ التي تكفل له تحقيق التقدم والرخاء للبشرية جمعاء... والله ولي التوفيق. ■

الهوامش:

١ ـ د. سليمان الطماوي «الوجيز في القانون الإداري» مقدمة عامة ص٤.
٢ ـ المستشار عمر شريف نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ص٢٤.
٣ ـ انظر مجلة منبر الإسلام ـ عدد محرم ١٤٠٣هـ كلمة فضيلة الشيخ فكري حسن إسماعيل حول «الهجرة وقيام الدولة الإسلامية».
٤ ـ سورة آل عمران الآية: ١٥٩.
٥ ـ سورة الشورى الآية ٣٨.
٦ ـ انظر د. منصور أحمد منصور، قراءة في تنمية الموارد البشرية، المقدمة.
٧ ـ د. علي الدين هلال «علم السياسة» ص ٢١ وما بعدها.
٨ ـ سورة النحل الآية ٩٠.
٩ ـ النساء: ٥٨.
١٠ ـ سورة المائدة الآية ٨.
١١ ـ في رواية الترمذي (أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مني مجلساً إمام عادل).
١٢ ـ ذكره أبو يوسف في الخراج.
١٣ ـ انظر د. علي الدين هلال (علم السياسة) ص٢٢، ٢٣.
١٤ ـ سورة النساء الآية ٥٩.
١٥ ـ ورد في الصحيحين بالمعنى نفسه مع اختلاف اللفظ.
١٦ ـ أخرجه الإمام أحمد وعبدالرزاق عن ابن مسعود.
١٧ ـ راجع خلف محمد الحسيني (البيان في منهاج الإسلام) ص١٧٢.
١٨ ـ سورة الأعراف الآية ٩٦.
١٩ ـ فضيلة الشيخ: محمد متولي الشعراوي (معجزة القرآن) الجزء التاسع ص ٢٢.
٢٠ ـ لمزيد من التفاصيل راجع المستشار عمر شريف (نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية) ص٢٤٢ وما بعدها.

نظرات في كتاب الله - تعالى - 7/2

تفسير سورة «الفتح»

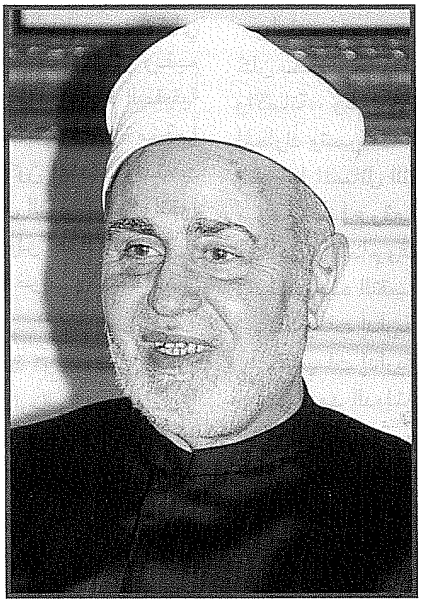

بقلم : فضيلة الدكتور
محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر

قال الله تعالى: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً. ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً. ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السَّوْء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنم وساءت مصيراً. ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً) الآيات من ٤ - ٧.

بعد أن بشَّر الله - تعالى - نبيَّه محمداً - ﷺ - بأعظم البشارات، وأكرمه غاية الإكرام، اتبع - سبحانه - ذلك ببيان جانب من نعمه على عباده المؤمنين الصادقين، فقال: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم).

ولفظ «السكينة»: مأخوذ من السكون. والمراد بها هنا: الثبات والطمأنينة التي أودعها الخالق - عزَّ وجلَّ - في قلوب عباده المؤمنين الصادقين، فترتَّب على ذلك أن أطاعوا الله - تعالى - وأطاعوا رسوله ﷺ، بعد أن ظنوا أن في شروط صلح الحديبية ظلماً لهم، وبعد أن بايعوا النبي ﷺ على الموت حين بلغهم أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قد اعتدى عليه المشركون.

وفي التعبير عن حلول السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين بالإنزال، إشعار بعلو شأنها، حتى لكأنها قد كانت مودعة في خزائن رحمة الله تعالى، ثم أنزلها بفضله وإحسانه في قلوبهم بعد ذلك. أي هو - سبحانه - بفضله ورحمته الذي أنزل السكينة والطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين، فانشرحت صدورهم بصلح الحديبية، بعد أن ضاقت به في أول الأمر.

وقوله تعالى: (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) تعليل لهذا الإنزال للسكينة.

أي: أنه - عزَّ وجلَّ - أوجد السكينة وسكبها في قلوب عباده المؤمنين، ليزدادوا يقيناً على يقينهم، وتصديقاً فوق تصديقهم، ورسوخاً على رسوخهم في إخلاص العبادة لله الواحد القهار.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)(١).

وقوله - سبحانه - (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً. فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم، وماتوا وهم كافرون)(٢).

ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية الكريمة وأمثالها في المعنى: أن الإيمان يزيد وينقص، قال الإمام الآلوسي - رحمه الله -: قال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص.

واحتجوا على ذلك بالعقل والنقل، أما العقل، فلأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان، لكان إيمان آحاد الأمة، المنهمكين في الفسوق والمعاصي، مساوياً لإيمان الأنبياء، واللازم باطل، فكذا الملزوم.

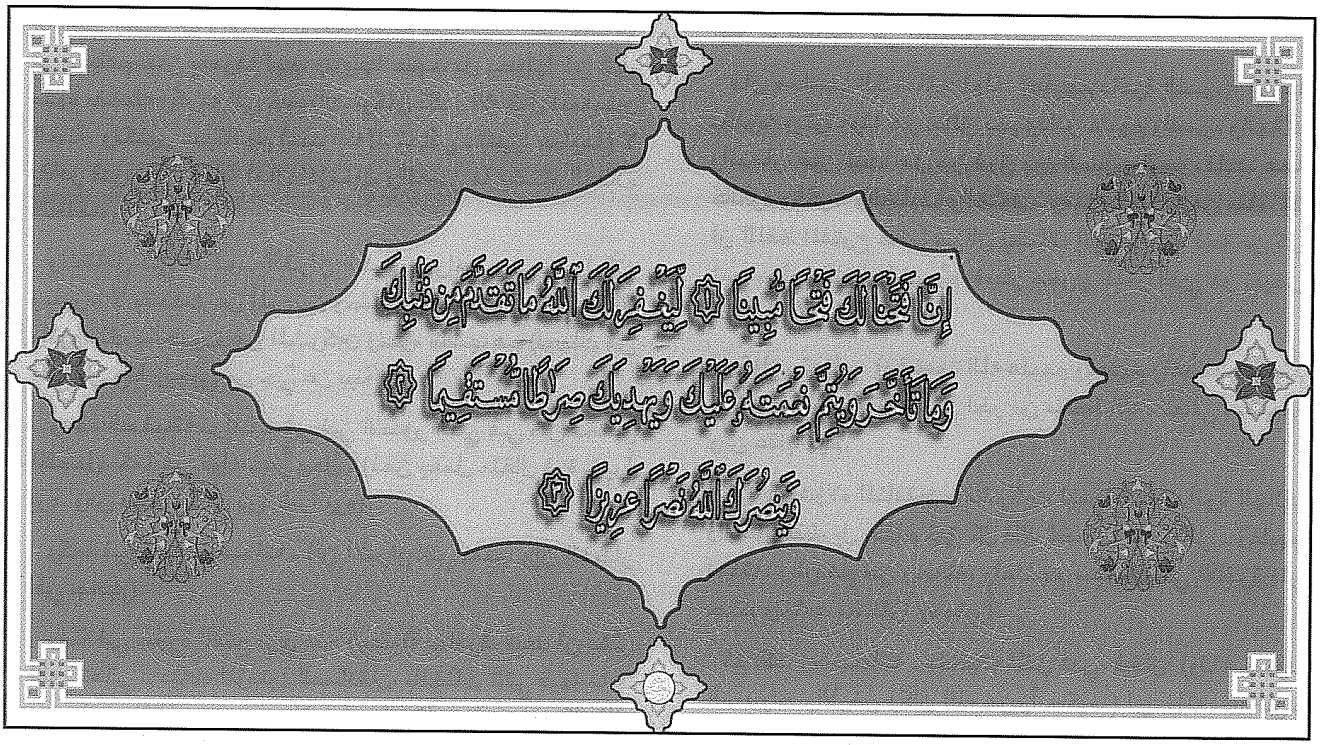

وأما النقل، فمن شواهده تلك النصوص الكثيرة التي وردت في هذا المعنى، ومنها الآية التي معنا وما في معناها من آيات أخرى.

وفي الحديث الشريف عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قلنا يا رسول الله: هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخله النار»، وقال ﷺ: «لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر، لرجح إيمان أبي بكر».

وقال الإمام النووي وغيره: إن الإيمان بمعنى التصديق القلبي، يزيد وينقص، بكثرة النظر، ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم»(٣).

ويرى بعضهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه عندهم اسم للتصديق البالغ من الجزم المسمى بالإذعان، وهو لا يتصور فيه نقص ولا زيادة.

والحق أن الإيمان يزيد وينقص، لأن النصوص التي سبق أن ذكرناها تؤيد ذلك، ولأن التصديق القلبي يزيد ويقوى بكثرة البراهين وقوتها، وكل شخص يشعر من نفسه أن عقيدته في أي شيء تقوى وتتفاضل، حتى تكون في بعض الأحيان أقوى منها في بعض آخر، وكلما صفت النفس، وطهر العقل، وزكا العقل، وحسنت الصحبة، قوى الإيمان، ورسخ اليقين، وثبت التصديق، وارتفع في إخلاص العبادة لله الواحد القهار، حتى يكون ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ثم بيَّن ـ سبحانه ـ بعد ثنائه على نبيه محمد ﷺ وعلى أتباعه الصادقين، أن هذا الكون بمن فيه وبما فيه، إنما هو ملك له ـ عزَّ وجلَّ ـ وحده، دون أن يشاركه في ذلك مشارك، أو ينافسه منافس، فقال: (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً).

أي: ولله ـ تعالى ـ وحده جنود السموات والأرض، من ملائكة، وجن، وإنس، إذ الكل تحت قهره وسلطانه فهو ـ سبحانه ـ الذي يدبّر أمرهم كيف شاء، ويدفع بعضهم ببعض، كما تقتضي حكمته وإرادته، وهو ـ تعالى ـ العليم بكل شيء، الحكيم في جميع أفعاله وتصرفاته.

وشبيه بهذه الآية في شمول ملك الله ـ تعالى ـ لكل شيء، في هذا الكون قوله ـ سبحانه: (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)(٤).

وقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)(٣).

ثم بيَّن ـ سبحانه ـ الحكمة في إعطاء رسوله ـ ﷺ ـ تلك المنازل العالية، وفي إنزال الخير على عباده المخلصين، فقال: (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار...)

واللام في قوله ـ تعالى ـ «ليدخل» متعلقة بمحذوف: أو بقوله: «فتحنا».

أي: فعل ـ سبحانه ـ ما فعل من بشارات سامية لرسوله ـ ﷺ ـ ومن ثبات لقلوب عباده الصالحين، ومن جعل جنود السموات والأرض تحت سيطرته وملكه، ومن دفع الناس بعضهم ببعض، ليدخل المؤمنين الصادقين، والمؤمنات الصادقات، جنات عاليات، تجري من تحت أشجارها الأنهار (خالدين فيها) خلوداً أبدياً

مادامت السموات والأرض (ويكفّر عنهم سيئاتهم) التي فعلوها في دنياهم، بأن يغفرها لهم، ويزيلها عنهم، بل يحولها لمن شاء منهم بفضله وكرمه إلى حسنات (وكان ذلك) الإدخال للمؤمنين الجنة، وتكفير سيئاتهم (عند الله) - تعالى - (فوزاً عظيماً) لا يقادر قدره، لأن نهاية آمال المؤمنين، وأقصى ما يتمناه العقلاء المخلصون.

والمتأمل في أسلوب القرآن الكريم، يراه في معظم آياته وسوره، لا يتحدث عن المؤمنين وحسن عاقبتهم في موضع، إلا واتبع ذلك بالحديث عن المشركين وسوء مصيرهم (ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بينة).

وهذه الحقيقة نراها حتى في السور التي هي من قصار المفصل، كما في قوله - عزَّ وجلَّ - (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره).

وكما في قوله - سبحانه - (إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم).

وهنا في سورة الفتح نرى هذه الحقيقة سافرة، فبعد أن بشّر الله - تعالى - عباده المؤمنين الصادقين، بالجنات التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بعد كل ذلك جاء الحديث عن سوء مصير المشركين الذين اتخذوا مع الله - تعالى - آلهة أخرى، حيث قال - سبحانه -: (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء).

أي: أن عدالة الله - تعالى - قد اقتضت أن يدخل الذين أخلصوا له المبادرة والطاعة جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، وأن يتجاوز عن سيئاتهم، وأما المنافقون والمنافقات الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، فهم الذين حكم الله تعالى عليهم بالكذب، وأما المشركون والمشركات الذين عبدوا غير الله تعالى من مخلوقاته، فأولئك جميعاً لهم جهنم وبئس المصير.

وقوله - سبحانه - (الظانين بالله ظن السوء) صفة أخرى من صفات هؤلاء المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، قصد بها الزيادة في ذمهم، وفي تقبيح أحوالهم.

أي: ويعذب - سبحانه - هؤلاء الذين جمعوا إلى جانب نفاقهم وشركهم، رذيلة أخرى، ألا وهي أنهم ظنوا بالله - تعالى - وبرسوله ﷺ، وبالمؤمنين، الظن السيئ، بأن توهموا أن الهزيمة ستحل بهم، أو أنهم هم الذين على الحق، وأن أتباع الرسول ﷺ - على الباطل.

وقوله: «السوء»: صفة لموصوف محذوف. أي: الظانين بالله ظن الأمر السَّوْء.

وقوله - تعالى: (عليهم دائرة السَّوْء): دعاء على هؤلاء المنافقين والمشركين، بأن ينزل بهم ما أرادوه للمؤمنين من شر وهزيمة. أي: عليهم وحدهم ينزل ما يتمنونه للمؤمنين من سوء وبلاء.

والدائرة في الأصل تطلق على الخط المحيط بالشيء، ثم استعملت في النازلة أو المصيبة المحيطة بمن نزلت به، وتستعمل أكثر ما تستعمل في المصائب والمكاره.

قال صاحب الكشاف: قوله: (عليهم دائرة السوء)، أي ما يظنونه ويتوقعونه هو حائق بهم ودائر عليهم والسوء والهلاك والدمار، فإن قلت: هل من فرق بين السوْءِ والسوء قلت: هما كالكَره والكُره، والضَّعف والضُّعف، وهما مأخوذان من ساء، إلا أن اللفظ المفتوح غالبٌ في أن يضاف إليه ما يُراد ذمه من كل شيء، وأما اللفظ المضموم، فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير»(٦)

وقوله - تعالى: (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنم وساءت مصيرا) بيان للون آخر من سخط الله - تعالى - عليهم، ومن عقابه لهم.

أي: أن هؤلاء المنافقين والمشركين، ليس عليهم دائرة الهلاك والدمار فقط، بل عليهم فوق كل ذلك غضب الله - تعالى - وعليهم لعنته، وطردهم من رحمته، وأعدلهم سبحانه في الآخرة نار جهنم وساءت مستقراً ومصيراً.

ثم أكد - سبحانه - ملكيته لكل شيء فقال: (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً) أي: ولله - تعالى - جنود السموات والأرض، وكان - سبحانه - ومازال غالباً على كل شيء، حكيماً في كل أوامره ونواهيه، وفي كل تصرفاته وأفعاله.

ولما كان المقصود من ذكر الجنود هنا: تهديد المنافقين والمشكرين، وأنهم في قبضته - تعالى - ناسب أن تختتم الآية هنا بقوله: (وكان الله عزيزاً حكيماً) لأن العزة تقتضي الغلبة للغير.

ولما كان المقصود من ذكر الجنود في الآية الرابعة من هذه السورة، بيان أن المدبّر لهذا الكون هو الله تعالى ناسب أن تختتم الآية هناك بقوله سبحانه: (وكان الله عليماً حكيماً).

هذا، والمتأمل في هذه الآيات يراها قد بشّرت المؤمنين الصادقين بما يستحقونه بفضل الله تعالى من خير عميم، وأجر جزيل، كما أنذرت المنافقين والمشركين بسوء المصير، لكي يعتبر العقلاء، وينهجوا النهج الذي يجعلهم من السعداء لا من الأشقياء.

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعاً ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه. ■

الهوامش :

١ - سورة الأنفال: الآية ٢.
٢ - سورة التوبة: الآيتان ١٢٤، ١٢٥.
٣ - تفسير الآلوسي ج٢٦ ص ٩٢.
٤ - سورة المائدة: الآية ١٢٠.
٥ - سورة الأعراف: الآية ٥٤.
٦ - تفسير الكشاف ج٤ ص ٣٣٤.

بقلم : د. أحمد محمود كريمة

وسائل العبادات ومقاصدها في التشريع الإسلامي

العبادات في اللغة الطاعة، والمعبّد: المذلّل من الطريق وغيره، وتعبّد نفسك.(١)

ويرى أبو الأعلى المودودي أن المفهوم الأساسي لكلمة «عبد» هو أن يذعن المرء لعلاء أحد وغلبته، ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ويترك إزاءه كل المقاومة والعصيان وينقاد له انقياداً.(٢)

وعرّف ابن تيمية العبادة بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد بالكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك كله من العبادة لله.(٣)

العبادة محبة وخضوع

لابد من توافر عنصرين في سلوك الشخص حتى يعد تصرفه عبادة، وهو الذل والحب، فالخضوع والذل من دون المحبة، كذلك المحبة من دون خضوع ومذلة لا يشكل أي منهما عبادة بالمفهوم الإسلامي لها عند ابن تيمية، فمن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له.(٤)

أ ـ المحبة بين العابد والمعبود:

إن مفهوم العبادة في الإسلام مرتبط بالمفهوم الإسلامي لله سبحانه ـ الذي سبق أن أشرنا إليه ـ أن الصفة التي أكثر من وصف نفسه بها القرآن الكريم هي صفة الرحمة، ومن مستلزمات الرحمة المحبة، وفي العقيدة الإسلامية أن المحبة لا تقتصر على محبة المؤمن لله تعالى، بل يقابلها محبة الله تعالى للمؤمن.

لذا، كان مقياس الإيمان الصحيح الذي يرضى عنه الله متمثلاً في وصفه تعالى للمجتمع المؤمن. (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) المائدة:٥٤.

وادعاء حب الله لا يصدق إلا بالطريقة التي حددها الله سبحانه، أما أن يدّعي امرؤ أنه محب لله ثم يخالف كل ما أمر به الله فهو ادعاء باطل وزعم كاذب. قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) آل عمران:٣١.

فالدليل على محبة الإنسان لله تعالى يكون باتباع الشريعة التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله، فإن فعل المؤمن ذلك أحبه الله وزاده مع حبه مغفرة لذنوبه، أما الكافرون الذين يبتعدون عن طاعة الله فهم مطرودون من محبته، لذلك اتبعت الآية السابقة بقوله تعالى: (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) آل عمران:٣٣.

ب ـ محبة الله فوق كل محبوب:

بعض الناس يزعمون أنهم يحبون الله، ولكنهم يشركون في حبه سواه من الناس أو الأشياء أو المعاني، ومثل هذه المشاركة في المحبة يرفضها الله ويعذب أصحابها سواء أكان حبهم لغير الله معادلاً لحبهم لله أم زائداً عنه. قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) البقرة:١٦٥، وفي معرض المقارنة في درجة الحب بين الله وبين سواه، يقول تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة:٢٤.

إن هذا التهديد يعني أن العبادة الحقة القائمة على الخضوع وإخلاص المحبة لله عز وجل لا تكون مع محبة غيره ـ ممن ذكرهم الله أو سواهم ـ محبة تخل بالإيمان بالله عز وجل فهو أغنى الشركاء.

العبادة ذات أثر عملي

وقد أخبر رسول الله ﷺ بأن المحبة تولد في قلب المؤمن شعوراً يملؤه بحلاوة الإيمان، ففي الحديث: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة

الإيمان في قلبه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».(٥)

والإيمان ومحبة الله في الإسلام ذات نتائج عملية، تدفع إلى تكوين المؤمن في سلوكه وعلاقاته تكويناً إيمانياً إسلامياً، أما المحبة النظرية والتغزل بمحبة الله عز وجل أو محبة الرسول عليه الصلاة والسلام دون الاهتمام بالجانب العملي ـ كما عند بعض المتدينين من غير المسلمين ـ اتجاه لا ينسجم مع ما أكدته الآيات والأحاديث كما في الحديث السابق وانطلاقاً من القاعدة القرآنية: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران:٣١.

والأحاديث في هذا كثيرة مثل: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٦).

والصلاة التي تعتبر لب العبادة وأهم أشكالها، وأقواها وجوباً على المسلم وأكثرها ممارسة من قبله تهدف إلى تحقيق الاستقامة وتجنب ارتكاب الأخطاء والآثام: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) العنكبوت:٤٥.

ويؤكد الرسول عليه الصلاة السلام أهمية الصلاة باعتبارها تطهيراً للعبد من الخطايا، إذ إنها لتقارب أوقاتها تحول غالباً بين المؤمن وبين كثير من الخطايا وإن جهل واقترف شيئاً منها فإنها تسرع به إلى طريق التوبة والاستغفار قال عليه الصلاة والسلام: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه، فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(٧).

والزكاة عبادة مالية ولكن غايتها كذلك التطهير والتزكية للمجتمع، بالقضاء على الفقر المدقع، والحاجة الشديدة، وتطهير للفرد المعطي إذ يحسّ أنه أسهم بماله بإسعاد غيره، وللآخذ إذ تزيل ما بنفسه من المرارة وما قد يتراكم في قلبه من الحسد على من فضلوا عليه بالزرق، لذلك قال الله عنهم: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم) التوبة:١٠٣، والصوم وسيلة لدعم التقوى في النفوس والتقوى هي سياج النفس وهي المحرّك لكل خير: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣، والحج يذكر القرآن منافعه ثم ما فيه من الذكر: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات) الحج: ٢٧ـ٢٨.

الامتناع عن عبادة الله استكباراً وشركاً

قد يزعم بعض الناس أنهم لا يشركون بالله أحداً ولا يعبدون غير الله، كما أنهم لا يعبدون الله، ومثل هؤلاء أحد اثنين:

أولهما أنه لا يعبد الله لأنه مشغول بغيره وقد لا يكون هذا الغير إلهاً معبوداً بمعنى الكلمة، بل يكون شهوات نفسه وأطماعه، وهواه، فيكون ممن وصفهم الله سبحانه بالضلال وانغلاق السمع والقلب والبصر. قال تعالى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) الجاثية:٢٣.

والثاني: أنه لا يعبد الله استكباراً وعتواً وذلك أشد كفراً، قال تعالى: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) غافر:٦٠، ويرى ابن تيمية أنه ما من مخلوق يستطيع أن يخرج من العبودية لله بوجه من الوجوه لقوله تعالى: (إن كُلُّ من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) مريم:٩٣، فمن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية فهو أجهل الخلق، بل من أضلهم.(٨)

إلا أنه يرى مع ذلك أن من لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته، لابد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبداً لذلك المحبوب، وإذا كان عبداً لغير الله يكون مشركاً، وكل مستكبر فهو مشرك، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكباراً، لذا قال الله عنه: (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين)العنكبوت:٣٩.

عبادة الله تكريم للإنسان

لقد تبيَّن لنا أن الإنسان لا ينفك أن يكون محباً ومتعلقاً ومن ثم عابداً لشيء أو ذات أو معنى، وتبيَّن لنا كذلك أنه ما من شيء أو ذات أو معنى يستحق العبادة وحبها وتعلقها إلا الله سبحانه، وإن عبادة غير الله تؤدي بالإنسان أن يذل لما يعبد وأن علاقة الناس بالناس أو الأشياء المعبودة ستجعل من عبادها عبيداً يستذلهم من هو مثلهم أو أدنى منهم فتنتشر بين الناس عبودية البشر للبشر وتنقسم المجتمعات الإنسانية إلى جبارين متكبرين وعبيد مستذلين، أما عندما يتجه البشر كلهم إلى عبادة رب كل شيء وخالق كل شيء والمسيطر على كل شيء، تتحقق بينهم المساواة في العبودية لله وفي الوقت نفسه يحققون المساواة في التحرر من كل ما يستعبد الإنسان مما سوى الله.

لذلك وصف القائد المسلم الإسلام للقائد الفارسي بأنه جاء ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ويعبر ابن تيمية عن رفعة منزلة العبودية بأن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته.(٩) وهذا صحيح، إذ إن في كمال العبودية لله كمال التحرر من عبودية غيره، لذا كانت دعوة الرسل جميعاً قائمة أول كل شيء على الدعوة إلى عبادة الله، قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الأنبياء:٢٥، وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل:٣٦.

وإضافة صفة العبديّة أو العبودية في القرآن الكريم ترد دائماً على سبيل التكريم والرفعة، والتحرر من سيطرة القوى الشريرة كالشياطين، قال تعالى في بيان محاورة إبليس لعنه الله: (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين. قال هذا صراط عليَّ مستقيم. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) الحجر:٣٩ـ٤٢. والعابدون لله لهم ميراث الأرض، ومنهم تقبل التوبة وعليهم تُنزل الرحمة، ومسكنهم الجنة، والآيات في ذلك كثيرة منها: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء:١٠٥، ومنها (نبئ

عبادي أني أنا الغفور الرحيم) الحجر:٤٩، ومنها: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الزمر:٥٣، ومنها: (يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي) الفجر:٢٧-٣٠.

التحرر من القيود

ومن مظاهر هذا التحرر ما يلي:

أ - التحرر من وساطة الوسطاء:

فالله سبحانه وتعالى قريب منّا ندعوه بلا وساطة نبي ولا وساطة كاهن، قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة:١٨٦، لذا وجهنا القرآن الكريم إلى دعاء الله بالخفية بيننا وبين أنفسنا: قال تعالى: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) الأعراف:٥٥. وقال تعالى: (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال) الأعراف:٢٠٥. وقال تعالى: (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) الملك:١٣. ومن الحديث: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» (١٠).

ب - التحرر من الشكليات:

فالعبرة من العبادة في الإسلام إخلاص النية. قال تعالى: (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) غافر:٦٥. وقال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدو الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) البينة:٥.

وفي الحديث الذي يعتبر أصلاً من أصول الإسلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرأئ ما نوى) (١١).

فالذبائح مثلاً التي كانت تنحر في الأديان الأخرى لإرضاء الآلهة وتحرق دون أن يستفيد منها أحد - ومنها الذبائح الآدمية تروي تعطّش الآلهة المزعومة للدماء - لقد حررنا الإسلام من أمثالها، فالذبائح في ديننا وسيلة لإيصال الخير وإطعام المحتاجين أما الله فهو كما يقول تعالى: (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الحج:٣٧.

لذا، فإن المسلم يردد في كل ركعة من ركعات صلاته إعلان الإخلاص في عبادة الله وحده: (إياك نعبد وإياك نستعين)، أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك. وفي الحديث أيضاً: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)(١٢).

إن من ينظر في طقوس العبادات في الأديان الأخرى وشكلياتها يهوله ما يرى من الالتزام بطقوس ومراسم تقيد العابد وتجرد عبادته من الروح وتحيلها إلى طقوس فارغة ومجموعة من الحركات والألبسة والرموز المعقدة التي لا يفهمها عامة المتعبين غالباً، وإنما هي أسرار من أسرار الدين الغامضة، التي تمنح الكهنة ورجال الدين امتيازات يحسنون استغلالها، ومن هنا خلا الدين الإسلامي جملة وتفصيلاً من الكهنوت ورجال الدين وكل ما يتبعهم عادة من طقوس وشكليات، حتى المساجد فإن الأصل فيها ألا تعتبر مؤسسات رسمية يقوم على خدمتها وقيادة العبادة فيها أناس متفرغون لهذا العمل، وإنما هي أماكن للعبادة فحسب، يعمرها كل المسلمين وهم فيها متساوون تماماً، فإذا حضرت الصلاة فالقاعدة التي نصّ عليها حديث الرسول ﷺ : «يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله».(١٣)

وقد أقر الفقهاء بعد عصر الصحابة والتابعين جواز توظيف من يتولى الإمامة والأذان في المساجد نتيجة اتساع العمران وتعدد أنشطة الناس.

ومن التحرر من الشكليات أن العبادة غير مُقيدة بمكان معين، فأينما أدرك المسلم وقت الصلاة صلاها، ففي الحديث: «جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً)(١٤).

ج - التحرر من العنت والحرج

أن تقييد العبادة في الأديان الأخرى بالشكليات، وانطلاقها من فلسفة تفصل بين عناصر الإنسان روحه وجسده وعقله، جعلت من العبادة عبئاً ثقيلاً على الناس لذلك نرى في معظم الأديان انصراف معظم الناس عن ممارسة العبادات المقررة، لصعوبتها وتعقيدها وتخصص رجال الدين ليقوموا بتلك الواجبات عن جمهور أتباع الدين، واتخذوا ذلك حرفة لهم، أما الإسلام فالعبادة ميسرة وضمن طاقة الإنسان العادي، وفي إطار القاعدة الإسلامية التي لا يمكن التخلي عنها، وهي أنه لا حرج في الدين ولا تكليف فيه فوق طاقة الإنسان، قال تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة:٢٨٦. ولذلك وجدت العبادات البديلة والعبادات المخففة في الأحوال الطارئة، وهذا الأسلوب مما تفرّد به الإسلام على كل الأديان، فالوضوء بالماء وبديله التيمم، والصلاة مع الوقوف وعند العجز يصلي المرء قاعداً أو مضطجعاً، والصوم هو الأصل إلا أنه يجوز الإفطار في المرض أو السفر، وصلاة الأربع في السفر تصبح ركعتين، والحاج مقيد بأعمال ونوع معين من اللباس، فإن عجز فدى واستبدل، وصدق الله العظيم: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) الحج:٧٨.

شمول العبادة في الإسلام

سبق أن أوضحنا أن الإسلام قد أعطى مفهوماً موسعاً للعبادة فهي ليست قاصرة على الصلاة كما في الأديان الأخرى، وإنما تشمل كل نشاط يقوم به الإنسان سواء أكان متعلقاً بنفسه أم بربه أم بأسرته أم بمجتمعه، إذا قصد بذلك النشاط رضا الله، وقد سبق أن ذكرنا أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن أدناها إماطة الأذى عن الطريق وكلها وغيرها يمكن أن تكون عادة يثاب عليها المؤمن إذا أداها مريداً بها وجه الله عز وجل، وحسبنا قول الله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) الزلزلة:٧.

وهكذا بالنية الصادقة والإخلاص في العمل والاستقامة لله عز وجل يستطيع المسلم أن يجعل كل لحظة من لحظات حياته عبادة.

وقد لا يكون من السهل إحصاء أبواب العبادة في الإسلام، إلا أننا قد نستطيع أن نبين أنواع العبادات الرئيسة التالية:

أ - عبادات يؤديها المرء بجسده: كالصلاة التي تتضمن ركوعاً وسجوداً وقياماً وقعوداً، وكذلك الوضوء والطهارة وما يشبهها وكذلك الصوم.

ب - عبادات يؤديها المرء بماله: كالزكاة والصدقات التي يخرجها من ماله.

ج - عبادات بدنية ومالية: كالجهاد والحج، فهما يتضمنان أفعالاً

بدنية بمنتهى الخطورة كالتضحية بالنفس والطواف والسعي ورمي الجمار كما يتضمنان إنفاقاً مالياً بالسفر والإقامة والإعداد للجهاد وما يلزمه من مؤونة وسلاح ونحر للهدي في الحج.

د ـ عبادات ليست في الأصل عبادة وإنما هي أعمال بشرية عادية: كالقيام بالأعمال العادية كالزراعة والتجارة والأعمال الوظيفية التي يرتزق منها الإنسان. ويستطيع المؤمن أن يجعل منها عبادة يؤجر عليها من غير أن يلغي الجانب النفعي فيها، كالراتب، أو ربح التجارة وناتج الزراعة، وذلك بأن ينوي منها أن يستقيم على أمر الله ويعف نفسه عن الحرام، حتى الأعمال السلبية كالصمت والابتعاد عن الشر تعد عبادة إذا قصد منها إرضاء الله تعالى، ففي الحديث الشريف: «على كل مسلم صدقة، قال: أرأيت إن لم يجد، قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق، قال: أرأيت إن لم يستطع، قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة»(١٥).

هـ ـ عبادات عقلية وفكرية: وتتمثل بالتفكير في مخلوقات الله تفكيراً يقود إلى تعميق الإيمان وزيادة اليقين، فقد ينظر المرء في السماء والنجوم أو في دقائق خلقه في الأحياء أو غيرهم ويرى من دقائق صنعه وعجائب خلقه أدلة على وجوده، وحكمته، وتفضله، فيزداد إيمانه وينتقل هذا الإيمان إلى غيره من أهله أو من الناس، قال تعالى في الثناء على أمثال هذه التأملات: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار) آل عمران: ١٩٠ـ١٩١.

وقد ينظر إلى العبادات من زاوية أخرى سواء كانت عبادة فردية كالصلاة للمنفرد، أو جماعية كالصلاة الجماعية والجمعة وصلاة العيد وغير ذلك من التقسيمات، إلا أن الذي لا شك فيه إن العبادة في الإسلام شاملة لحياة المرء يؤديها المؤمن دون أن يعطل نشاطه الإنساني الاعتباري وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يغيب عنه في أي لحظة من لحظات حياته وفي كل عمل يقوم به. قال تعالى: (ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجيزهم الله أحسن ما كانوا يعملون) التوبة: ١٢٠ـ١٢١.

أهمية التقييد بالشرع في العبادة

مهما ظهر لنا من أنواع العبادة فإن أهم شيء أن نعبد الله كما أمرنا أن نعبده. فلا يجوز لنا أن نخترع أشكالاً من العبادة لم يأذن بها الله، فإن ذلك من البدع الباطلة الضالة، سواء أدى ذلك الابتداع إلى تحليل الحرام أو تحريم الحلال، وهذا ما يؤدي إلى الشرك كما سبق أن بيَّنا، قال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) الشورى:٢١.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ أن أخطر انحرافات الأديان نتجت عن زيادة شدتهم في الدين أكثر مما سمح الله به، وبخاصة في تحريم ما أحل الله من أمور الدنيا، فقد حرموا أطعمة معينة فقال الله عنهم: (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حُرِّمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) الأنعام:١٣٨.

وفي سورة الأنعام معظم ما يتصل بهذا الباب من انحراف الأديان، وحرمت بعض الأديان الزواج وابتدعت أنواعاً من الرهبنة تتعارض مع فطرة الإنسان كل ذلك اعتبره الإسلام خروجاً على الدين الحق والعبادة التي أرادها الله: (قُل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف:٣٢.

واعتبر كل ذلك كذباً على الله: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النحل:١١٦.

وإن ما شاع بين المسلمين من البدع في الانحراف بالعبادة أو تعذيب الجسد تحت شعار العبادة كالتمسح بالقبور، أو إضفاء صفات القدسية على الأشخاص باسم الولاية أو الصوفية ونحو ذلك كله مردود وباطل، ففي الحديث: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(١٦).

الفرائض هي أفضل العبادات

وهذه حقيقة يجب ألا تغيب عن ذهن المؤمن دائماً، وأن الناس كثيراً ما يميلون إلى التقييد ببعض النوافل ويهملون الفرائض كمن يقوم ليلة أو ليالي معينة في رمضان ويهمل في أداء فرض من الفرائض كصلاة الظهر أو العصر، أو أداء زكاة المال، إن النوافل في العبادات «وهي ما زاد على الفريضة» هي الطريق إلى الاستزادة من التقرب إلى الله تعالى والوصول إلى محبته، ولكن يجب ألا يكون على حساب الفرائض، بل بعدها حتى يمكن أن يقبلها الله ويحتسبها في ميزان أعمال المسلم التي يمكن أن توصل إلى أعلى درجات القبول عند الله.

قال ﷺ في الحديث القدسي عن الله عز وجل: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ومازال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته،ولئن استعاذني لأعيذنه»(١٧) ■

١ـ قاموس المحيط، ج١، ص٣١١.
٢ ـ المصطلحات الأربعة للمودودي، ص ٣٧.
٣ ـ العبودية لابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٩هـ، ص ٣٨ ـ ٣٩.
٤ ـ ابن تيمية ص٤٤.
٥ ـ مختصر المنذري، ج١، ص ١٤.
٦ ـ المنذري، الحديث ٢٤، ج١، ص١٤.
٧ ـ رياض الصالحين، ص ٤٠١.
٨ ـ العبودية ص ٨٠ ـ.
٩ ـ العبودية ص٨٠.
١٠ ـ رياض الصالحين رقم ٦٣، ص ٤٣.
١١ ـ البخاري ومسلم، رياض الصالحين، رقم١ ص٥.
١٢ ـ رواه مسلم، رياض الصالحين، رقم٨ ص٧.
١٣ ـ المنذري رقم ٣١٦، ج١، ص٩٩.
١٤ ـ المنذري رقم ٢٥٢، ج١، ص٧٥.
١٥ ـ رواه البخاري ومسلم من رياض الصالحين رقم ١٤٥، ص٧٧.
١٦ ـ المنذري، الحديث رقم ١٢٧٣، ج٢، ص٩٥.
١٧ ـ رياض الصالحين الحديث رقم ٩٦، ص ٦٠.

بقلم : حسن البراق

أهمية التمثيل الصحيح لدور مقاصد الشريعة في حياتنا

2/1

هناك إحساس عام ومكثف لدى الكثير من العلماء والمفكرين المعاصرين بوجود أزمة تعاني منها كل جوانب الوجود الإسلامي، تتمظهر بشكل صارخ في الانفصام النكد الذي وقع بين تعاليم مصدري القيم في الإسلام «الكتاب والسنة» وبين واقع المسلمين ووضعيتهم الحياتية، لذلك فإن الحاجة ماسة اليوم إلى تقريب المسلمين من دينهم وردم الهوة التي تفصل بينهم وبين التمثل الصحيح والواعي لمبادئه وقواعده، ما يعني إعادة ثقة الأمة بنفسها، وبدور علمائها، وغايات ومقاصد شريعتها.

إننا ونحن نعيش اختناقات الأزمة المفتوحة هذه، نحتاج إلى رؤية تجديدية، تقوم على أساس بناء عقل غائي تعليلي مقاصدي يدرك أن ما من شيء في هذا الوجود - فضلاً عن أحكام الحياة وتنظيماتها - إلا له حكمة وعلة وسبب، فلا مكان للمصادفة ولا للعبث في هذا الوجود، ولا مجال لانتفاء الأسباب، ولا للتواكل على الأماني الكاذبة والأحلام الخادعة، لأن الإسلام تميز بكونه يُقيم ذلك التوازن الصعب والبديع بين الإيمان بالسنن والنواميس والعلل والقوانين والأسباب وارتباط النتائج بها من جهة وبين الإيمان بوجود الله الواحد الخالق لكل الأشياء ومن ضمنها السنن والنتائج والأسباب والمسببات من جهة ثانية، لهذا فلا سبيل إلى إصلاح حال الأمة إلا بالإدراك الواعي لسنن الله في الأنفس والآفاق، وذلك أن القانون الإلهي لتغيير الأنفس والمجتمعات يقوم على المبدأ الرباني الخالد (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:١١.

لذلك، وبالنظر إلى أهمية مقاصد الشريعة كعلم عميق في الفهم والتنزيل للأحكام الشرعية، فإننا سنلقي بعض الضوء على هذا الموضوع مستنيرين بأقوال علماء أعلام قدامى ومحدثين.

١ - في معنى المقاصد والفكر المقاصدي

الحقيقة، أننا إذا تتبعنا ما كتبه علماء الأصول قديماً ونخص بالذكر الذين اهتموا بموضوع المقاصد فإننا لا نجد عندهم تعريفاً محدداً للمقاصد الشرعية ولا يستثني من هذا الحكم حتى الإمام الشاطبي الذي أصّل الأصول وقعّد القواعد وأذعن له الموافق والمخالف.

ويمكن إرجاع هذا الغياب على الأقل إلى سببين رئيسين:

الأول: لوضوح المعنى عندهم وهم الأئمة الأعلام.(١)

الثاني: لأن كتبهم هي كتب في علم الأصول بالأساس والحديث عن المقاصد إنما جاء تاريخا لا أكثر.

ورغم هذا، فإننا إذا استقرأنا عباراتهم فهمنا أن المقاصد الشرعية عندهم مرتبطة في أصلها برعاية مصالح الناس بما يوفر لهم شروط القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، (إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة:٣٠، إذ معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها.(٢)

إلا أن الأمر يختلف عند المحدثين إذ نجد عندهم تعريفات مستفيضة لمقاصد الشريعة، فالعلاّمة التونسي «الطاهر بن عاشور» يعرف مقاصد الشريعة العامة بكونها المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها.(٣)

وقد بث العلامة «الطاهر بن عاشور» في القسم الثاني من كتابه(٤) الكثير من أنواع هذه المقاصد نذكر منها:

- السماحة ويقصد بها سهولة المعاملة في اعتدال، فالشريعة وسط بين التضييق والستاهل وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط.(٥)

- حفظ النظام بجلب المصلحة ودرء المفسدة: إذ باستقراء الأدلة المختلفة حصل لنا اليقين بأن الشريعة متطلبة لجلب

المصالح ودرء المفاسد، واعتبرنا هذا قاعدة كلية في الشريعة، وبذلك انتظم لنا أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد.(٦)

- التغيير والتقرير: وهما مقامان مقصودان من التشريع الإسلامي عامة، ويعني الأول: تغيير الأحوال الفاسدة وإعلان فسادها وهذا المقام هو المشار إليه بقوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) البقرة:٢٥٧، وقوله (يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة:١٦.

والتغيير قد يكون إلى شدة على الناس رعياً لصلاحهم، وقد يكون إلى تخفيف إبطالاً لغلوهم.(٧).

- المساواة بين الخلق: فالبشر سواء في البشرية (كلكم لآدم) وفي حقوق الحياة في هذا العالم بحسب الفطرة ولا أثر لما بينهم من الاختلاف بالألوان والصور والسلائل والمواطن.(٨)

ويوضح العلامة (ابن عاشور) أن المساواة في التشريع ناتجة عن التساوي في أصل الخليقة فيقول: «فلا جرم نشأ هذا الاستواء فيما ذكر تساويهم في أصول التشريع مثل حق الوجود المعبر عنه بحفظ النفس وحفظ النسب، وفي وسائل الحياة المعبّر عنها بحفظ المال، ومن أول ذلك حقوق القرار في الأرض التي اكتسبوها أو نشأوا فيها مثل مواطن القبائل، وفي أسباب البقاء على حال نافعة وهو المعبر عنه بحفظ العقل وحفظ العرض.(٩).

- نفوذ الشريعة: فمن مقاصد الشريعة العامة أن تكون نافذة في الأمة إذ لا تحصل المنفعة المقصودة منها كاملة من دون نفوذها.(١٠).

وتسلك الشريعة لتحصيل ذلك مسلكين: المسلك الأول: مسلك الحزم في إقامة الشريعة، المسلك الثاني: مسلك التيسير والرحمة بقدر لا يفضي إلى انخرام مقاصد الشريعة.(١١)

- قوة الأمة واطمئنانها: فلا ينكر أحد أنه إذا كان صلاح حال الأفراد وانتظام أمورهم مقصد الشريعة فإن صلاح أحوال المجموع وانتظام أمر الجماعة أسمى وأعظم، لأن مقصد الشريعة من نظام الأمة أن تكون قوية مرهوبة الجانب مطمئنة البال.(١٢)

أما الحديث عن المقاصد الخاصة فقد خصص له العلاّمة «الطاهر بن عاشور» القسم الثالث من كتابه، ويعرفها بقوله: «هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، كما لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة، إبطالاً عن غفلة أو عن استنزال هوى، وباطل شهوة ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس، مثل قصد التوثق في عقدة الرهن، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النكاح، ودفع الضرر المُستدام في مشروعية الطلاق».(١٣)

أما الأستاذ المغربي «علال الفاسي» فيعرّف مقاصد الشريعة، «بأنها الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها(١٤)، وهو تعريف موجز واضح جمع فيه مقاصد الشريعة العامة والخاصة، فشطره الأول (الغاية منها) يشير إلى المقاصد العامة، وبقيته تعريف للمقاصد الخاصة الجزئية».(١٥)

وعلى العموم وباستقراء مختلف التعريفات المستعملة عند العلماء الأعلام قديماً وحديثاً يمكن القول :

إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد(١٦). والغاية من مراعاة مصالح العباد الآجلة والعاجلة هي تحقيق مقصد كلي ينحصر في أداء أمانة الاستخلاف في الأرض، وإعمارها بالصلاح والإصلاح وفق منهج الله (إن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله) هود:٨٨، لذلك فقد أوجبت الشريعة المحافظة على كيان الإنسان وحمايته من كل فساد قد يلحق بأحد مكونات هذا الكيان، فليس المقصود مجرد صلاح العقيدة، وصلاح العمل كما قد يتوهم بل أراد منه صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية.(١٧)

٢ - الفكر المقاصدي

مصطلح «فكر» قد يستعمل بمعان متعددة أقربها إلى ما نريده هنا هو قول بعض الأدباء «الفكر مقلوب عن الفرك، ولكن يستعمل الفكر في المعاني وموفر كل الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها»(١٨).

وبذلك يكون الفكر المقاصدي هو ذلك الفكر الذي يتأمل النصوص ليصل إلى ما وراء أحكامها من علل وما تهدف إليه من مقاصد، وما تسعى إلى تحقيقه من مصالح مادية أو معنوية، فردية أو اجتماعية أو أخرويه، ذلك على اعتبارأن الله لم يخلق شيئاً باطلاً أو لعباً، وكذلك لم يُشرع شيئاً عبثاً أو اعتباطاً، فكل أفعاله وأحكامه منوطة بالحكمة. ■

الهوامش :

١ - أقصد بالخصوص: الإمام أبو المعالي الجويني «توفي سنة ٤١٨هـ»، والإمام أبو حامد الغزالي «توفي سنة ٥٠٥هـ»، والإمام عزالدين بن عبدالسلام «توفي سنة ٦٦٠هـ»، والإمام شهاب الدين القرافي «توفي سنة ٦٨٤هـ»، والإمام أبو إسحاق الشاطبي «توفي سنة ٧٩٠هـ».

٢ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام، ص ٥١.

٣ - مقاصد الشريعة الإسلامية للعلاّمة الطاهر ابن عاشور، ص ٥١.

٤ - يضم كتابه ثلاثة أقسام: القسم الأول: في إثبات مقاصد الشريعة واحتياج الفقيه إلى معرفتها.. القسم الثاني: في مقاصد التشريع العامة، القسم الثالث: في مقاصد التشريع الخاصة بأنواع المعاملات بين الناس.

٥ - الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٦٠.

٦ - المرجع السابق ص ٦٤.

٧ - المرجع السابق ص ١٠٤.

٨ - ن.م.س. ص ٩٥.

٩ - ن.م.س. ص ٩٥ - ٩٦.

١٠ - ن.م.س ص ١٢٢.

١١ - المرجع السابق ص ١٢٣.

١٢ - مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور ص ١٣٩.

١٣ - م.س.ص ١٤٦.

١٤ - الأستاذ علال الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ص ٣.

١٥ - الدكتور أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الشاطبي، ص ١٩.

١٦ - ن.م.س. ص ١٩.

١٧ - الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٦٤.

١٨ - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٨٤.

بقلم : عقيل محمد سعيد العرفي

قبس من إعجاز القرآن

الحديث عن القرآن الكريم حديث لا يملّ الإنسان سماعه، ولا تسأم النفس حفظه، فهو جلاء القلوب من كل الذنوب، ومستودع العقول لكل كلام بليغ منقول، لا يتوانى عن النطق بآياته، كل عالم آتاه الله ذراية اللسان، وزوده بفيضه من كل سحر وبيان.

كيف لا؟ وهو الكتاب الجامع المانع، الذي فاق كل الكتب السماوية وغير السماوية، والسفر الذي بزّ جميع الأسفار، والمحتوى الذي ضمَّ عبر آياته كل الأحداث والأخبار.

تحدى الله سبحانه وتعالى به المشركين بخاصة والعرب قاطبة، وهم أهل العربية، ولا سيما أنه نزل على الرسول الأمي العربي محمد ﷺ، وبلسان قومه، ليكون معجزته على مر الزمان والعصور.

وهب الله سبحانه وتعالى لأنبيائه القدرات وزودهم بالمزيد من المعجزات، فقد سخَّر الجنَّ لنبيه سليمان، وجعل المسيح يُبرئ الأكمه والأبرص، وأعطى نبيه موسى القدرة في التغلّب على سحرة فرعون، ومنح نبيه نوحاً العمر المديد، حيث عاش ألف عام، إلا خمسين عاماً، وطلب منه صُنع الفلك وأنقذه ومن معه من الطوفان والهلاك، هذه بعض معجزات الرسل عليهم السلام، فهل كانت معجزة سيدنا محمد ﷺ توازي تلك المعجزات وتفوقها؟

نعم، لقد كانت معجزة سيدنا محمد ﷺ في قرآنه الكريم تفوق تلك المعجزات، ذلك لأن تلك المعجزات مادية من جهة، ووقتية من جهة أخرى، انتهت آثارها بعد مدة من حدوثها، كما أنها جاءت كإظهار لقدرة الأنبياء والرسل عليهم السلام، حتى يتعرَّف عليها الذين يدعون للإيمان بهم، وحتى يقرّوا بها ويؤمنوا بها وبمن نزلت لأجله، كذلك فإن تلك المعجزات لا أثر لها اليوم، فما نتحدث عنه أصبح تاريخاً تعرّفنا عليه من خلال معجزة - سيدنا محمد ﷺ - الدائمة.

فقد خالفنا أخبار أهل الكهف وقوم عاد وثمود، وأخبار نبي الله صالح وهود ويونس، وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع... إلخ.

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ في شهر رمضان المبارك، زينة الشهور على مرِّ الدهور.

(شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان) البقرة:١٨٥ تحدى الله سبحانه وتعالى به العرب قاطبة، كما أسلفت، فطلب منهم الإتيان بمثله أو الإتيان بعشر سور منه، أو الإتيان ولو بآية قصيرة منه كسورة الكوثر: (إنا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر)، (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء:٨٨.

(قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) هود:١٣. (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) البقرة:٢٣.

تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظه من كل شيء، فوصل إلينا بعد أربعة عشر قرناً، كما نزل على سيدنا محمد ﷺ لم يدخله أي تغيير، ولم يعتريه أي تبديل، فأحكمت آياته من لدن عليم حكيم خبير. (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر:٩.

طلب منا الحق سبحانه وتعالى قراءته والتمعن بآيته والتدبّر في سوره، وخاطب نبيه الكريم ﷺ، وطلب منه قراءته للناس لتعليمهم أحكامه، وحتى يقرّ في نفوسهم ويثبت في أفئدتهم. (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد:٢٤.

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) الإسراء:١٠٦، لذلك فلا غرابة في أن يكون كله، من أوله إلى آخره، إعجازاً، فهو إعجاز في البلاغة، وإعجاز في البيان، ففيه من دقة الوصف ما يبهر الأبصار، وفيه من روعة التصوير ما يُدهش الأنظار، وفيه من جودة التعبير ما يجعل المرء يكتشف من خلاله الأحكام والأفكار، ما قرأه جاهل، إلا آمن به، وما قرأه عالم إلا ازداد به إيماناً فوق إيمانه، ويقيناً فوق يقينه.

تحدث المزيد من العلماء عنه، وتناول كل منهم جانباً من جوانبه المتعددة الكثيرة، وسيكون حديثي عن سورة التكوير، على أستطيع إيضاح ما أرمي إليه.

سورة التكوير، سورة مكية، عدد آياتها تسع وعشرون آية، خمس عشرة منها منتهية بتاء ساكنة، وأربع آيات منها منتهية بحرف الشين، وثلاث آيات منها منتهية بحرف الميم، وسبع آيات منها منتهية بحرف النون.

يمكن للقارئ أن يلمح الإعجاز بهذه السورة، إذا قرأها بشغف وتدبر، فمن المعروف أن المرء يملُّ السماع والقراءة، إذا سمع أو قرأ جملاً عدة معطوفة على بعضها بعضاً، ولا سيما إذا زاد العطف على خمس جمل أو ست جمل على الأكثر، حتى وإن استخدم الكاتب السجع في جملة، وقام بترصيعها بالمحسنات البديعية، سواء بالجناس أو الطباق أو اعتمد على الاقتضاب في كلامه أو الإسهاب به.

ولكن المرء يُدهش وهو يقرأ بداية سورة التكوير حيث يجد اثني عشر معطوفاً: (إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيّرت. وإذا العشار عُطّلت. وإذا الوحوش حُشرت. وإذا البحار سجّرت. وإذا النفوس زوّجت. وإذا المؤودة سئلت. بأي ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كُشطت. وإذا الجحيم سُعّرت. وإذا الجنة أزلفت).

فالعطف هنا جاء من خلال تكرار حرف العطف الواو بالظرف إذاً بعد الآيات التي تم عطفها علماً أن الآية التاسعة: (بأي ذنب قتلت) والتي لم

تبدأ بواو العطف إذاً هي تفسير للآية التي قبلها، والتي تتحدث عن الطفلة المؤودة التي يتم دفنها وهي حية، كما هي العادة في الجاهلية، قُبيل انتشار الدين الإسلامي الحنيف وإبطاله لتلك العادة الذميمة، كذلك نجد أن الكلمات التي سبقت الكلمة التي تنتهي بها كل آية، جاءت كلها أسماء مرفوعة بالضمة خمس منها جاءت محركة بالفتح، وأربع منها جاءت محركة بالضم وثلاث منها جاءت محركة بالكسر بعد أل التعريف.

الشمس ـ المؤودة ـ السماء ـ الجحيم ـ الجنة.

النجوم ـ الوحوش ـ النفوس ـ الصحف.

الجبال ـ العشار ـ البحار.

وهذا الترتيب العجيب يجعل المرء يزداد إعجاباً بالقرآن الكريم، فالفتح أسهل الحركات ويليه في القوة الضم، ثم الكسر وهو أقوى الحركات، ورب متسائل عن السر في عدم ملل القارئ أو السامع من تكرار الآيات المذكورة.

فنقول له ببساطة: إن السر يكمن في أن كل آية تنتهي بحرف التاء الساكنة فحرف التاء من الحروف المهموسة ومن حروف أدنى الفم، حيث يتم لفظه من طرف اللسان وأصول الثنايا، مما يسهل على القارئ، النطق به من جهة، والوقوف عليه بسهولة أيضاً، كذلك فإن القارئ يمكنه أن يخرج نفسه بسهولة أيضاً بعد الوقوف، ولا سيما أن التاء تبدو سهلة في اللفظ وفي الوقوف وفي المتابعة، وهذه السهولة تجعل القارئ لا يشعر بالتعب من القراءة ألبتة، وتوفّر له الراحة ولو مدة قصيرة بعد كل توقف ومثل هذا الترتيب والتناسق الذي هو إعجاز بحد ذاته، يزيد السورة المذكورة إعجازاً واضحاً في اللفظ وإعجازاً واضحاً في متابعة القراءة، ولاسيما أن كل آية من الآيات المعطوفة على بعضها بعضاً تحوي ثلاث كلمات.

والعطف هنا كما نلاحظ أيضاً ليس عطف آية على آية فقط، بل عطف جملة على جملة ومقطع موسيقي على مقطع موسيقي آخر، بعدد الكلمات نفسها، وبالإيقاع نفسه وبالوزن نفسه، ومثل هذه الخصوصية القرآنية لا نجدها في أي كتاب أو أي ديوان شعر في العربية بأسرها.

كما أن التتابع اللفظي المنسّق الذي ذكرته أعطى للسورة الكريمة، تتابعاً في اللفظ، وإيضاحاً وتطابقاً للمبنى والمعنى معاً، ولا سيما أن السورة الكريمة تتحدث عن يوم القيامة وماذا سيحدث للشمس وللنجوم وللجبال وللأرض وللبحار وللنفوس وما تحمله من أعمال وللسماء وما سيصيبها والجحيم وما سيحدث فيها، والجنة وما سيتم فيها كذلك...إلخ.

كذلك نجد بعد الآية الرابعة عشرة (علمت نفس ما أحضرت) والمنتهية بالتاء الساكنة، أربع آيات منتهية بحرف السين، ثلاث منها معطوفة على الآية الخامسة عشرة: (فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنّس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس).

والآيات المذكورة تضمُّ قسماً للحق سبحانه وتعالى، وتقابلاً بين النجوم التي تخنس في مجراها أي ترجع، والنجوم التي تكنس لتدخل في بروجها وتغيب في الموضع الذي تغيب فيه.

أما آية (والليل إذا عسعس) وآية (والصبح إذا تنفس) فإننا نجد فيهما تقابلاً واضحاً بين الليل والنهار، ومقارنة وتمايزاً بينهما أيضاً، فالصورة الرائعة التي تمثل دخول الليل بعيد الغروب وزوال النهار، والتي تشبه خروج الدخان ببطء من عود الحطب الذي يعسّ أي يشتعل ببطء، تقابل صورة قدوم النهار بُعيد زوال الليل، والتي تشبه تنفس الكائن الحي الذي تبدو نفسه أوضح وأسرع قليلاً، من مسير الدخان الذي يُشعر بدخول الليل. والإعجاز كامن أيضاً في عدد كلمات كل آية فالليل يقابله الصبح والظرف إذاً موجودٌ في الآيتين وكلمة عسعس تقابل كلمة تنفس، فكلمة عسعس تحوي أربعة حروف، وكلمة تنفس تحوي أربعة حروف، وشدد حرف الفاء فازداد حركة على عدد حركات كلمة عسعس، فكلمة عسعس تبدأ بمتحرك وساكن ثم متحرك فمتحرك، وكلمة تنفّس، تبدأ بمتحرك فمتحرك ثم فاء ساكنة تارة ومتحركة تارة أخرى، ثم متحرك فمتحرك، ومثل هذه الحركة التي نلمحها، حتى داخل الكلمتين معاً، حيث لا نجد مثيلاً لهذه الصياغة القرآنية العجيبة، إلا في القرآن الكريم نفسه، فالكلمتان على الرغم من الاختلاف الواضح بينهما في المعنى والتشابه الواضح بينهما في الصياغة والمبنى، تجعلان المرء عاجزاً أمام مفردات القرآن الكريم وآياته، لا يملك إلا الإعجاب بها من جهة، وقراءتها بتمعن وتدبّر من جهة أخرى.

كذلك فإننا نجد تتابعاً ملحوظاً في الاستمرار من خلال حرف التاء الساكنة المهموس وحرف السين المهموس أيضاً، والحرف المهموس كما نعرف سمي مهموساً ذلك لأنه يتسع له المخرج فتخرج الحروف وكأنها متفشية، ويمكن أن نضع للحروف المهموسة خمس صفات فهي سهلة في المخرج، سهلة في اللفظ، سهلة في التوقف، من الممكن أخذ النفس للقارئ بعد التوقف بسهولة ـ يمكن للقارئ أن يتابع قراءته بعيد توقفه باستمرار دونما انقطاع.

كذلك نجد أن الآيات العشر التي ختام السورة الكريمة حيث نجد ثلاث آيات منها منتهية بحرف الميم وهي: (إنه لقول رسول كريم) (وما هو بقول شيطان رجيم)، (لمن شاء منكم أن يستقيم).

فآية (إنه لقول رسول كريم)، تقابل آية: (وما هو بقول شيطان رجيم)، توازيها في عدد الكلمات وتختلف عنها اختلافاً واضحاً في المعنى، فالقول الأول يعني أن القرآن الكريم جاء على لسان جبريل الذي كان يقوم بتبليغه لسيدنا محمد ﷺ، والذي كان كريماً على الله تعالى، إضيف إليه لنزوله به، والقول الثاني: هو أن القرآن الكريم ليس من قول الشيطان الرجيم والعياذ بالله. (ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بضنين. وما هو بقول شيطان رجيم. فأين تذهبون. إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين).

أما آية (لمن شاء منكم أن يستقيم) فقد جاءت للمقارنة مع الآية التي تلتها (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) التي هي ختام السورة.

أما الآيات الباقية، فقد انتهت جميعها بحرف النون المسبوق، بحرف من حروف المد، حيث سُبقت نون الكلمات التالية مكين، أمين، المبين، بضنين، للعالمين، العالمين بالياء، وسُبقت كلمة مجنون بالواو ومثلها كلمة تذهبون بالواو أيضاً.

وحرف الميم كما هو معروف من الحروف المذلقة، التي يمكن نطقها من التقاء الشفاه، حيث يتم نطقها بسهولة، كما يمكن مدها والرنين بها، تماماً كالتغني بحرف النون الذي سمع رنينه ممزوجاً بصوت الغُنّة، ولا سيما في قولنا الجماعي «آمين»، في صلاة الجماعة بعيد قراءة فاتحة الكتاب، ذلك لأنه أي حرف النون من الحروف المذلقة أيضاً، والتي تنطق بين أسلة اللسان إلى مقدم الغار الأعلى ممتزجة بصوت الغُنّة، كما أشرت، على اعتبار أن الغُنّة، صوت من أصوات الخيشوم الذي يكون مركباً فوق الغار الأعلى، حيث يمنح القارئ قدرة على المد ويمكنه من الاستمرار في القراءة مع الرنين في أثناء القراءة، ما يجعل القارئ يزداد خشوعاً وهيبة في أثناء قراءته.

والشيء الذي يجعلنا نزداد إعجاباً بسورة التكوير، هو وجود نهاية الآيات بحروف مهموسة سهلة النطق وحروف مذلقة سهلة النطق أيضاً، فلو كانت بداية السورة الكريمة هي نهايتها، لوجد المرء صعوبة في النطق بعض الشيء ولأكثر من التوقف الذي يكون مستحباً في بداية القراءة، وغير مستحب في نهايتها، حيث لا نهاية لقراءة المؤمن التي تكمن آناء الليل وأطراف النهار. ■

بقلم : سالم البهنساوي

التعايش مع غير المسلمين 2/1

إن حقوق غير المسلمين وحقوق النساء لهي من أكثر ما طعن به خصوم الإسلام عليه، ولقد أسهم مسلمون في إظهار الإسلام بالعدو لغير المسلمين وللمرأة، ونحمد الله أنهم قلة قليلة لا وزن لهم في المجتمع الإسلامي، لقد قالوا: إن غير المسلمين يخيّرهم الإسلام بين الإسلام أو القتل أو الجزية واستدلوا بالحديث النبوي «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...».

القلة القليلة من الأفراد إنما يسيئون إلى الإسلام بزعمهم أنه يأمر بقتال غير المسلمين حتى يعلنوا الإسلام.

هؤلاء لا يجهلون أنه لا يوجد مذهب معتبر من المذاهب الإسلامية قد تبنى هذا المفهوم للحديث النبوي ذلك أن هذا الحديث عام أريد به الخصوص وهم كفار مكة وذلك الخصوص ورد في قول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...) التوبة:٢٨.

كما لا يجهل هؤلاء أن النبي - ﷺ - لم يقاتل غير المسلمين في المدينة المنورة عندما أعلن فيها دولة الإسلام، وترك لهم حرية الإسلام أو البقاء على الكفر سواء كانوا من أهل الكتاب أو المشركين، والوثيقة التي وضعها وأعلنها لأهل المدينة جميعاً تضمنت أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

إنه لا يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل حيث تجاهلوا أن جمهور الفقهاء يقررون أن الحديث عام أريد به الخصوص، فالمراد بالناس هم أهل الجزيرة العربية وليس جميع الناس في الكرة الأرضية.

واستدلوا بالنص القرآني (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة:٢٩.

وتجاهلوا أن الحكم خاص بالمحاربين فقط، وهو ما يؤكده الواقع العملي ويؤكده قول الله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)، وقوله تعالى:(قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

الإساءة إلى دين الله

نأمل أن يدرك ذلك الذين يرفعون راية الجهاد وأن يكفوا عن الإساءة إلى دين الله تعالى. إن الذين يتمسّكون بفرض الجزية على الأوروبيين والأميركيين، قد جهلوا أن الخلافة أصدرت قانوناً للجنسية في ١٨٦٩/١/١٩م، هذا القانون ألغى التفرقة بين المسلمين والذميين، فأصبحوا جميعاً مواطنين.

حقيقة الجهاد

شرع الله الجهاد لرد العدوان وتحرير الإنسان، وشرع وضع الجزية حقناً لدماء المعتدين، وذلك بعد أن أصلح نظامها وأزال مظالمها.

إن من الجهل البيّن بأحكام الجزية في الإسلام أن يهاجر بعض المسلمين إلى أوروبا وأميركا وروسيا فراراً من اضطهاد بعض الحكومات العربية لهم، ثم عندما يجدون الأمن في المهجر يفتون بضرورة أخذ الجزية من الأميركيين والأوروبيين، مستدلين على ذلك بقول الله تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...) حتى قوله: (وهم صاغرون) التوبة/٢٩، فهذه الآية نزلت في الروم الذين حشدوا القوات للانقضاض على النبي ﷺ، والمسلمين في مقر دولة الإسلام وهي المدينة المنورة بعد أن أرسل النبي - ﷺ - الرسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام، والذين يفتون بأن يأخذوا الجزية اليوم من غير المسلمين يجهلون التالي:

١ - إن الجزية نظام موجود قبل الإسلام مقتضاه أن تدفع الدولة التي هزمت في الحرب ضريبة ذلك إلى الدولة المنتصرة وتسمى هذه الضريبة بالجزية.

٢ - أصلح الإسلام نظام الجزية فجعل لها سبباً ومقابلاً بإعفائهم من العمل في الجيش الإسلامي حتى لا يحاربوا لنصرة الإسلام والمسلمين كرهاً عنهم ، ولهذا من تطوّع بالحرب مع المسلمين تسقط عنه الجزية كما فعل أبو عبيدة مع أهل فلسطين، وكما فعل معاوية مع أهل أرمينيا وكما فعل آخرون.

٣ - التزم المسلمون بالكفالة الاجتماعية لمن يؤدون الجزية والقانون الذي أصدره عمر بن الخطاب فيه «أيما رجل من أهل الذمة ضعف

عن العمل يعال هو ومن يعولهم من بيت مال المسلمين».

٤ ـ أعفى الإسلام غير القادرين كالصغار وكبار السن فهي لا تعطى إلا عن يد «أي عن قدرة»، فالجزية في النص القرآني خاصة بهذه الفئة من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ونكثوا العهود فلا يدينون دين الحق، ومن ثم اختاروا القتال والعدوان. ولهذا فإن قبولهم الجزية ليس إلا سبيلاً لإنهاء حال الحرب وحقن الدماء، ومع هذا فلا تفرض الجزية عليهم جبراً، فهي عقد رضائي وليست من النظام العام فيفرض فرضاً فالصغار هو قبول حكم الإسلام وقانونه والرضا به، لهذا قَبِل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اعتراض نصارى تغلب على الجزية، ووافقهم على طلبهم التعامل بنظام الزكاة، كما أن الإمام الشافعي في كتابه «الأم» يقرر أنه من كان صغيراً، وأدخل في عقد الجزية تبعاً لوالديه، فإن له الخيار عند رشده بقبول هذا العقد أو رفضه. الأم٤/٢١٢.

القتال والتعايش السلمي

فرض الإسلام التعايش السلمي مع الناس جميعاً، لأن الله الخالق قدر أن الاختلاف في العقائد والشرائع والألوان والألسنة والأمم، أمر يتصل بالحياة الدنيا ولا ينفك عنها.

في اختلاف الناس في العقائد والشرائع قال الله سبحانه وتعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود: ١١٨، ١١٩، كما قال الله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) المائدة: ٤٨.

فإذا كان الله قد أنبأنا أنه سيحكم يوم القيامة بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون فإنه لم يتركنا سدى يصارع ويقتل بعضنا بعضاً بسبب هذه الخلافات وخصوصاً أنها خلافات في الأصول والعقيدة والدين.

لهذا لا ينكر الإسلام حقوق غير المسلمين بمن فيهم من ينكرون شريعة الإسلام ومن ينكرون حقوق الله تعالى، أن أساس التعايش السلمي قول الله تعالى: (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة:٨.

لقد اعترف الإسلام بغير المسلمين وبحقوقهم لأن الله يجعل الرضا والاقتناع هو سبيل الدخول في الدين، فقد نهى سبحانه وتعالى عن الإجبار والقهر، قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة:٢٥٦.

إنه نص واضح حيث لا يجوز إجبار أحد على الدخول في الدين، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة، والآيات في هذا المعنى كثيرة مكية ومدنية كقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل:١٢٥.

وهذا الحكم العام لا يتعارض مع آيات قتال غير المسلمين لأنها ليست عامة وكذلك الأحاديث النبوية في قتال الناس حتى يسلموا فقول الله تعالى: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) التوبة:٥.

إنه حكم نزل في أهل الجزيرة العربية الذين اختارهم الله لحمل الرسالة فأنزل القرآن الكريم فيهم وبلغتهم وترك لهم مهلة كافية للاختيار بعد المعجزات الحسية على يد النبي ﷺ بخلاف المعجزة القرآنية كتاب الله تعالى الكريم، وفي هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله» رواه البخاري ومسلم.

إن النص القرآني والحديث النبوي بشأن قتال غير المسلمين هو حكم خاص بالعرب في الجزيرة العربية وليس عاماً في جميع غير المسلمين.

فالنص القرآني ورد في سياق خاص بالمعاهدين الذين نقضوا عهدهم وهؤلاء من عرب الجزيرة، حيث قال الله فيهم: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا تقاتلوا قوماً نكثوا ايمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة) التوبة: ١١ ـ ١٣.

كما قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) التوبة/٢٨.

والحديث النبوي خاص بهؤلاء العرب وليس عاماً في جميع الناس، فلفظ الناس هنا عام ولكن أريد به الخصوص كقول الله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) آل عمران:١٧٣.

فالقائل هو نعيم بن مسعود وليس جميع الناس والذين جمعوا الجموع لقتال النبي والصحابة ليسوا جميع الناس، بل أبو سفيان، لهذا فالناس في الحديث النبوي هم عرب الجزيرة.

لقد أخذت الدساتير المعاصرة بقاعدة إقليمية القانون واستثنت منها مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث فتخضع لشريعة الزوجين أو شريعة الزوج إذا اختلفا ديانة.

غير أن الدول الكبرى لم تحترم هذا واعتبرت أن ما لديها من قواعد باطلة شيء مقدّس يسمو على ما عداه وبالتالي يطبق على أصحاب الديانات الأخرى بحجة أنه من النظام العام للدولة.

وبهذا يجبر المسلمون في أميركا وبريطانيا وفرنسا وغيرها على الخضوع للقانون العلماني في مسائل الزواج والطلاق والميراث.

أما الشريعة الإسلامية فقد احترمت الديانات الأخرى ليس فقط في مسائل الأحوال الشخصية، بل في كل ما يتصل بهذه الديانات من معاملات.

فلا تخضع غير المسلم للإسلام في مسائل الأحوال الشخصية ولا في المعاملات، بل يترك الإسلام لغير المسلمين الاحتكام إلى قواعدهم الخاصة، قال الله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)

المائدة/٤٨ وقال: (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) المائدة/٤٧.

وفي هذا نصت المادة الثالثة من دستور المدينة المنورة على أن اليهود على ربعتهم يتعاقلون فيما بينهم معاقلهم الأولى.

أي أن لليهود الاحتكام إلى نظامهم الداخلي السابق على هذا الدستور في التكافل والديانات وغيرها، لهذا أنشأ عمرو بن العاص بعد فتحه لمصر، محاكم خاصة للنصارى يحكم فيها قضاة منهم.

تصحيح المفاهيم

إن بعض الفصائل الإسلامية التي رفضت التعددية في الفكر والفهم والحياة، وزعمت أنها وحدها الجماعة المسلمة في العالم وأن ما عداها على الباطل، هذه الفصائل - رغم قلتها وتشرذمها - قدمت نفسها لغير المسلمين على أنها الممثل الشرعي الوحيد للإسلام وقدّمت للعالم فهمها الخاطئ عن الجهاد على أنه الإسلام، فأساءت إلى الإسلام والمسلمين، رغم أنه لم يحدث أن اعتدى المسلمون على أقوام مسالمين وها هي رسائل النبي ﷺ تثبت أنه قد سالم غير المحاربين وخيَّر المحاربين بين الجزية أو القتال.

التعامل مع المحاربين

هذه هي سياسة النبي - ﷺ - مع الدول التي لم تستخدم الحرب وسيلة للتعامل مع المسلمين واكتفى بإبلاغهم دعوته السلمية ولم يرتب على رفضها شيئاً كما هو ظاهر من جميع رسائله إلى الملوك، أما عندما أعد هرقل أمبراطور الروم العدة لغزو المدينة المنورة وتجمعت طلائع جيوشه لهذا الغرض ثم قتلوا الحارث بن عمرو الأزدي مبعوث النبي - ﷺ - إلى ملك بصرى، وكان قتله في مدينة مؤتة، أرسل النبي - ﷺ - إليهم جيشاً اشتبك مع جيوش الروم في معركة سميت سرية مؤتة، واستشهد فيها القادة الثلاثة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة.

ولما تولى خالد بن الوليد القيادة انسحب بالجيوش وعاد إلى المدينة.

ولكن هرقل استمر في العدوان فجمع الجيوش في منطقة البلقاء قرب دمشق استعداداً لدخول المدينة المنورة وضم إليه المدن العربية الأخرى ومنها لخم وجذام، عندئذ قاد النبي - ﷺ - جيشاً سمي بجيش العسرة، حيث كان الحرُّ شديداً والعتاد قليلاً، وكان كل ثلاثة من الجنود يتناوبون جملاً واحداً، ولما وصل النبي - ﷺ - إلى تبوك، أرسل إلى قيصر الروم رسالة الحرب ونصها: (من محمد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل الإسلام فأعط الجزية فإن الله تبارك وتعالى يقول: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة/٢٩ فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية) هذا الإنذار الحربي لم تتضمنه رسائله السابقة، حيث كانوا مسالمين.

وهذه الآية قد نزلت بسبب خديعة هرقل للمسلمين، حيث ادعى أنه قد أسلم ثم أعد الجيوش مرتين لغزو المدينة فأمر الله بقتالهم حتى يعطوا الجزية ولهذا أرسل النبي - ﷺ - رسالته هذه وهي الثانية إلى هرقل رئيس الروم، الأولى كانت رسالة سلم ولم تتضمن الجزية والأخيرة تضمنت نص الآية القرآنية سالفة الذكر. (الآية من التوبة رقم ٢٩)

الفتوحات في بلاد الفرس

إنه كما كانت أسباب الفتوحات في بلاد الروم هي شروعهم في غزو المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، فقد كانت أسباب الفتوحات في بلاد الفرس قرار كسرى بإلقاء القبض على النبي، لأنه كتب إلى كسرى أمبراطور بلاد الفرس يدعوه إلى الله تعالى، ولما جاء المبعوث ووصل إلى قصره، وعلم كسرى بقدومه وبكتاب رسول الله - ﷺ - أذن أن يدخل عليه المبعوث، فلما وصل إليه أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب، فقال: لا حتى أدفعه إليك، كما أمرني رسول الله - ﷺ - فدنا وسلَّم الكتاب، فدعا كسرى من يقرأه له فَقُرئ فإذا: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، فأغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه، وصاح، وأخذ الكتاب فمزقه، وقال يكتب إليَّ بهذا، وهو عبدي وأمر بإخراج حامل الكتاب، فلما وصل الرسول إلى النبي - ﷺ - فأخبره الخبر دعا عليهم، أن يمزقوا كل ممزق، وقال: «اللهم مزّق ملكه».

انظر الكامل ج٢ ص٨٠، واليعقوبي ج٢ ص٦١، والطبقات الكبرى ج١، ص٢٥٩، والسيرة الحلبية ج٣/٢٧٧.

لقد أرسل كسرى اثنين من جنوده من اليمن للقبض على النبي وترحيله إلى المدائن لمحاكمته وقتله، فأمهلهما النبي إلى الغد، وفي الصباح أخبرهما أن الله سلَّط ابن كسرى عليه فقتله في الليلة نفسها، وعادا إلى اليمن ولما تحقق أميرها بأذان هذا الخبر أعلن إسلامه وأسلم معه أهل اليمن.

هذه هي أسباب الحروب بين المسلمين وبين دولتي الفرس والروم، فلم يكن المسلمون هم الذين بدأوا العدوان، فالله تعالى يقول: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة: ١٩٠.

علاقة المسلمين بغيرهم

يرتبط الإنسان بغيره من أبناء الوطن الواحد بكثير من الروابط الاجتماعية، حيث إن الإنسان اجتماعي بطبعه وفطرته.

ولقد أقام الإسلام هذه العلاقات على أساس من العدالة والمودة التي وجدها بين المخلوقات والبر والتعاون على الخير بناء على التعددية قال الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة/٢.

وقال الله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) الممتحنة/٨.

لهذا، فإن أول دستور وضعه النبي - ﷺ - في المدينة والذي يسمى بالصحيفة أو الوثيقة قد تضمن تحديد حقوق وواجبات الأقلية غير المسلمة وكانت من اليهود فنصت المادة ٣٠ أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

ونصت المادة: ٤٩، أن بينهم وبين المؤمنين النصر على من حارب

أهل هذه الصحيفة، ونصت المادة ٥٩ أن بينهم وبين المؤمنين النصر على من دهم يثرب «أي المدينة، التي كانت نواة الدولة الإسلامية»، ونصت المادة ٦٣ على أن لليهود أموالهم وأنفسهم ما للمؤمنين مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

لهذا كانت القاعدة في التعامل بين المسلمين وبين غيرهم من رعايا الدولة الإسلامية هي «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ولكن الفهم الخاطئ لبعض الآيات القرآنية الخاصة بالولاء والبراء يؤدي إلى القول بالتعارض بين آيات الموادعة والبر والمودة وبين آيات الولاء والبراء وآيات الجهاد والقتال، وهي خاصة بالمحاربين ولا تسري على المواطنين.

لقد حذّر النبي - ﷺ - من خلق هذا التعارض فيما نزل من عند الله سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، فقد سمع قوماً يتدارؤون في القرآن فقال: «إنما هلك من قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضُه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض...»رواه أحمد وابن ماجه.

ولقد ابتلي المسلمون بأفراد يظنون أنهم أكثر حرصاً على الإسلام والمسلمين، وهم يسيئون إلى الإسلام والمسلمين، حيث يتاجرون بالخلافات ويزعمون أن رأيهم هو الحق الذي لا حق غيره، وماذا بعده إلا الضلال.

فعلى سبيل المثال عندما نشرت مجلة الوعي الإسلامي بالعدد ٣٥٤ في صفر ١٤١٦هـ أن مؤتمراً عُقد في موسكو حول الإسلام والتفاهم بين مختلف الأديان والشعوب في العالم المتغير، وأن المؤتمر شاركت فيه لجنة مسلمي آسيا من الكويت والإدارة الدينية لمسلمي الإقليم الأوروبي في روسيا.

فما أن نشرت الوعي الإسلامي ذلك والتوصيات، حتى أصدر أحدهم كتاباً العام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م بعنوان: تهافت الشعارات وسقوط الأقنعة وهو يوزع مجاناً وليس فيه سوى الطعن في الآخرين وتجريحهم والافتراء على الكثيرين.

ولقد تضمن الفصل الثالث من الكتاب أن هذا المؤتمر قدّم تنازلات كثيرة لليهود والنصارى والشيوعيين فيكفي عقده في موسكو عاصمة الشيوعية التي ترفع لواء «لا إله والحياة مادة»، وجاء بالكتاب أن توصيات المؤتمر مناهضة العقيدة الإسلامية لأنه ما أريقت الدماء إلا لغرض الجهاد والمقصود أن التعايش السلمي يناهض العقيدة الإسلامية واستدل بالحديث الشريف «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه».

واعتبر الكاتب أن التوصية بحق الأقليات في ممارسة شعائرها الدينية هو دعوة إلى الكفر والإلحاد وحَمَل الكاتب على من شاركوا في المؤتمر ومنهم الدكتور عادل عبدالله الفلاح، والدكتور محمد عبدالغفار الشريف، والدكتور بدر الماص والمذكورون كويتيون، كما حمل على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وجريدة السياسة الكويتية، حيث نشرت بالعدد ٩٣٨٣ في ١٥/٥/١٩٩٥م، فتوى شرعية للوزارة بجواز تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم شرط ألا يكون فيها إقرار لهم على ما هو محرّم شرعي ولا شك أن الكاتب أو من كتب له يعلم أن الاتحاد السوفييتي قد أعلن في العام ١٩٩١م، سقوط «الشيوعية» ووضع دستور اعترف بالأديان وبالتعددية وسمح بالحريات وكل ذلك كانت عقوبته القتل.

فانعقاد المؤتمر في موسكو العام ١٩٩٥م «أي بعد أربع سنوات من سقوط الحكم الشيوعي» ليس فيه مؤامرة على الإسلام أو تنازل عن عقائده لصالح الشيوعية والشيوعيين، بل إن محاضرات هذا المؤتمر عقدت في جامعة الصداقة بين الشعوب «جامعة لومومبا» والتي كانت تصدّر الفكر الشيوعي للمبعوثين من العرب والمسلمين، وانهال المحاضرون نقداً للشيوعية، وعقدوا مقارنة بينها وبين الإسلام، كما نقدوا الحضارة الغربية وأوضحوا أن الإسلام هو البديل، ولكن الكاتب الذي لم يطلع على أي محاضرة يطعن في العلماء المشار إليهم وفي الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ولجنة مسلمي آسيا وباقي المشاركين الذين لمزهم فرداً فرداً واتهمهم بالتنازل عن العقيدة الإسلامية لصالح الشيوعية والحضارة المادية الغربية وهذا هو الإفك والبهتان، لأن الذي قدّمه هؤلاء شرف لا يناله من يتاجرون في الأعراض، ولا شك أن من كتب لهذا الكاتب يعلم أن النبي - ﷺ - وليس لجنة مسلمي آسيا هو الذي جعل لأهل الكتاب الحق في ممارسة شعائر دينهم وهذا ثابت في الوثيقة التي وضعها - ﷺ - لتحديد الحقوق والواجبات لرعاية الدولة الإسلامية، ولكن الكاتب بكل جرأة يزعم أن هذه دعوة إلى الكفر والإلحاد وأما باقي المغالطات فنتناولها في الصفحات التالية في مجال بيان ما يظنه البعض أنه محرَّم من المعاملات مع غير المسلمين.

وهناك كاتب لم يجد سبيلاً للجهاد سوى الطعن في شيوخه العلماء، فأصدر كتباً ينال فيها من الشيخ محمد الغزالي، والشيخ صلاح أبو إسماعيل، وآخرين زاعماً أنهم قد وقعوا في السقطات العلمية الشنيعة لعدم تخصصهم في الفقه، لأن مؤهلهم لا يؤهلهم إلا للوعظ فقط، ونسي أنه تخرج في السبيعنات من كلية الدراسات الإسلامية وعمل مدرّساً في المرحلة المتوسطة وهذه لا تؤهله للحكم على شيوخه.

لقد طعن فيما كتبته عن النصارى العرب وأنهم مواطنون لا حربيون ولا ذميون وأنه لا جزية عليهم لأن القوانين السائدة لا تعفيهم من التجنيد الإلزامي في الجيش، وأنه لا يسري في حقهم الحديث النبوي «أمرت أن أقاتل الناس»، لأنه خاص بمشركي الجزيرة العربية.

فكتب أن هذه آراء شاذة في زمن الهزائم التي مُني بها العالم الإسلامي وقد تبنّاها الكُتّاب المستغربون الذين فتنوا بالحضارة الغربية وتسابقوا في التزلف للغربيين بتأويل ما جاء في القرآن والسنة ليوافق أهواءهم.

ولما كتبت أن الإسلام لا يقاتل قوماً لم يقاتلوا ودخلوا السلام ولا يقاتل الإسلام قوماً بينهم وبين المسلمين عهد ولا يقاتل قوماً يقفون على الحياد.

فكتب أن جميع ما كتبت هو من صور التأويلات الانهزامية الضالة المخالفة لإجماع الأمة وهي تعطيل لعريضة الجهاد.

ولست أدري هل يجعل هذا الكاتب أن أئمتنا من الفقهاء هم الذين قالوا إن مناط القتال مع غير المسلمين هو الاعتداء ما جانبهم فلا

يقتل شخص لكفره، وهل جهل أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو الذي كتب «إباحة القتال من المسلمين مبنية على إباحة القتال من غيرهم»(١)

إن الفهم الخاطئ للولاء والبراء ولآيات القتال أدى بالبعض إلى تبني تحريم التعامل مع غير المسلمين ولو جعلوا ذلك رأياً خاصاً لهم فذلك من حقهم ولكنهم زعموا أنه التحريم الذي تبنوه هو الرأي الوحيد في الإسلام والتفريط فيه تفريط في العقيدة الإسلامية.

وفي محاسن التأويل للقاسمي: «واعلم أن الموالاة التي هي المباطنة والمشاورة وإفضاء الأسرار للكفار لا تجوز، فإن قيل: قد جوَّز كثير من العلماء نكاح الكافرة، وفي ذلك من الخلطة والمباطنة بالمرأة ما ليس بخاف؟

فجواب ذلك :

أن المراد موالاتهم في أمر الدين وفيما فيه تعظيم لهم، إلى أن قال: فحصل من هذا أن الموالي للكافر الفاسق عاصٍ ولكن أين تبلغ معصيته؟ يحتاج إلى تفصيل.

إن كانت الموالاة بمعنى الموادة، وهو يوده لمعصيته كان ذلك كالرضا بالمعصية، وإن كانت الموالاة كفراً كفر وإن كانت فسقاً فسق، وإن كانت لا توجب كفراً ولا فسقاً لم يكفر ولم يفسق.

وإن كانت الموالاة بمعنى المحالفة والمناصرة: فإن كانت محالفة على أمر مباح واجب كأن يدفع المؤمنون عن أهل الذمة من يتعرض لهم ويحالفونهم على ذلك فهذا لا حرج فيه بل هو واجب، وإن كانت على أمر محظور كأن يحالفونهم على أخذ أموال المسلمين والتحكم عليهم فهذه معصية بلا إشكال.

وكذلك إن كانت بمعنى أن يظهر سر المسلمين ويحب سلامة الكافرين لا لكفرهم، بل ليدلهم عليه أو لقرابة أو نحو ذلك، فهذا معصية بلا إشكال، لكن لا تبلغ حد الكفر، لأنه لم يرو أن رسول الله - ﷺ - «حكم بكفر حاطب بن أبي بلتعة».

قال القاسمي:

إن الذي يوجب الكفر من الموالاة أن يكون من الموالي الرضا بالكفر والذي يوجب الفسق هو أن يحصل الرضا بالفسق.(٢)

قال الشيخ محمد رشيد رضا:

إن المحظور في باب الولاية أن يوالي نفراً من المسلمين، اليهود والنصارى ويتعاهدوا على التناصر معهم من دون المؤمنين، أو يوالوا منهم بالتحدث معهم ضد باقي المسلمين، أما ما يكون من التحالف مع غير المسلمين لأجل مصلحة للمؤمنين أو دفع ضرر عنهم فهو موضع اجتهاد والجمهور والعلماء يجيزونه.(٣)

١ - عيادة المرضى غير المسلمين

إن عيادة مرضى غير المسلمين هو من البر الذي قال الله تعالى فيه: (أن تبروهم وتقسطوا إليهم) الممتحنة:٨.

ولقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي - ﷺ - فمرض فأتاه النبي - ﷺ - يعوده فقال له «أسلم فأسلم»(٤).

كما روى البخاري زيارة النبي - ﷺ - لعمه أبي طالب في مرضه وجعل عنوان الباب هو «باب عيادة المشرك».(٥)

٢ - غسل أموات غير المسلمين ودفنهم واتباع جنائزهم

إنه من الأمور البدهية أن يقوم المسلم بغسل قريبه الكافر ودفنه خصوصاً إذا لم يكن لهذا الميت من يقوم بذلك؟

ولقد ورد في القرآن الكريم إرشاد ابني آدم إلى ذلك عندما قتل ابن آدم أخاه قال الله تعالى: (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين) المائدة: ٣١.

إنه مع هذا الوضوح في هذا الواجب إلا أن الفهم الخاطئ لبعض آيات القرآن الكريم يجعل البعض يحرم غسل ودفن المسلم لغير المسلم مستدلاً بقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) الممتحنة:١٣.

إن نصوص الولاء إنما تعني نصرة الكافر على المؤمن، وما كان غسل الميت ودفنه نصراً له على أحد من المؤمنين.

وحسبنا أن النبي - ﷺ - عندما مات عمه أبو طالب أمر «علياً وهو ابنه أن يغسله ويكفنه ويواريه» رواه أبو داود والنسائي(٦) وهذا يقضي اتباع جنازته، ولقد ذهب الشافعية إلى وجوب تكفين من مات من أهل الكتاب ودفنه واحتساب ذلك من بيت مال المسلمين إن لم يكن له مال لأننا مكلفون بإطعامه وكسوته في حياته إذا عجز عن ذلك.(٧)

ولقد أجاز كثير من الفقهاء اتباع جنائز غير المسلمين لأن ذلك من البر(٨) وعن الحارث بن أبي ربيعة أن أمه ماتت نصرانية فتبع جنازتها في نفر من الصحابة.(٩)

٣ - زيارة قبور غير المسلمين

أبدى بعضهم تحريم زيارة قبور غير المسلمين مشاركة لذويهم في العزاء، ولكن جمهور الفقهاء يرى جواز هذه الزيارة لعدم وجود تحريم صريح، ولأن زيارة القبور ليست ولاء لهم فضلاً عن ذلك، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية أورد في الاستدلال على الجواز أن النبي - ﷺ - قال استأذنت إلى أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي فأستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكركم بالآخرة. ■

الهوامش :

١ - انظر فتح القدير ٢٩١/٤ ومغني المحتاج ٢١٠/٤ ورسالة القتال لابن تيمية ص ١١٦٠

٢ - محاسن التأويل للقاسمي: ٤: ٨٠، ٨١، ٨٢.

٣ - تفسير المنار ج١٦ ص ٨١، ٨٢.

٤ - انظر فتح القدير ٢٩١/٤ ومغني المحتاج ٢١٠/٤، ورسالة القتال لابن تيمية ص ١١٩٠.

٥ - فتح الباري ١١٩/١٠ ومجمع الزوائد للهيثمي ٣٠٠/٢.

٦ - المصنف للصنعاني ٣٩/٦.

٧ - مغني المحتاج ج١ ص ٣٤٨.

٨ - بدائع الصنائع للكاساني ٣٠٣/١.

٩ - المصنف للصنعاني ٤١/٦.

بقلم : موسى البوسعيدي

الوقف الإسلامي وأثره التنموي والحضاري

يعتبر الوقف في الإسلام مؤسسة كبرى وقربة دينية عظيمة لها أبعادها الإنسانية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية، لذا كان الوقف رمزاً للسماحة والعطاء، وعصباً للاقتصاد الإسلامي، ومفجِّراً للطاقات المبدعة في المجتمعات الإسلامية.

فالوقف يعد نظاماً راقياً للصدقات ومورداً مستثمراً للإنفاق يحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ويلبي حاجات ومنافع عظيمة للمحتاجين.

لهذا جاءت مشروعية الوقف في الإسلام حاملة معها حب التقرب إلى الله بالصدقة الجارية الخالدة، وحب الخير والإحسان بين أبناء المجتمع الإسلامي، وكان من أفضل القربات إلى الله أن ينفق الإنسان مما يحب، يقول الله سبحانه وتعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) آل عمران:٩٢، وعدَّد سبحانه أصناف البر فقال: (وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) البقرة:١٧٧، فكان الوقف هو الصدقة الخالدة في عطائها وفي جلب الأجر لفاعلها حتى بعد مماته، يقول الرسول - ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علَّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته».

لقد نادى الإسلام بتشريعاته بالدعوة إلى الخير، وسما بالنفوس إلى أعلى، فخاطب النفس الإنسانية بفعل الخير، قال سبحانه وتعالى (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) البقرة:٢١٥، وقال: (وتعانوا على البر والتقوى) المائدة:٢، وجاء عن الرسول ﷺ مبيناً ومرشداً إلى وجوب التكافل وفضله وعمومه واختلافه باختلاف الأحوال فقال: «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

التطور المنشود للوقف يكون من خلال منظور علمي وعملي تتسم فيه الرؤية المستقبلية لتشمل كل الظروف البيئية ومقتضياتها

يتبين لنا من كل هذا ارتباط نظام الوقف بالتنمية والتكافل الاجتماعي بجانب مشروعية الزكاة وسائر الصدقات الأخرى، فكانت كلها أنظمة إسلامية رائدة متفقة المبادئ والأهداف بما يعود بالمصلحة على أفراد المجتمع الإسلامي، وأصبح ميدان الوقف في الإسلام ميداناً فسيحاً يشمل كل ألوان البر بالإنسان حياً وميتاً، حتى أنه يشمل الرفق بالحيوان والطير، فهو ييسر سبل العيش الكريم للناس، فكان ولا يزال ذا أهمية تاريخية عظمى في الكفاح ضد الفقر والجهل والعجز الذي يشكل عقبات كبرى في طريق تقدم الإنسان ورقيه وتحقيق كرامته وحريته، ذلك أن الوقف في طبيعته نمط من أنماط توزيع الثروة من حيث هو مصدر لسد حاجات المجتمع في مختلف سبل ومجالات الحياة التعبدية والاجتماعية والتعليمية والصحية والاقتصادية وغيرها، وذلك لرفع مستوى المعيشة ولرفع تقدم المجتمعات فكان مصدراً لتمويل تلك المجالات لتشمل خدمتها وسط المجتمع الإسلامي والتي يزخر بها التاريخ الإسلامي منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري. وبذلك أصبح الوقف أحد مرتكزات التوازن الفكري في حياة البشر والذي تميزت به الشريعة الإسلامية ألا وهو التوازن بين القيم المادية والروحية المتمثل في فرضية الزكاة وسائر الصدقات الخيرية.

وعلى هذا، فإنه ليس أدل على رقي الأمة وازدهارها

وجدارتها بالحياة واستحقاقها لقيادة العلم من سمو النزعة الإنسانية في أفرادها سمواً يفيض بالخير والبر والرحمة على طبقات المجتمع كافة، بل على كل من يعيش على الأرض من إنسان وحيوان وطير وبهذا المقياس تخلد حضارات الأمم وبآثارها في هذا السبيل يفاضل بين حضارتها ومدنيتها.

وإذا كانت الحضارة نهراً خالداً متجدداً على حين تمثل حياة الفرد القطرات المتبخرة من هذا النهر، فإن من شأن الأوقاف تمويل الصناعة الحضارية والتطورات المستجدة على الساحة الآن.

إن الصحوة الإسلامية لها وزنها المقدر، ونواياها الطيبة، وكثرة الحاجات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية وغيرها لأفراد المجتمع، كل ذلك يؤكد الحاجة الماسة إلى إحياء سنة الوقف من جديد والذي يبشر بعدها بإمكان إحيائها وتطويرها وفق ما تقتضيه المصلحة الشرعية مستوعبة الدور الاجتماعي والاقتصادي الرائد الذي ينتظر منها، وبذلك تصبح هذه المؤسسة تعبر وبصدق عن أهمية التفكير في مستقبل المنشآت والخدمات التي تضمن استمرارها.

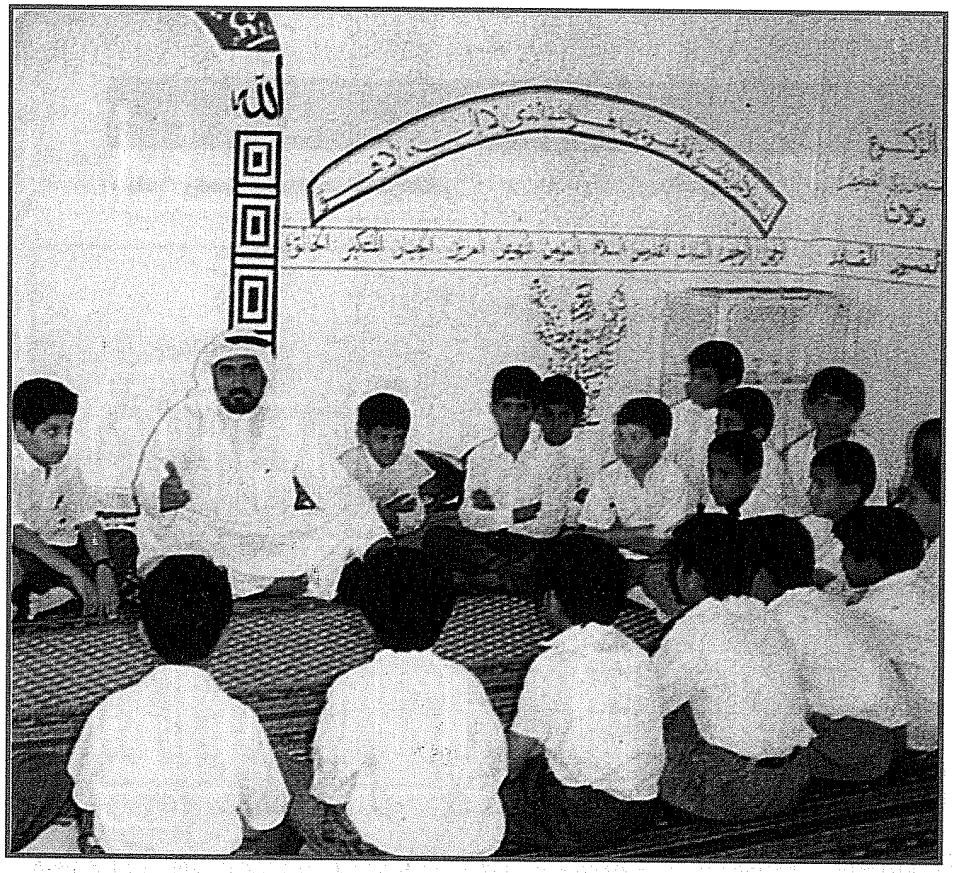

● للعلم والتعليم مكانة خاصة عند المسلمين

لكن المشكلة أننا نجد تقلصاً في إيجاد الموارد الوقفية التي من خلالها يأتي استغلالها فيما يخدم استمرارها لصالح الجهة الموقوف عليها، ولذلك تقاعس الكثير من الناس وغفلوا عن هذا الجانب والدور الذي يخدم الواقف نفسه ويخدم مجتمعه من حوله، ولعل الغفلة وعدم الاهتمام أتيا في الوقت المعاصر بحجة أن الحياة توافرت فيها كل سبل العيش والراحة وهذه انغلاقة خاطئة وذلك لأن التقرب إلى الله تعالى بأصناف الطاعات مرغوب فيه وهو غير محدود بمكان أو زمان.

فالتفكير في النظرة المستقبلية جادة لابد منها لتلبية حاجات المجتمع الضرورية، حتى يستقل باكتفائه الذاتي، لأن مستجدات الأحداث المستمرة بلا شك وإن كانت الأوقاف قديماً قد أوجدت تكافلاً اجتماعياً في المجتمع، كأوقاف المساجد والمدارس والمتعلمين وأوقاف الفقراء وأوقاف مرضى الجذام وأوقاف إفطار الصائمين وغير ذلك كثير والتي كانت لها صلة وثيقة بالمجتمع المتكافل في ذلك الوقت.

الوقف الذي ييسر سبل العيش الكريم للناس كان ولا يزال ذا أهمية تاريخية عظمى في الكفاح ضد الفقر والجهل والعجز

إذا كان لابد من استنتاج وسائل أخرى وقفية لتخدم الضرورة الاجتماعية المعاصرة والمتجددة، وذلك بتطوير الإدارة على تلك الأوقاف القديمة وجعلها ذات أثر مجدٍ، وذلك بمتابعتها ودراستها والإشراف عليها واستحداث الوسائل التي تصل بها إلى المستوى الإيجابي المطلوب، وذلك بالمقايضة الشرعية لأموال الأوقاف أو استثمار عقارات الأوقاف بما هو أجدى وأصلح، هذا بجانب الإدخار الوقفي للأفراد والجماعات وذلك بوساطة الصناديق الوقفية المتنوعة التي تسهم في خدمة مشروعات التنمية المجتمعية والاقتصادية، بالإضافة إلى إحياء الدور الحضاري للأوقاف بالاهتمام بها إعلامياً إلى جانب اللقاءات التي يتم تبادل الرأي فيها لدراسة فقه الوقف وتزامنه مع العصر، وبنجاح تلك النشاطات والفعاليات تكون قضية التنمية الوقفية في المجتمع قد غطّت جانباً فعّالاً في سد حاجات المجتمع وتحقيق الأهداف الطموحة.

فالتطور المنشود للوقف يكون من خلال منظور علمي وعملي تتسع فيه الرؤية المستقبلية لتشمل كل الظروف البيئية ومقتضياتها، وبالتالي نستطيع القول إن مسيرة التنمية الوقفية وأثرها في المجتمع تمثل أحد الملامح الرئيسة في المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر. ■

بقلم : رفعت عبدالوهاب المرصفي

إن هذا هو البيت الأول الذي وضعه إبراهيم الخليل عليه السلام بأمر الله رب العالمين:

(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين)(١).

هذا هو البيت الحرام الذي يطوف حوله الذين قرّبهم الله إلى حماه، إنه البيت المعظّم الذي خصّ الله جيرانه بالأمن والأمان والبركة، إذا قصده الزائرون هللوا وكبروا ابتغاء لمرضاة الله تعالى وأقرّوا بوحدانيته وصمدانيته، وامتلأت قلوبهم رهبة من عظمة الله وقوته ورغبة في رعايته ورحمته لا يذكرون فيه غير الله ولا يهتفون لأحد سواه.

وقد تنادى الناس بحرمة هذا البيت منذ أن كان، ولا سيما العرب قبل الإسلام على اختلاف معتقداتهم وتناقض نزعاتهم، وخطوا له حرماً واسعاً لا يدخلونه إلا محرمين، وإذا مسّهم الخوف لجأوا إليه فصاروا فيه وبه آمنين: (أوَ لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)(٢) وفي سورة الحج نجد آيات القرآن الكريم قد أفصحت عن مكانة المسجد الحرام وعن الأمر ببنائه وعن فرض الحج إليه، وعن المنافع التي يتلقاها الحاج من جراء أداء هذه الفريضة (وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق. ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأُحلت لكم الأنعام إلا ما يُتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور)(٣).

وفي سورة البقرة نجد القرآن قد مجدّ مكانة البيت الحرام في أكثر من آية مذكراً بقصة بنائه وبالدعوات الخاشعات التي كان إبراهيم عليه السلام يتضرع بها إلى ربه عند إقامته قواعد هذا البيت المعظم: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتّعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير). (٤).

وفي سورة إبراهيم حكاية لدعوات إبراهيم وضراعته إلى الله

أن يرعى ذريته التي أسكنها عند بيت الله المحرَّم: (ربّنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء)(٥).

وفي سورة الحج يبيِّن القرآن الكريم أن موضع البيت الحرام قد عرَّفه الله لإبراهيم عليه السلام وأمره بإقامته وتطهيره والأذان في الناس بالحج إليه، وتلك مهام على قدر عظيم من الأهمية (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهِّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)(٦).

وفي سورة البقرة يذكرنا القرآن الكريم بدعوات إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام فيقول: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم. ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)(٧).

هذه الضراعة إلى الله قد استجيبت فكان هذا البيت الحرام مطهراً من الشرك والوثنية والإلحاد وكانت فريضة الحج وكانت هذه الأمة المسلمة له وكان هذا النبي محمد - ﷺ - من هذه الأمة رسولاً معلماً ومبشراً ونذيراً ومطهراً لهم ولهذا البيت فلم يُعبد فيه غير الله منذ فتح الله له مكة.

الحرم الآمن وحدوده

يقول الله تعالى في سورة القصص: (وقالوا إن نتبّع الهدى معك نتخطف من أرضنا. أوَ لم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليهم ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون)(٨).

وهذا الحرم الآمن قد حدد رسول الله - ﷺ حدوده التي لا يحل للمتجه إلى مكة قاصداً الحج أو العمرة أو هما معاً أن يتجاوزها إلا محرماً وهي خمسة مواقع(٩):

الأول: ذو الحليفة:

وهو موضع يقع إلى الجنوب الغربي للمدينة بينه وبين المسجد النبوي الشريف نحو أحد عشر كيلو متراً، وإلى الشمال من مكة بنحو أربعمئة وخمسين كيلو متراً، ومن هذا الموقع أحرم رسول الله - ﷺ - في حجة الوداع، ويسمى هذا الموقع عند العامة بـ«أبيار علي».

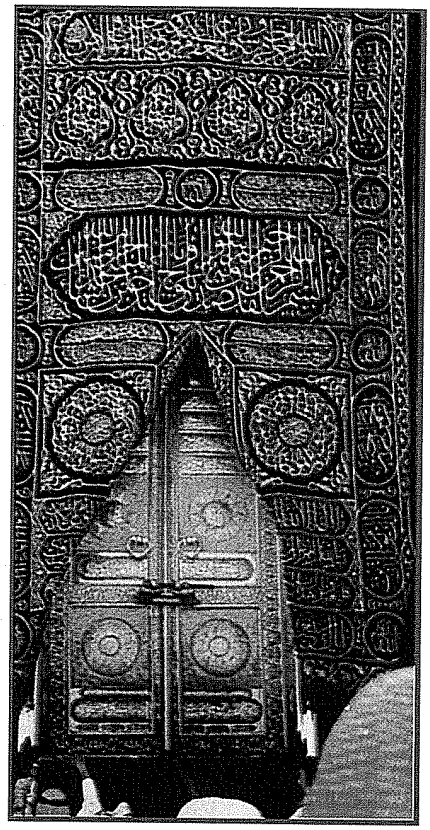

● باب الكعبة المشرفة المصنوع من الذهب الخالص

الثاني: ذات عرق

وهو موضع يقع إلى الشمال الشرقي من مكة يبعد عنها أربعة وتسعين كيلو متراً وهو ميقات أهل العراق ومن يمر به.

الثالث: الجحفة:

وهو موضع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وموقعه إلى الشمال الغربي من مكة على بعد مئة وسبعة وثمانين كيلو متراً، وهو ميقات أهل مصر والشام ومن يمر عليها ممن جاؤوا من المغرب العربي.

وما يذكر أن هذا الموضع يسمى «مهيعة» فنزلها أخوة عاد فجاءهم سيل فأجحفهم فسميت «الجحفة» وقد انطمست معالمها وصار الناس يحرمون من مدينة تقع إلى شمالها تسمى «رابغ» على بعد مئتين وأربعة كيلو مترات من مكة إلى الشمال الغربي منها.

الرابع: قرن المنازل

وهو جبل مطلّ على جبل عرفات شرقي مكة يميل قليلاً إلى الشمال على بعد أربعة وتسعين كيلو متراً من مكة، وهو ميقات أهل نجد ومن سلك طريقهم.

الخامس: يلملم

وهو جبل يقع إلى الجنوب من مكة على بعد أربعة وتسعين كيلو متراً، وهو ميقات أهل تهامة من اليمن ولمن يمر به أو يحاذيه من الهنود.

وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها(١٠): «أن النبي - ﷺ - وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم قال: فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن من أراد الحج والعمرة ومن كان دونهن فمهلة من أهله حتى أهل مكة يهلون منها».

فضائل مكة وخواصها

لقد اختار الله هذا البلد وشرَّفه ببيته الحرام الذي جعله منسكاً لعبادته وأوجب على المسلمين الحج إليه من كل مكان من أرض الله لا يدخلونه إلا خاشعين متواضعين متذللين لله رب العالمين، حاسري الرؤوس، متجردين عن ما اعتادوا عليه من لباس، ومن زينة الحياة الدنيا، وجعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا تقطع به شجرة ولا ينفر له صيد.

كما جعل الله حج البيت مكفراً لما سلف من الخطايا والذنوب، ولقد أقسم الله بهذا البلد «مكة» في كتابه العزيز تعظيماً لشأنه في موضعين:

(لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد)(١٢).

(وهذا البلد الأمين)(١٣).

وجعل البيت الحرام قِبْلَة لأهل الأرض جميعاً، يتجهون إليها في صلاتهم أناء الليل وأطراف النهار، مكة أم القرى، فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها.

ومن خواص هذا البلد الحرام مضاعفة الثواب لمن أحسن ومضاعفة العقاب لمن أساء فيه أو أراد به سوءاً أو هم فيه بإلحاد، فضلاً عن فعله بالعذاب الأليم حيث عدّى فعل الإرادة في الآية بالباء لأنه ضمنه معنى الهم فكأنه قال: (ومن يهن فيه بإلحاد بظلم).

وللبيت الحرام أعلى درجات الإجلال والإعظام حيث شرّفه الله بالإضافة إليه في قوله تعالى: (وطهر بيتي) فقد اقتضت هذه الإضافة مزية وخصوصية لم تمنح لمكان آخر.

حرمة البيت:

خطب رسول الله - ﷺ - يوم فتح مكة وكان مما قاله: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجراً، فإن أحداً ترخص في قتال فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس.

وقد أخذ عامة فقهاء المسلمين من هذا أنه لا يجوز القتال في مكة وما يتبعها من الحرم بهذا الأمر الصريح من رسول الله - ﷺ - في خطبته يوم الفتح.

ولقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن «البغاة» يقاتلون في مكة وفي الحرم على بغيهم إذا لم يمكن ردهم عن بغيهم إلا بالقتال، ذلك لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى لا يجوز التهاون بشأنها.

قال النووي: وما نقل عن الجمهور هو الصواب وقد نصّ عليه الشافعي في كتاب اختلاف الحديث وأجاب الشافعي عما يقتضيه ظاهر الأحاديث من منع القتال مطلقاً بما يشمل البغاة، وأن القتال المقصود بالتحريم إنما هو نصب القتال عليهم وقتالهم بما يعم أدوات القتال الثقيلة المتنوعة إذا أمكن إصلاح الحال من دون ذلك.

بينما ذهب بعض الفقهاء إلى أنه يحرم قتال البغاة وإنما يضيق عليهم في كل الوجوه حتى يضطروا إلى الخروج من الحرم أو الرجوع إلى الطاعة.(١٥)

إذاً فجملة ما ورد في حرمة مكة وحرمها يدل على أن الله تعالى هو الذي حرَّمها، قال القرطبي(١٦): معنى الأحاديث السابقة أن الله تعالى حرَّم مكة ابتداء من غير سبب ينسب لأحد ولا لأحد فيه مدخل ولأجل هذا أكد النبي - ﷺ - هذا المعنى بقوله: «ولم يحرمها الناس» والمقصود بهذه العبارة السابقة أن تحريمها ثابت بالشرع ولا مدخل للعقل فيه، أما المراد أنها من محرمات الله وليست من محرمات الناس «يعني في الجاهلية»، حيث حرموا أشياء من عند أنفسهم فيجب الامتثال لذلك ولا يسوغ الاجتهاد في تركه وقيل معناه أن حرمتها مستمرة من أول الخلق وليست مما اختصت به شريعة النبي - ﷺ -.

تحريم الرفث والفسوق والجدال حال الإحرام بالنسك

قال تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)(١٧).

نقل القرطبي في تفسيره أن الرفث يعني الجماع في قول كثير من الفقهاء، وأن الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسد للحج، وعليه حج من قابل والهدي، ونقل ابن حزم في «المحلى» أن تعمّد الوطء في الحج يبطله مطلقاً.

والفسوق في أصح الأقوال: إتيان معاصي الله عز وجل في حال إحرامه بالحج وهو مروي عن ابن عباس وعطاء والحسن وابن عمر وآخرين.

والجدال المنهي قد تنوعت الأقوال في تفسيره وأحراها بالقبول ما نقل عن ابن عباس أنه بمعنى المراء والخصومات ولا مراء في أن الفسوق والجدال بالباطل من المحرمات في الإسلام ولكن حرمتها في الحج أشد أما الرفث بمعنى جماع الزوجة في فترة الإحرام وقبل إتمام المناسك فتحريمه موقوت بحال الإحرام.

سدانة البيت الحرام

لقد فصلت كتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ أمر سدانة الكعبة المعظّمة في الإسلام، بل منذ أن كانت الحجابة والسقاية والرفادة وقد تضافرت رواياتها في هذا:

عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فأقبل ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال «يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت» - فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، قال ﷺ : بل عمرت وعزت يومئذ»، ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال.

فلما كان يوم الفتح «فتح مكة» قال ﷺ : يا عثمان آتني بالمفتاح فأتيته به... فأخذه مني وفتحت له الكعبة فدخلها وكبَّر في جوانبها وصلى فيها ركعتين، وأذن بلال فوقها ولما خرج رسول الله - ﷺ - قام إليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله أجمع لنا الحجابة مع السقاية، فقال النبي - ﷺ - أين عثمان بن طلحة؟ فدعا له فقال: هذا مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء، وقال: خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، وفي لفظ آخر: خذها تالدة إني لم أدفعها إليكم، ولكن الله دفعها إليكم ولا ينزعها منكم إلا ظالم.

وأكد ذلك رسول الله - ﷺ - في خطبته يوم فتح مكة حيث جاء فيها:(١٨)

«ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدميّ هاتين إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج فإني أمضيتها لأهلها على ما كانت».

وفي تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن لقول الله تعالى في

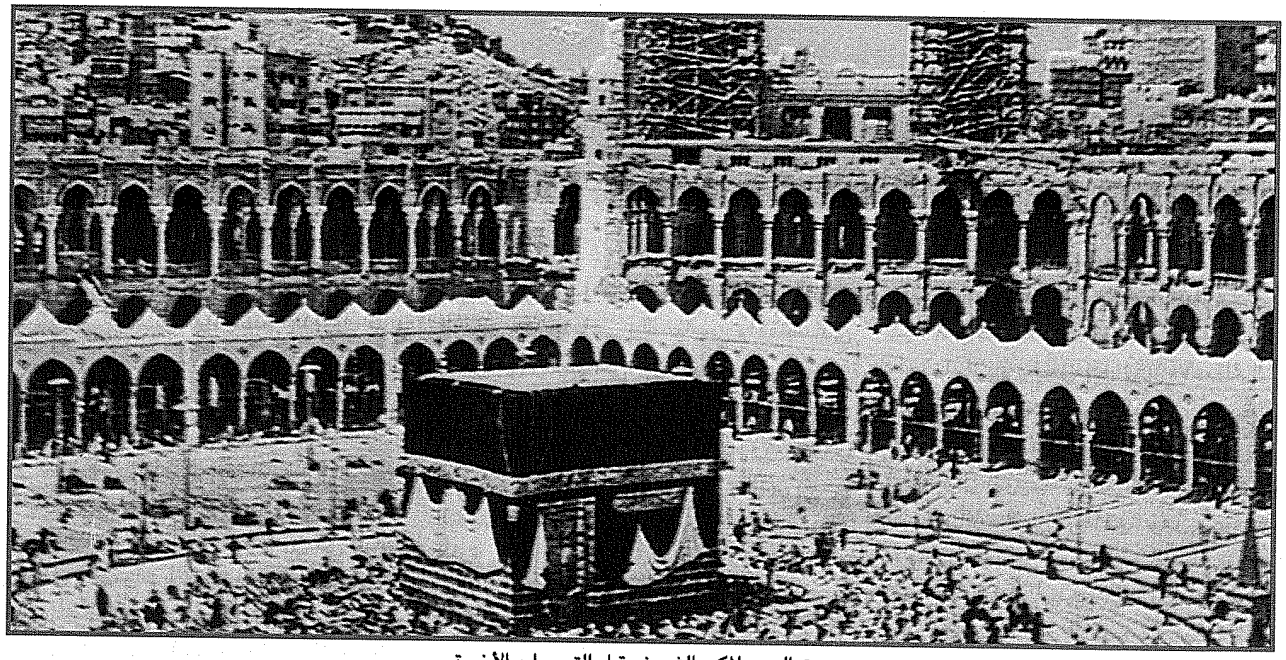

● الحرم المكي الشريف قبل التوسعات الأخيرة

سورة النساء(١٩)، (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها).

قيل إنه خطاب للنبي - ﷺ - برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة.(٢٠)

وفي تفسير ابن كثير لهذه الآية قال: قال ابن جرير نزلت في عثمان بن طلحة، قبض منه رسول الله - ﷺ - مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فدعا عثمان، فدفع إليه المفتاح، وقال عمر بن الخطاب حين خرج رسول الله - ﷺ - من الكعبة وهو يتلو هذه الآية:

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)، فداه أبي وأمي - ما سمعته يتلوها قبل ذلك.

قال النووي(٢١): قال العلماء: لا يجوز أن ينزعها منهم، وهي ولاية لهم عليها من رسول الله - ﷺ - فتبقى دائمة لهم ولذرياتهم أبداً، ولا ينازعون فيها ولا يشاركون ما داموا صالحين لذلك.

هذا وما زالت ولاية البيت في أيدي بني شيبة إلى يومنا هذا تنفيذاً لأمر رسول الله - ﷺ - وهم بفضل الله تعالى يبذلون مما أفاء الله عليهم من نعمة لإعزاز الكعبة الشريفة وحرمها وزوارها، فقد عبّدوا الطرق، وأقاموا الأنفاق والمعابر الموصلة إليها، وإلى سائر المشاعر تيسيراً لأداء المناسك، وهم يقيمون الدين بقدر ما وسعهم، ولا يصدون عن المسجد الحرام ولا عن مسجد سيد الأنام - ﷺ - ولا يجوز نزع هذه الولاية الثابتة لهم بحكم الله ورسوله لأنه تغيير لما وضع الله ورسوله بغير حق ولا سبب موجب، ومن يفعل ذلك أو يدع إليه «يلق أثاماً» ويكون ظالماً عاصياً لله ورسوله قال تعالى:(٢٣)

(ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وفي آية أخرى: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)(٢٣). ■

الهوامش:

١ ـ آل عمران:٩٦.
٢ ـ العنكبوت: ٦٧.
٣ ـ الحج: ٢٦ ـ ٣٠.
٤ ـ البقرة: ١٢٥ـ١٢٦.
٥ ـ إبراهيم: ٣٧ ـ ٤٠.
٦ ـ الحج: ٢٦، ٢٧.
٧ ـ البقرة: ١٢٧ـ١٢٩.
٨ ـ القصص: ٥٧.
٩ ـ حدود الحرم أو مواقيت الإحرام مصدرها كتاب الدين الخالص ص ٤٧ ـ ٥٠.
١٠ ـ أخرجه النسائي
١١ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري وبالجملة فقد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو داود وغيرهم.
١٢ ـ البلد: ١ـ٢.
١٣ ـ التين: ٣.
١٤ ـ الحج:٢٥.
١٥ ـ صحيح مسلم «كتاب الحج» شرح النووي ج٣ ص٢٨١.
١٦ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي ج١ ص٢٤٠.
١٧ ـ البقرة:١٩٧.
١٨ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري في باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة، وصحيح مسلم بشرح النووي في باب استحباب دخول مكة وسيرة ابن هشام.
١٩ ـ النساء: ٥٨.
٢٠ ـ كتاب الأزهر «قدسية الحرمين الشريفين» لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.
٢١ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ج٣ ص ٢٥٩ في كتاب الحج.
٢٢ ـ النساء:١٤.
٢٣ ـ الأحزاب: ٣٦.

بقلم : عبدالعزيز انسميرات

من أجل رؤية مستقبلية للإعلام

مع ازدياد التطور الهائل في الوسائل المعلوماتية الدقيقة، بات واضحاً اليوم الانعكاس الإيجابي والسلبي لوسائل الاتصال على حياة الإنسان، وآثار ذلك على الوعي، حتى إنه يمكن القول: إن الإنسان أصبح ابن إعلامه، لما يشكله هذا الأخير من بيئة يصنعها المتحكمون في آليات الوسائل والقنوات الإعلامية، خصوصاً مع دخول المنظومة الحضارية الراهنة عصر «النظام الأحادي القطب» وما يلحق به من تحولات على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والتربوية والعسكرية والثقافية... إلخ، وبهذا تتضح صورة استغلال الوسائل الإعلامية، وبخاصة منها السمعية والبصرية، في مشروع التحكم في إرادة الشعوب وصياغة شخصيات الناس وعقولهم وثقافاتهم، ومنها الأمة الإسلامية، في ظل أزمة خانقة تمس كل جنبات العمل الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتربوي والإعلامي، بل تعكس، في حقيقة الأمر، عمق الخلل الذي أصاب الأمة في كل مكوناتها، في مرحلة جد خطيرة، يُعتبر الإسلام خلالها «الخطر الأخطر» الذي ينبغي التصدي له ومواجهته، في نظر أعداء هذه الأمة.

بموازاة مع هذا الواقع المتردي والمشلول من جهة، ورغبة الأعداء في النيل من الأمة وتقويض كل قواعد هويتها وأصالتها من جهة أخرى، تُطرح علينا أسئلة كثيرة جداً، نحس بها تزعزع كياننا وتوقظنا من حال الغفلة لنكون، فعلاً، في حجم الموقع المطلوب منا كخير أمة أخرجت للناس، أنيطت بها رسالة وأمانة التبليغ والدعوة والتذكير، ولعل من القنوات التي يمكنها أن تسمع وتساعد على تحقيق هذه الرسالة، قناة الإعلام، لما لها من صلة مباشرة بحياة الناس واهتماماتهم وهمومهم، لكن الأسئلة التي تطرح نفسها من جراء النظر العميق في واقع إعلامنا الإسلامي المعاصر هي: هل فعلاً يمثل الموجود من الممارسات الإعلامية، الإعلام الإسلامي المطلوب؟ وهل يحتل هذا الإعلام المشهود اليوم الموقع الصحيح بحيث يكون، فعلاً، في حجم التحديات، من جهة أولى، ومسؤوليات الدعوة، من جهة ثانية، بحيث يستطيع أن يؤدي وظيفة ترشيد سلوك الصحوة الإسلامية المعاصرة وتقويم تدينها؟

إنها جزء من أسئلة كثيرة تتوالد من رحم المعاناة الإعلامية الإسلامية الراهنة، لتكشف عن الخلل الموجود في ممارستنا الإعلامية، لعدم تمكنها من ضبط المداخل الصحيحة لبناء إعلام إسلامي في حجم المسؤولية والتحديات، لعل في مقدمها: التحديد الدقيق للأهداف والمقاصد والضوابط والآليات. وسنحاول بإذن الله تعالى، في هذا المقال، الحديث عن بعض هذه المداخل، إسهاماً منا في رسم الصورة الصحيحة، ووضع لبنة تنضاف إلى الجهود المؤسسة على الوعي بموضوع القضية المطروحة خلفياتها ودواعيها، وأهداف تداول الرأي حولها، مدركين في كل ذلك الدور الذي يمكن أن يقوم به الإعلام في حياة الأمة، فرداً وجماعة، كوسيلة للتغيير والتربية والتثقيف وصناعة الأفكار، وكسلاح أساسي لابد منه في معركة المواجهة الحضارية الراهنة والمقبلة، على حد سواء، خصوصاً مع بلوغ الثورة الاتصالية ذروتها من خلال البث السمعي - البصري المباشر عبر الأقمار الصناعية، وما لهذا التحول من انعكاسات على ثقافة وهوية الأمة.

مفهوم الإعلام الإسلامي

إذا كان الإعلام بصفة عامة هو تلك العملية ذات الوسائل والقنوات المتعددة لنقل الأفكار

والمعلومات وتداولها من المرسل إلى المتلقي، من أجل تبليغ رسالة محددة، والتأثير في سلوكه وأفكاره، وتشكيل أنموذجه الذهني، تبعاً للخلفية العقدية أو الأيديولوجية للجهة المرسلة، خصوصاً مع استفادة الإعلام من الخبرات العلمية في مجال السلوك والنفس والمجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية.

أقول، إذا كان هذا هو المعنى العام الذي يمكن من خلاله تعريف الإعلام، فإن للإعلام الإسلامي نقاطاً عدة يلتقي فيها مع التعريف السابق، كونه مجموع العمليات التي تهدف إلى تبليغ رسالة محددة إلى المتلقي بناء على خلفية عقدية، غير أنه يتميز بخصوصيات تتحدد من خلالها المنطلقات والوسائل والمقاصد، وبالجملة يمكن القول: إن الإعلام الإسلامي هو مجموع الوسائل والقنوات الساعية إلى تحقيق أربعة أهداف أساسية وهي: التبليغ والتبيين والترشيد والتقويم، وهي كلها مؤسسة على قواعد الدعوة الإسلامية التي تستهدف تخليص المسلم من الجهل واتباع الهوى وبناء حياته على العلم الحقيقي. العلم بالله تعالى الذي يمكّنه من فهم مقاصد الخلق والاستخلاف.

الأسس العامة للإعلام الإسلامي وخصائصه:

انطلاقاً مما سبق، يمكن القول: إن أسس الإعلام الإسلامي هي نفسها أسس الدعوة الإسلامية عامة، بحيث يمكن النظر إليها من خلال قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤، فقد تضمنت الآية ثلاثة أسس أساسية هي: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي أسس جلية نابعة من نظرة الإسلام إلى الفطرة الإنسانية، فتجعل من الدعوة والأمر والنهي، مداخل أساسية للاتصال والتواصل بين الناس، بل مقدمات أساسية كذلك، لرسم شكل الكلمة الإعلامية في المجتمع الإسلامي، التي لابد لها من الانضباط بضابطين مهمين، هما: ضابط الأخوة والتواصي بالحق، وضابط المسؤولية والأمانة.

إن الانضباط بالضوابط الشرعية في العملية الإعلامية هو الذي يجعلها مؤسسة على مقاصد الكلمة الإسلامية، ومن ثم نستطيع فعلاً أن نحكم على هذا النوع من الممارسة الإعلامية بأنه إسلامي أو غير ذلك، بناء على تقويم السلوك الإعلامي بميزان الشرع، لا بميزان الحزبية أو الأهواء أو النزعات التنظيمية، فإسلامية الإعلام الإسلامي ينبغي أن تدل فعلاً على منطلقاته ووسائله وأهدافه، وهذا هو المغيب في كثير من المنابر الإعلامية المعاصرة، مما يدفعنا إلى تأكيد تبيان بعض الخصائص الأساسية للإعلام الإسلامي الصحيح، والتي لها صلة كبيرة بخصائص المنهج الإسلامي عموماً، ومنها:

أولاً: الصدق

وهو على ثلاثة مستويات أساسية: التفكير والتعبير والتدبير، ذلك أن صدق الكلمة في الإسلام مؤسس على صدق المنطلق والرؤية معاً، وقد ألح الإسلام على الصدق في النيات والأفعال والأقوال، لتصح الرؤية والمنهج، قال تعالى: (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) النحل:١٠٥، وقال كذلك: (واجتنبوا قول الزور) الحج:٣٠، وعليه فإن الممارسة الإعلامية مجبرة على التحلي بالصدق، سواء على المستوى المكتوب أو المسموع أو المرئي، والصدق في الإعلام الإسلامي لا يتحقق فعلاً إلا إذا كان هناك صدق على مستوى المقصد والهدف، قال تعالى مشيراً إلى ذلك: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) الأحزاب: ٧٠-٧١، فدل القول السديد على الجمع بين الصدق والخير معاً. وقال علي كرم الله وجهه: «إن لسان المؤمن وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبّره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه»(٢).

ثانياً: الواقعية:

والتي لا تعني الخضوع لواقع المجتمع، فيسايره أو يصطبغ بصبغة العصر، بقدر ما تعني موافقة المنهج الإسلامي للفطرة البشرية والحياة الإنسانية على وجه العموم، وتتمثل هذه الواقعية في نطقتين أساسيتين وهما: الواقعية في المنهج والواقعية في التطبيق، حيث تدل الأولى على موافقة المنهج في الإعلام الإسلامي للفطرة البشرية واتساقه مع المنهج الإسلامي في بناء الحياة الصالحة في كل جوانبها، في حين تدل الثانية على قيام الإعلام الإسلامي على عنصرين وهما: الكلمة الطيبة من جهة، ومنها الحكمة والموعظة الحسنة من جهة ثانية، مصداقاً لقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (النحل:١٢٥)، وقوله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت:٣٣.

ثالثاً: الشمولية والعالمية

حيث اتصال الإعلام الإسلامي، أشد اتصالاً، بشمولية الإسلام وبهذا يكون من اللازم على إعلامنا في المرحلة الراهنة، والمقبلة معاً، أن يحقق الشمولية على مستوى الرسالة من جهة، وعلى مستوى الأداة من جهة ثانية، ذلك أنه موجه إلى جميع الناس بهدف تبليغهم رسالة الحق والهداية، لا أن يظل مقتصراً على مخاطبة نخبة معينة من الناس، وفي ذلك إخلال بإحدى الميزات الأساسية للخطاب الإسلامي عامة وهي العالمية مصداقاً لقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧.

رابعاً: الثبات والمرونة

وتتجلى هذه الخصيصة على مستوى ثبات الأسس والمبادئ التي يقوم عليها الإعلام الإسلامي من جهة، وثبات الغايات والمقاصد من جهة ثانية، اقتداء بالأسس والمبادئ والغايات التي من أجلها كلف الرسل والأنبياء بالتبليغ والتبيين والترشيد والتقويم، والتي تجمعها الآية الكريمة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦، وكما يدل عليها كذلك جواب ربعي بن عامر على سؤال رستم حاكم الفرس عن دوافع الفتح بقوله: «جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»(٣).

إلى جانب هذا يتميز الإعلام الإسلامي بميزة المرونة التي تكشف عنها قدرة الممارسة الإعلامية تفكيراً وتعبيراً وتدبيراً على مواكبة كل تطور أو تغير يحدث في محيط الحياة الإنسانية عامة، والإسلامية بخاصة، وما يلحق بهذه المواكبة من تقويم

وتوجيه للنشاط الإنساني بغية دفعه نحو الوجهة الصالحة الصحيحة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن قولنا بالمرونة لا يعني إخضاع الكلمة الإسلامية إلى سلطة الواقع، بقدر ما نقصد بذلك قدرة هذه الكلمة على معالجة كل ما تفرزه حركية الإنسان ونشاطاته، وذلك من خلال تطوير الاجتهاد على مستوى الممارسة الإعلامية ليكون قادراً على التعاطي مع حياة الإنسان المتغيرة والمعقدة، إن على مستوى الخطاب أو على مستوى الوسيلة، ذلك أن القول: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ينبغي أن يتأسس على قدرة الخطاب الإسلامي، في كل زمان ومكان، وعلى أن تكون له كلمته في كل شيء، ولن يتأتى هذا إلا إذا اتبع خطابنا الإعلامي منهج الدعوة الإسلامية العامة، التي جمعت بين فقه النص وفقه الواقع، ولعل هذا النوع الأخير من الفقه هو المفتقر إليه في كثير من عملنا الإسلامي ومنه العمل الإعلامي، حيث يتطلب الأمر النظر إلى الأمور ومعالجة المشكلات وتقويم الخلل من خلال فقه التدرج وفقه الأوليات وفقه المصالح والمفاسد وما يدخل تحت هذه الأنواع من المنهج الذي يستمد أسسه من قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل:١٢٥، وقوله عز وجل كذلك: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت:٣٣ ـ ٣٥، كما تستمد أسسه من الآداب التربوية لجيل المؤمنين مثلما تضمنت بعضها سورة الحجرات، حيث نبذ سلوك السخرية والظن والتجسس والغيبة والتنابز بالألقاب، مع الحرص على التخلق بخلق الأخوة الإيمانية مصداقاً لقوله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات:١٣.

إن الدعوة إلى الله تعالى وترشيد الناس إلى الشرعة التي اختارها لهم، تكريماً وتشريفاً وتكليفاً، حتى يستغني الناس عن كل دين أو ملة مستحدثة مصداقاً لقوله جل جلاله: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل

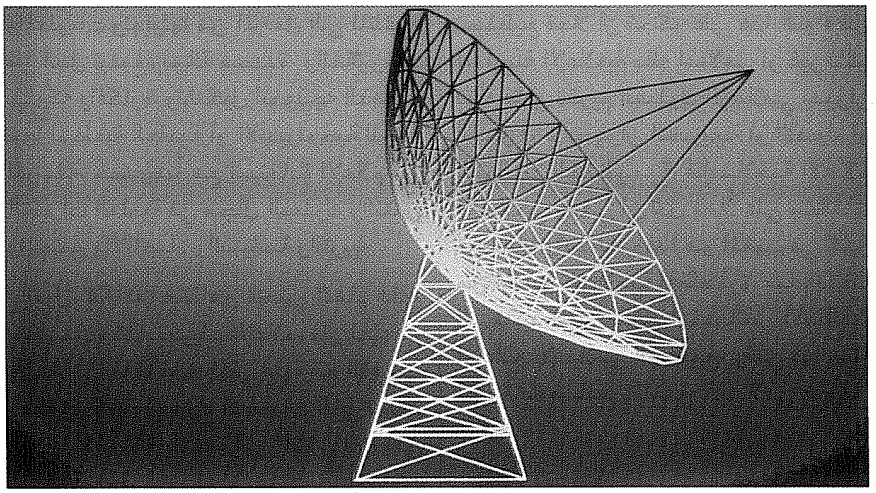

عمران:٨٥، أقول، إن الدعوة إلى الله، من خلال الإعلام، ينبغي أن تكون جامعة لصفتين متكاملتين هما: القدرة والقدوة: القدرة على التمكن من ووسائل العمل، حيث الجمع بين فقه الشرع وفقه الواقع وفقه الدعوة، وبخاصة أن أغلب الإعلاميين إما أنهم مهنيون من دون تربية شرعية وواقعية، وإما أنهم على العكس من ذلك، في حين يتطلب الأمر الجمع بينهما، وتدريب رجل الإعلام الإسلامي على التعاطي مع قضايا الانشغال الإعلامي من منظور شرعي يحقق التوازن في حياة المتلقي والمخاطب.

أما بخصوص القدوة، فإن الأدلة الشرعية والضرورة الحياتية تقتضيان التحلي بأخلاقيات الدعوة الإسلامية العامة مصداقاً لقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) الأحزاب:٢١، ولعل من أبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها رجل الإعلام الإسلامي الصدق والنبل والرحمة والتيسير والصبر والتوكل على الله والخشية والتقوى وقول الحق والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي جمعتها عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلق الرسول ﷺ في قولها: «كان خلقه القرآن»(٤).

منطلقات الإعلام الإسلامي وأهدافه

يمكن الحديث عن هذه الوظائف والأهداف من جوانب متعددة، كل بحسب تخصصه وفهمه ودرجة إدراكه لمفهومي الوظيفة والهدف، ومن جهتنا سنتناول بإيجاز هذه المسألة انطلاقاً من قوله تعالى: (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) المائدة:٦٧، وقوله جل جلاله: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران: ١٠٤، وقوله تعالى كذلك: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣.

وانطلاقاً من هذه الآيات المباركة تتضح وظائف ومقاصد الدعوة الإسلامية، وهي التبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشهادة على الناس، وبما أن المهمة النبوية قد انتهت بوفاته عليه الصلاة والسلام، فإنها ابتدأت مع العلماء والمفكرين الحاملين للإرث النبوي الطيب مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»(٥)، وبهذا تكون من أهم المهمات والمسؤوليات الملقاة على عاتق هؤلاء العلماء، القيام بواجب الدعوة إلى الله، ما استمرت الحياة الإنسانية، ومنهم أصحاب الرسالة الإعلامية، ولعل أداء هذه الوظيفة يظهر جلياً من خلال حياة الصحابة والتابعين ومن تبعهم ممن حملوا رسالة الدعوة وجاهدوا من أجلها مقتدين بالمنهج النبوي الصحيح، ومتفقهين قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحانه الله وما أنا من المشركين) يوسف:١٠٨، وبهذا يمكن القول، إن من أهم مقاصد الإعلام الإسلامي العمل على صياغة حياة الإنسان صياغة إيمانية، حتى يكون تفكيره وتعبيره وتدبيره أو نياته وأقواله، وأفعاله، مطابقة للشرعة الربانية

الحقة، بغية تخليصه من صفتي الجهل واتباع الهوى، وهي مهمة التربية الإيمانية، التي تعمل على تأصيل القيم والمنهج الإسلامي في حياة الإنسان، وما يلحق بذلك من تحقيق الإصلاح المطلوب في حياته، والذي يظهر من خلال المستويات الثلاثة التالية:

١ ـ تبيين وتقويم الصلة الموجودة بين الإنسان وخالقه.

٢ ـ تبيين وتقويم الصلة الموجودة بين الإنسان وبني آدم عامة.

٣ ـ تبيين وتقويم الصلة الموجودة بين الإنسان ومخلوقات الكون المسخرة له.

يضاف إلى ما سبق مجموعة من الوظائف نذكرها بإيجاز:

١ ـ مواجهة كل ما من شأنه تشويه وتحريف حقيقة الإسلام.

٢ ـ التصدي لمختلف مداخل اختراق الثقافة الإسلامية الأصيلة وتمتين الإحساس بالانتماء إلى الإسلام.

٣ ـ الاستجابة الواعية لتطور الصحوة الإسلامية والاهتمام بما يلحق بها من أعراض ومشكلات سواء على مستوى فقه النص الشرعي أو على مستوى فقه الواقع، حتى يتضح المنطلق وتتبين المعالم الصحيحة للطريق والمسار، ونتجنب تكرار الأخطاء والمعوقات الداخلية.

٤ ـ الاهتمام بوضع الأقليات الإسلامية في العالم، مع ما يتصل بهذا الاهتمام من الانكباب الحقيقي على توافر كل ما من شأنه من وسائل لتعزيز صلة المسلمين بالإسلام من جهة، وتقويم سلوكيات البعض بفعل ضغوطات الحضارات الأخرى من جهة ثانية.

٥ ـ العمل على نشر اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وتصحيح اللسان ودعم مشاريع البناء المصطلحي والمفاهيمي.

٦ ـ الاهتمام بالجانب الترويحي الهادف، الذي يرسخ في الممارسة الإسلامية السلوك النبوي الصحيح.

٧ ـ الاهتمام بكل القضايا المتصلة بالأسرة، وتوسيع دائرة معالجة مشاكلها، وتربية الأمة على تمثل السلوك الإسلامي القويم في بناء الفرد الصالح حتى يكون لبنة في صرح الأسرة المسلمة التي هي بدورها اللبنة الأساس في صرح المجتمع الإسلامي الصحيح.

٨ ـ ولا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نؤكد ضرورة الاهتمام بالجانب التقني للوسائل الإعلامية علماً وممارسة، خصوصاً مع إدراك الجميع لما يمكن أن تؤديه التقنيات الدقيقة من مهمات في مسار تبليغ الرسالة إلى المخاطب والمتلقي، ولعل هذه النقطة هي التي تدفعنا إلى تأكيد ضرورة توافر عناصر البناء الإعلامي المطلوب، والمقصود بها أساساً: المادة الإعلامية ورجل الإعلام والخطة الإعلامية، وهي عناصر أساسية لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية عن طريق الإعلام المعاصر، الذي ينبغي أن يكون مؤسساً على هندسة الاستعداد المستمدة من قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال:٦٠، وبإنعام النظر في ما سبق، نجد أن تحقيق الأهداف المطلوبة، وبالشكل المرغوب يقتضي الحديث عن مسألة أساسية في العمل الدعوي بصفة عامة، ألا وهي الخطة أو الاستراتيجية.

من أجل استراتيجية للعمل الإعلامي الإسلامي

انطلاقاً مما سبق ذكره يتبين جلياً أن الإعلام الإسلامي ركيزة أساسية من ركائز الدعوة الإسلامية، ولذلك ينبغي للممارسة الإعلامية أن تكون في مستوى هذه المهمة والمسؤولية، ولن يتأتى ذلك إلا إذا اتضحت سبل العمل وأسست وسائله على القواعد والأرضية المطلوبة، وهذا ما نقصده من استراتيجية العمل الإعلامي الإسلامي، التي تمنح العاملين الرؤية التي تجمع بين الواقعية والمستقبلية، وتجنبهم الوقوع في بوتقة المعوقات المحبطة أو المحرفة للعمل الإعلامي الجاد، لذا ينبغي الاشتغال بمنظومة تتحكم في دواليبها «الإدارة بالإهداف»، لا «الإدارة بالكوارث»(٦). ذلك أن معظم الوسائل الإعلامية اليوم تفتقر إلى عنصري التخطيط والاستراتيجية(٧)، وهما اللذان يمنحان العاملين إمكانات تحقيق ثلاث خطوات أساسية، وهي: الاستيعاب الواعي للماضي والاستقراء الشامل للواقع وأخيراً الاستشراف المحكم للمستقبل، فبالتخطيط تتحدد الأهداف والمسارات وتقدر الموارد البشرية والمادية وتوضع القواعد والبرامج المفصلة. وبالاستراتيجية يُفكر في سبل الوصول إلى تلك الأهداف، مع ما يقتضي ذلك من حرص على الوعي العميق بحركة التاريخ والتجارب السابقة.

إن امتلاك الرؤية المستقبلية للإعلام الإسلامي سيحقق مجموعة من النتائج المطلوبة، لعل من أهمها الإسهام في تشكيل عقلية إسلامية قادرة على المنعة الحضارية، في زمن الضغط الحضاري الذي سيكرسه انفجار المعلومات العابرة للقارات، وإلا فإن الصحوة الإسلامية ستظل تتعرض لهزات، إن لم تردها عن دينها، فإنها على الأقل، ستفسد تدينها وسلوكها ورؤيتها، فالعمل الإعلامي جزء من العمل الإسلامي عامة، ولن نكون في مستوى الدعوة وحجم المرحلة مادمنا نفتقد الرؤية المستقبلية الصحيحة التي تبصرنا بالعوائق والمراحل، وتعميق فقه الأوليات في حياتنا بصفة خاصة، ولعل خير ما اختتم به هذا المقال قوله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت:٣٣، وقوله جل جلاله كذلك: (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) الأنعام:١٠٤ صدق الله العظيم. ■

الهوامش:

١ ـ حامد عبدالواحد : الإعلام في المجتمع الإسلامي، كتاب مجلة دعوة الحق، ع٣٣، ١٩٨٤م، بتصرف.

٢ ـ نهج البلاغة : ١١٣/٢.

٣ ـ نقلاً عن عمر عبيد حسنة: حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص ١٤١، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٩١م.

٤ ـ مسند أحمد بن حنبل: ٩١/٦ ـ ١٦٣، السنن الكبرى للبيهقي: ٤٩٩/٢.

٥ ـ مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي: ١٢١/١.

٦ ـ ينظر بخصوص هذه المسألة: محمد بريش: المنهج في استشراف المستقبل، مجلة الهدى، ع٢١، ص ٣٧ وما بعدها.

٧ ـ ينظر بخصوص هذا المفهوم: محمد بريش: تعميق الفهم في الفكر الاستراتيجي، مجلة إسلامية المعرفة ع٩، س٣، ص٧١ وما بعدها.

خلق المسلم الصبر وأحد أعمدة العقيدة الإسلامية

بقلم: محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

لقد أراد المولى سبحانه ألا تسير الحياة على وتيرة واحدة، أونظام محدد، فرحم عباده بتنويعها في صور مختلفة، وأشكال متغايرة، وأنواع متباينة، فالحياة بطولها وعرضها مليئة بالمتاعب والمشقات، مفعمة بالمصاعب والمشكلات، فهي محفوفة بالمكاره، لا تستقر على حال، بل هي خليط من: الحزن والفرح، والألم واللذة، والشقاء والسعادة، والفقر والغنى، والضعف والقوة، وتتناوب هذه النقائض الإنسان، فيرى نفسه أمام سلسلة من الآلام لا تقف عند حد، ولا تنتهي عند غاية.

وهذه هي طبيعة الحياة، بل هذه هي فلسفتها، محيط واسع، وآفاق بعيدة، ومجالات رحبة، تتلاطم فيها العبقريات، وتتنافس المواهب، ويضرب فيها الفرد بسهمه، فمرة يخطئ، ومرة يصيب، والذكي الحذر هو من يتخذ من خطئه في أمسه عامل نجاح في غده، وبناء على هذا تتحقق الحكمة القائلة: «إن الحياة عمل وجهاد، وكفاح وجَلَدٌ».

وإذا كان للإيمان دعائم، ولكماله معالم، فإن الإنسان لن يتصف بالإيمان، ويصل إلى درجة المؤمنين إلا إذا كانت هذه الدعائم وتلك المعالم أساساً لكل أعماله، وبذلك يمتلئ قلبه بالإشعاع الرباني، والقبس النوراني، الذي يشعّ من القلب، وينبعث من النفس، فيضيء لصاحبه جوانب الحياة، ويجعله راسخاً ثابتاً كالجبل الأشم أمام صدماتها، لا تلين قناته، ولا تضعف عزيمته، ولا تخور قواه، فيتساوى عنده حلو الحياة ومرها، يقيناً منه بأنّ ما هو فيه مقدّر له، فيواجه الأعباء بعزم وجلد، ويحتمل المكاره بلا ضجر ولا سأم، غير يائس من فرج المولى سبحانه وتعالى، فربما كان ما هو فيه خير له في دنياه وآخرته.

ولعل أخطر ما يتعرّض له أي مجتمع من المجتمعات، هو تشكيكه في القيم التي يقوم بنيانه عليها، وذلك لأن مجرد النجاح في ذلك ينتهي بالمجتمع إلى الانهيار الكامل، ويصير فريسة لأي غزو مهما كان نوعه.

ويُضاف إلى جوار الهدم الأصلي في المجتمع الإسلامي محاولة إقناعه بأن الدين في حد ذاته لم يعد صالحاً لحل المشكلات التي يواجهها الإنسان في حياته، وتجعله يعيش قلقاً، وأن دور الدين يجب أن يقتصر على الغيبيات فقط، وأنه أسوة بكل الأديان لا يزيد عن كونه مرحلة معينة لابد وأن يمر بها الإنسان في مراحل تطوره ونضوجه، حتى يصل إلى مرحلة الرشد الوجداني، وعندئذ سيغنيه هذا الرشد الوجداني عن صوت السماء، الذي كان يتخيل أنه يتصل به عن طريق الأنبياء والمرسلين - صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين - وأن عليه وقد وصل إلى هذه المرحلة أن يعرف سبيله بنفسه، وأن يشرّع منهجه ومساره في الحياة من واقع تجاربه، تاركاً الفروض الغيبية، التي كان يغرق فيها الأقدمون.

ويساند أعداء هذا الدين هذا الغزو بغزو خاص، وذلك عن طريق هدم كل قيمة من قيم الدين على حدة، فإذا ما انهدمت القيم كلها انهار البنيان من أساسه، وخرّ السقف على أصحاب العقيدة، الذين لم يكوّنوا في داخل ضمائرهم قدراً كافياً من الحماية الذهنية لها، والتي تنير الطريق أمامهم.

الصبر ومعناه

الصبر في اللغة: الحبس والكف... يقول المولى سبحانه وتعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الكهف:٢٨. والمعنى: احبس نفسك معهم.

والصبر كلمة يرددها اللسان فتنقش في القلوب، فإذا وقرت في القلب واستقرت فيه،

تقبّل الإنسان كل ما يحدث له، وحبس نفسه عن الجزع، وكفها عن السخط، ومنع لسانه عن الشكوى من البلاء ورضى بالقضاء، وتقبل كل ما هو مكروه بصمت وأدب، واعتماد على الحق سبحانه وتعالى وتوكل عليه، مثلما يتقبل كل ما هو محمود.

والمولى سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ: «الصبر نصف الإيمان».

والصبر اسم من أسماء الحق سبحانه وتعالى، وصفة من صفاته عزَّ سلطانه، فمن جهل حقيقة الصبر فقد جهل شطراً من شطري الإيمان، لأن الإيمان نصفه صبر، ونصفه شكر.

وقد سمَّى الحق سبحانه وتعالى: «الصبور»، أي: ملهم الصبر لجميع الخلائق، والصابر على ما لا يرضاه من الناس، لا يعجل العقوبة للذنب، ولا تستفزه معاصي العاصين، ولا ضلال الضالين.

والصبر في حقيقته: حبس النفس على ما تكره... ويكون ذلك بفعل الطاعات، وتأدية الفرائض، والوقوف عند الحدود التي حددها المولى سبحانه وتعالى، واجتناب المنهيات، والابتعاد كلية عن كل ما طلب المولى سبحانه وتعالى البعد عنه، لأن الصبر جماع كل خير، ومنشأ كل فضيلة، إذ لولا خلق الصبر ما عبد العابد ربه وخالقه سبحانه وتعالى، وما أطاعه في ما أراده منه، وما حرص على سلوك طريق الجنة، التي حفت بالمكاره، وما ابتعد عن طريق النار، التي حفّت بالشهوات.

ولولا التحلي بالصبر ما جدّ الطالب واجتهد، ولما أثمر المدرّس وأنتج، ولما صنع الصانع وأتقن، ولما وقف المجاهد يستعذب الموت في سبيل العقيدة والمبدأ، ولما حرص على الاستشهاد حرصه على الحياة.

ولولا الصبر ما حملت الأم ولدها كرهاً ووضعته كرهاً، وما ضرب المسلم في الأرض طلباً لرزقه، وبه دعا الداعي إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فالصبر سبيل الفوز، وطريق النصر، وعلامة النجاح والفلاح والسداد.

ولقد وضّح الإمام علي بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - منزلة الصبر في كلمة جامعة موجزة، فقال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له»، إذ إن الإيمان معناه: «الاعتقاد واليقين»، والصبر لا يتحقق إلا باليقين، فيعصم صاحبه من الزلل، ويحميه من التخبط، ويقيه شر القنوط.

درجات الصبر وأنواعه

إن درجات الصبر تتفاوت بتقارب نوعه، واختلاف وجهه، فقد روى عن عبدالله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: «الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله تعالى، فله ثلاثمئة درجة... وصبر عن محارم الله تعالى، فله ستمئة درجة... وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، فله تسعمئة درجة».

والصبر عند الصدمة الأولى هو ما عناه المولى سبحانه وتعالى في قوله في الحديث القدسي: «اني إذا وجّهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في نفسه، أو ماله، أو ولده، ثمَّ استقبل ذلك بصبر جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً»، وهذا هو ما أراده يعقوب عليه السلام بقوله: «فصبر جميل»، عندما أخبره أبناؤه بأنّ الذئب قد أكل يوسف، وجاؤوا على قميصه بدم كذب.

ولقد قال بعض العلماء: الصبر بالله استعانة... والصبر لله عناء... والصبر مع الله بقاء... والصبر في الله بلاء... والصبر عن الله جفاء.

والصبر بالله سبحانه وتعالى هو: الاستعانة بالله سبحانه وتعالى في كل الأمور، يقول عزَّ من قائل وهو أصدق القائلين: (واصبر وما صبرك إلا بالله) النحل:١٢٧.

والصبر لله سبحانه وتعالى هو: أن يكون الباعث على الصبر محبة الله سبحانه وتعالى، وابتغاء مرضاته، وذلك كما في صبر «يوسف» عليه السلام عن طاعة امرأة العزيز، وقد قيل: إن صبر «يوسف» عليه السلام عن طاعة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في البئر، وتفريقهم بينه وبين أبيه، لأن هذه أمور حدثت عن غير اختياره، ولابد له فيها «أما صبره على المعصية، فصبر اختيار، ومحاربة للنفس، فكان صبره اختياراً وإيثاراً لما عند المولى سبحانه وتعالى.

والصبر مع الله سبحانه وتعالى هو: ثبات العبد الذي ابتلي، مع تمسكه بالأحكام الدينية، والشريعة الإسلامية، والإقامة على حدودها، وإطاعته لأوامر المولى سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه..

والصبر في الله سبحانه وتعالى هو: أن يكون المؤمنون قلوبهم عامرة بالإيمان، متصلة بالحق سبحانه وتعالى اتصال المعرفة واليقين، فلا تفزعهم المحن، ولا تعصف بهم النوازل، ولا تهزهم نوائب الدهر، ولا تستفزهم الأيام بحوادثها المفجعة، لأنهم عرفوا خالقهم سبحانه وتعالى، وقدّروه حق قدره، وثبتوا على إيمانهم كالجبال الرواسي، لا تؤثّر فيهم الرياح العاتية، ولا تنال منها العواصف.

يقول المولى سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة - ١٥٥:١٥٧، فالمولى سبحانه يعلم المؤمنين أنه لابد من اختبارهم، وامتحانهم بالمحن والشدائد والمخاطر، إذ إن معالي الأمور لا تكتسب إلا بالصبر والمثابرة.

ويقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله عز وجل به: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها.. إلا أخلف الله له خيراً منها».

والصبر عن الله سبحانه وتعالى في جفاء، لأن من لم يصبر، ويعتمد على المولى سبحانه وتعالى، فقد أصيب بمصيبتين، لأنه يصاب أولاً، ثم لا يتذرع بالصبر ثانياً، فيضيع ثوابه، وقد روى عن فاطمة بنت الحسين - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «من أصيب بمصيبة، فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها، كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب».

الصبر قيمة من قيم الإسلام

إن الصبر يعد أحد أعمدة العقيدة الإسلامية، وأهمّ دعامة للنجاح في الحياة الدنيا، والحياة الآخرة، وهو عبارة عن موقف يتميز بالعزم والصدق بحيث يكون على الإنسان أن يختار طريقاً من طريقين:

أحدهما: فيه طاعة للمولى سبحانه وتعالى، وخضوع ورضوخ واستسلام، وتنفيذ كامل لكل ما أمر به.

ثانيهما: استجابة الفرد لأهوائه وميوله وربما مخاوفه، وهذا الطريق أيسر وأسهل من الطريق الأول.

والفرد عندما يختار بين أمرين، يتعرض لضغوط كثيرة، قد تؤدي به في النهاية إلى اختيار الطريق الأيسر والأسهل، لأنه يتعرض لضغوط من داخل نفسه، تتمثل أقوى ما تتمثل في ميوله وأهوائه، وضغوط من خارج نفسه، كإيثاره السلامة عن طريق مسايرة الناس، والتفريط في طريق الحق سبحانه وتعالى، التماساً للأمان العاجل، والمنفعة العاجلة.

والفرد على الدوام مواجه بعملية الاختيار بين طريقين، في كل لحظة من لحظات حياته، وفي كل أمر من أموره، فعليه أن يختار بين أمرين، ولكل أمر أسبابه ودواعيه الداعية إلى ترجيحه وتفضيله، والأسباب تدور بين الرغبة في العاجل، وبين إيثار الآجل.

فمن يستطيع أن يخدع المتعامل معه ليكسب مكسباً عاجلاً، يؤثر هذه الرغبة مادام قادراً عليها، فلا تستقيم معاملاته سواء في الدنيا أو في الآخرة، والذي يفر عند لقاء الأعداء يخضع للرغبة في إيثار السلامة العاجلة، ويؤثرها على كل النتائج الآجلة، مهما هبط به الفرار إلى أدنى درك، وحتى لو اتصف بالجبن والضعف، ونظر إليه الناس نظرة استهزاء وسخرية.

والصبر لا يكون إلا في اختيار الموقف الآجل على الموقف العاجل، وعندئذ يكون الصبر فضيلة سامية، تلك الفضيلة التي تقوم على الفهم الصحيح، والإدراك الجيد للأمور، فاختيار العاجل يقوم على الاستجابة غير المحسوبة لأحكام أي موقف من المواقف يوجد فيه الإنسان، وأما اختيار الإنسان للآجل، فهو عبارة عن الاستجابة المحسوبة للمواقف.

في الصبر علاج لكل الأدواء النفسية

إن الإنسان إذا فاجأه أمر من الأمور، أو موقف من المواقف، فهذه المفاجأة لها حكمها، لها الحل الذي توحي به كل مفاجأة من الآثار، أياً كان شكلها ونوعها، فالذي يستجيب لعاطفة الغضب الجامح، فيقتل من أغضبه، إنما يخضع للظروف المادية التي أحاطت به في وقت انفعاله، ويجعل لها عليه السلطان الكامل، فهي تعمي بصره عن إدراك غيرها، وتجعل بصيرته بالنسبة للنتائج في الدرجة الثانية أو الثالثة، أو ما دون ذلك بكثير بالنسبة لقدرة تركيزه، وتصوره للموقف التالي الذي يواجهه، لأن حدّة البصر تكون منصرفة حينئذ للمحيط المادي فقط ولا تتعداه إلى غيره.

وأما الاستجابة المحسوبة، فيلزمها بادئ الأمر أن يتحرر الإنسان من هول المفاجأة وحكمها، حتى يتمكّن من الإبصار الذي لا يتحرر إلا بالفهم الصحيح، والتحليل الصادق، ثم يباشر عملية ممارسة شاقة لأسباب الحل الآجل، حتى تستجيب له الأحداث، وهذا هو نصر الله سبحانه وتعالى، ويكون هذا نتيجة القيام بعملية ضبط سريعة للانفعلات التي تنتابه، تجاه المواقف التي تواجهه.

فالاستجابة العاجلة تكون خضوعاً واستسلاماً غير مبصر من الفرد للآثار المادية، أو ردوداً مباشرة لها، وأما اختيار الآجل فهو التحليل الصادق، والفهم الصحيح، والتروي، مع عدم الانخداع بالفوريات، حتى تستجيب الأحداث، فيصبح الفرد هو سيد الموقف، وليس عبداً له.

والإنسان إذا لم يبادر بشفاء نفسه من أي انفعال فوري، فإن هذه الانفعالات ستنقلب إلى أدواء نفسية مزمنة، وربما يصعب أو يستحيل التخلص منها، وعندئذ تسيطر عليه سيطرة كاملة، فانفعال الغضب الجامح إذا لم يعالجه الإنسان بالفهم الصحيح، والصبر على هذا الفهم، فإنه ينقلب مع مرور الوقت إلى رغبة في الانتقام، والفرار من لقاء العدو ينقلب مع مرور الوقت إلى استكانة متأصلة في النفس، والركون إلى اللذة العاجلة ربما ينتهي بالإنسان إلى التحلل، وضعف الشخصية.

إن الأدواء النفسية مثل الأدواء العضوية سواء بسواء، إذا لم تعالج في البداية علاجاً جيداً انقلبت إلى أدواء مزمنة، وربما ضاعت حياة الإنسان هباء، وهو خادم لرغبة خاطئة، محدودة، وهدامة، فالصبر علاج لكل الأدواء النفسية، وهو أعظم درجات السمو العقلي، والنفسي، وغاية ما يطمح إليه الإنسان من تحرر، فالصابر هو الانسان الكامل، والصابر هو الإنسان القادر على التسامي فوق الأحداث، وفوق الانفعالات، وفوق العواطف الهدامة.

الصبر جزء من الإيمان القوي

إنّ الصبر مادة كيميائية تفرزها خلايا المخ، وتزداد كلما زاد الصبر على الآلام حتى يستطيع الفرد مواجهة ضيقة الحياة ومشقاتها، ومكارهها ومتاعبها، فالصبر وحده هو العاصم أمام التيارات المتلاحقة، إذ إنه دواء كل فتنة، وبوجوده يتحقق الإيمان، والإيمان هو «الصبر»، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ عندما سئل عن الإيمان، فقال: «الصبر».

ولما كانت الحياة الدنيا مرحلة انتقال، ودار امتحان، كان على الفرد أن يكرّس جهده، ويعد نفسه على الدوام لاجتياز امتحانها بنجاح وتفوق، إذ إن الابتلاء في الحياة الدنيا يصهر الناس، ليكشف عن معادنهم، كما أن الذهب يصهر بالنار، ليعرف جيده من رديئه، وخالصه من زائفه.

يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت: ٢-٣، أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والمولى سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، أو كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة.

وابتلاء الفرد في الحياة الدنيا لا يعد دليلاً على عدم رضا المولى سبحانه، بل الابتلاء هو عنوان حب الله سبحانه له، لأنه إما أن يكون طائعاً فتحطّ عنه خطاياه، وترفع له درجاته، وإما أن يكون عاصياً منصرفاً عن خالقه سبحانه، فيمسّه الضر، ليفيق من غفلته، ويستيقظ من رقدته، ويلتجئ إلى المولى سبحانه داعياً أن يشكف عنه ما به من ضرر، ويزيل ما حاق به من كرب، فيرفع يديه إلى السماء، في خشوع وخضوع، متذكراً رحمة مولاه، قائلاً: «يارب» فيجيبه، الحق سبحانه: «لبيك يا عبدي»، إذ إن المولى سبحانه يحب أن يضرع إليه عبده بالدعاء والرجاء، فيتحقق بذلك جلال الربوبية وخضوع العبودية.

ومما يؤيد ما نقول من أن الابتلاء دليل على حب المولى سبحانه وتعالى لعبده، أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا أكثر الناس بلاء، على الرغم من أنهم أحب عباده إليه.

ولهذا أجاب سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه من سأله: أي الناس أشد بلاءً؟.. بقوله: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل... يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثمن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وأن الرجل يصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة».

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً... قال: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، فقلت: ذلك أن لك أجرين... قال: «نعم».

وأن المستعرض لقصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين يرى العجب العجاب، ويقف مشدوهاً أمام عظمة صمودهم، وروعة تحمّلهم لنكبات الأيام، وصروف الليالي، لا يزعزع ذلك من عقيدتهم ولا يفتّ في عضدهم، يقيناً منهم بأن النصر من الصبر، وأن الفرج مع الشدة، وأن مع العسر يسراً، وأن الصابرين يوفون أجرهم بغير حساب.

ولو نظرنا في مسلك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لوجدنا أن حياته كلها كانت امتحاناً لتمسكه بالصبر، وإثباتاً للنجاح في هذا الامتحان، فقد مُني في حياته الخاصة بالكثير مما تنوء به عقيدة الضعفاء، وتدفعهم إلى التبرم والتشكك، ومُني في حياته العامة في سبيل الدعوة بالكثير مما تنوء به النفوس.

ولقد أثر عن رسول الله ﷺ أنه لما بعثه الحق سبحانه وتعالى بالرسالة الخاتمة، ووجه إلى الدعوة الحق، امتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه وبدأ الدعوة إلى الإسلام.

بيد أنها مشت في «مكة» مشي السلحفاة، وعز على الناس أن يتركوا دين آبائهم وأجدادهم، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، ووقفوا في طريق الدعوة الإسلامية، يصدون الناس عنها.

لقد أنكرت «قريش» دعوة رب العالمين، وعارضت رسالة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وطاردت أصحابه، وصدت عما جاء به الدين الجديد من مبادئ سامية، وخلق حميد، ولم تتورع عن استخدام الحديد والنار، فصبر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على كفرهم، وتحمّل عنتهم وإيذاءهم، وثبت أمام عواصف ظلمهم وطغيانهم، استجابة لما دعا إليه المولى سبحانه وتعالى من صبر جميل، وإقدام ثابت، إذ قال له سبحانه وتعالى: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) الروم:٦٠.

وعندما أصبح حبل الرجاء بالياً، ولم يجد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أملاً في أن تثمر الدعوة في مكة الثمرة المرجوة منها، بذل صلوات الله وسلامه عليه محاولات عدة، بحثاً عن قاعدة جديدة لدعوته، وكان من تلك المحاولات ذهابه إلى «الطائف»، يلتمس نصرة قبيلة «ثقيف»، ولكنهم ردوه رداً غير كريم، وأغروا به صبيانهم وسفاءهم، فرجع عائداً إلى «مكة» بعد أن ظل بينهم شهراً يحاول دعوتهم إلى الإسلام.

ثم صدر الأمر الإلهي الكريم بالهجرة إلى المدينة، فترك رسول الله ﷺ هذه القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة.

وما أن استقر بها حتى قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لأهلها: «أمؤمنون أنتم؟» فسكتوا، فقال الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : «نعم مؤمنون يا رسول الله»، فقال: «وما علامة إيمانكم؟» قالوا: «نشكر عند الرخاء، ونصبر عند البلاء، ونرضى بالقضاء»، فقال رسول الله ﷺ : «مؤمنون ورب الكعبة».

ثم يوضح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن المؤمن الصادق، صاحب اليقين الثابت، والإيمان القوي الراسخ، لا تبطره النعمة، ولا تهزه النقمة، بل هو هو في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والعسر واليسر، والمرض والصحة، وضيق العيش وسعته، ومع الولد وفقده، يقول صلوات الله وسلامه عليه: «عجباً لأمر المؤمن ان أمره كل خير. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن... إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له».

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «من يتصبّر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

الصبر وتنمية الصحة النفسية:

يعد من أوجب الواجبات على الفرد أن يعي وعياً تاماً المعنى النفسي والروحي الذي أعطاه الإسلام للمحن والكروب، فقد اعتبرها ابتلاء من المولى سبحانه وتعالى، وامتحاناً لعباده، وجعل تصبير النفس عليها عبادة وتقرباً إلى الحق سبحانه وتعالى.

وإن تصبير النفس على ما تكره دون إيمان، فهو تصبير قائم على الرضا بالعجز عن تغيير الأمر الواقع، وفيه استسلام بهدف تخفيف حدة التوتر، والقلق الناتج عن عدم الرضا، والإحساس بالعجز.

أما تصبير النفس على ما تكره تعبداً وتقرباً إلى المولى سبحانه وتعالى، فقائم على الرضا بقضائه، والاستسلام لقدره، وطرد لمشاعر العجز والانهزامية.

إن إضافة البعد الروحي لعملية تصبير النفس تجعل لتحمل التعب والأذى، والحرمان والآلام في المحن والكروب، وللإحباطات أربعة أهداف سامية، تعطي للصبر تأثيراً نفسياً إيجابياً، في تنمية الصحة النفسية عند الصابرين المحتسبين:

وتتلخص هذه الأهداف فيما يلي:

١ ـ الحصول على حب المولى سبحانه وتعالى، لأنه سبحانه إذا أحب قوماً ابتلاهم، مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

٢ ـ الإثبات العملي لقوة الإيمان بالمولى سبحانه وتعالى، ففي الابتلاء اختبار لقوة الإيمان، يقول الحق سبحانه: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) محمد:٣١.

٣ ـ محو الذنوب، وحط الخطايا، يقول رسول الله ﷺ : «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب ولا همّ، ولا حزن، ولا أذى ولا غمّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه».

٤ ـ الاستبشار بالثواب العظيم في الآخرة، الذي ينتظر الصابرين في الحياة الدنيا، يقول المولى سبحانه وتعالى: (وبشّر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

وبعد:

فلنعش مع خُلُق الصبر على الدوام، حتى نستطيع أن نسعد بالحياة، ونتعامل مع الأحياء، ولنردّد دوماً قول المولى سبحانه: (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران:٢٠٠. ■

بقلم : د. أمينة خليل

بعد اتهامها بندرة الإبداع

الغرب يكتشف رمزيات فلسفية في الفنون الإسلامية

دأب الغرب على اتهام العمارة العربية والإسلامية بالاستغراق في الزخرفة وندرة الإبداع الخلاق... وهو اتهام يحتوي على كثير من الافتراءات، تدل على نظرة التراث المتعالية والمتربصة التي تجعلهم يكتفون بالنظر في القشور ليطلقوا أحكاماً دون دراسة تغوص وتحلل في جوهر الأشياء.

ولكن إذا أنعمنا النظر في فنون العمارة الإسلامية، نجد الفنان المسلم تفاعل مع بيئته وعقيدته، وأبدع وأضاف للحضارة الغربية.

لقد تفهم الإنسان العربي روح الدين واستجاب لرفض العقيدة استخدام الصور ذات الأبعاد، فاتجه إلى التكوينات الهندسية، معتمداً على فكر وفلسفة تولدت عنده من استخدام هذه الرموز.

فالأشكال الفنية عند الفنان المسلم لها أصول في قواعدها الجمالية والوظيفية الخاصة بها، والتي نبعت من موقف الإنسان الفلسفي والديني، مستلهماً تراثه الحضاري وتفهمه لطبيعة موقعه الجغرافي.

رمزيات فلسفية

وظهرت إبداعات هذا الفن موجهة نحو المساجد باعتبارها بؤرة المدينة ورمزاً للفكر الإسلامي وتجمع المسلمين، وتألق في تصميم مآذنها ومنابرها وصحونها معتمداً

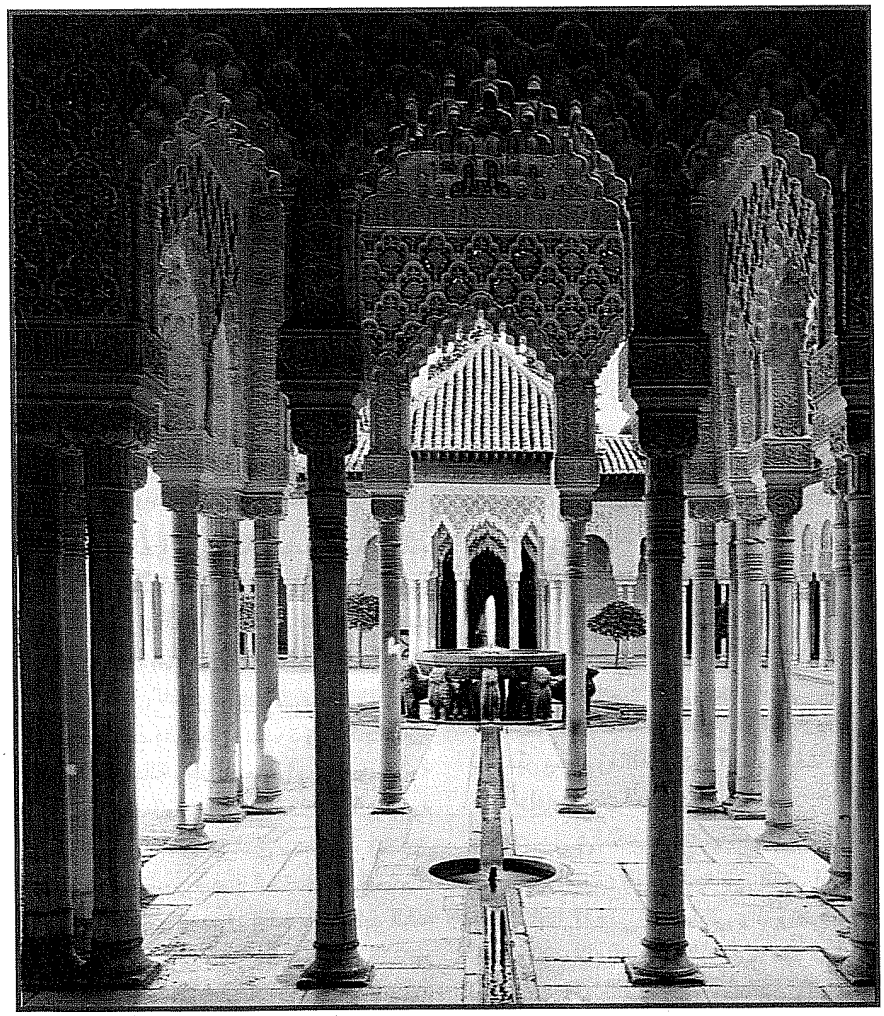

● انموذج للزخارف الاسلامية في الأندلس

على أشكاله الهندسية والتي أصبحت عنصراً أساسياً من عناصر الزخرفة الإسلامية، واستعملها استعمالاً ابتكارياً، لم يظهر في حضارة من الحضارات، وكان الأساس الذي بنى عليه الفنان العربي زخارفه الهندسية هو، الأشكال البسيطة، كالمربعات والدوائر والمثلثات، والذي وجد فيه بعض الدارسين الغربيين والمنصفين، معاني جديدة في استخدام هذه التكوينات الهندسية من تداخل الدوائر والمربعات مع بعضها بعضاً.فقد فسروها على أنها رمزيات فلسفية كونية، فالدائرة المقسَّمة إلى أجزاء متساوية عدة، متقاطعة ومتماسة، تمثل الخلود، وهي نفسها مرسومة داخل مربع يمثل الزمن ليشكلا معاً أشكالاً سداسية وثمانية.

وهذه الزخارف تنقل للرائي إحساساً بالسكون، يبدو في بعض الأحيان إحساساً بالحركة، وذلك نتيجة للتنويع في استعمال الخامات والألوان المختلفة، وتبادل الظل والنور على الأجزاء البارزة والغائرة.

عبقرية استخدام الخط

وتفرد الفنان العربي باكتشاف القيم الجمالية في استخدام الخط العربي في الزخرفة وأعتنى بتطويعه للاستعمال الجمالي، فظهرت أنواع مختلفة من الخطوط، فتطور نوعان من الخط العربي جنباً إلى جنب مع الخط الكوفي الذي تقف فيه الحروف قائمة وشامخة، والخط النسخي وهو كتابة متمايلة سيالة قادرة على عمل تكوينات زخرفية هائلة.

وظهر الخط الكوفي الورقي، والكوفي الوردي، الذي تتشابك فيه الأغصان والأزهار حول الحروف المكتوبة.

ولجأ الفنان المسلم إلى الزخارف النباتية، حيث ابتكر أشكالاً نباتية خرج بها على الأشكال الطبيعية كعادته في التجريد.

وقد انعكست بساطة العقيدة، وعدم وجود قرابين أو تآليه لشخصيات دينية على المسجد، فكان ولا يزال بسيطاً في تخطيطه وتجهيزاته، خالياً من الصور الدينية التي نراها في الكنائس، ويزين بالآيات القرآنية والزخارف النباتية والهندسية المجردة، حتى لا ينشغل ذهن المؤمنين في أثناء الصلاة، إلا بالمطلق المجرد، فلم يهمّ إطلاقاً بمحاكاة الأشياء، وبذلك يتسامى نحو اللانهاية.

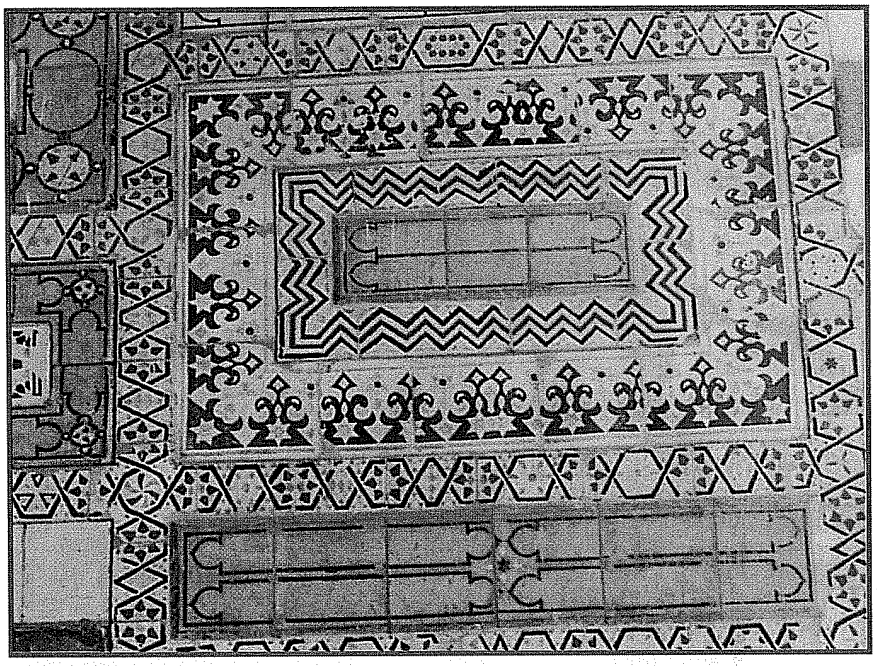

● الزخرفة المقطوعة في الرخام والحجر مما يميز الزخرفة الإسلامية

تفرد المعماري المسلم

وهذا الأسلوب لم يكن قاصراً على المساجد وحدها، بل يمتد بزخارفه وفلسفته إلى جميع أنواع العمائر الإسلامية، فهو أسلوب عام لكل الإنتاج الفني.

وانفرد المعماري المسلم باستخدام أنواع التصميمات المعمارية ودمجها في تصميم معماري إسلامي، أصبح يمثل طابعها المميز، فقد استغل الأسلوب المعماري الهندسي ذي الزوايا الحادة والمستقيمة في حسم مع أسلوب المنحنيات ذات الإيقاعات المختلفة والسلسلة، وتميز بدمج الوحدات الهندسية «الدوائر والمربعات» المستخدمة في الزخرفة، ليأتي بأشكال معمارية متناغمة شديدة الجمال والروعة.

استطاع المعماري المسلم التوصل إلى

استخدام الخط العربي في الزخرفة أسلوب لم يظهر في كل الحضارات

حلول معمارية توفر الحماية اللازمة من المناخ الصحراوي الجاف، والذي يتصف الجو في هذه البيئة بارتفاع درجات الحرارة خلال النهار والتفاوت الكبير في الحرارة بين الليل والنهار، فابتكر طرقاً عدة لتخفيض هذه الحرارة داخل المساكن مثل: تلاصق الأبنية، بحيث تقلل المساحة المتعرضة للشمس واستخدام الأفنية الداخلية الواسعة للتهوية والإضاءة، والمربيات، وأبراج الهواء.

الالتزام بروح الدين

لم يكن التصميم عند المعماري المسلم لمجرد تحقيق الحلول التي تحميه من العوامل الطبيعية أو إبراز مهارته في الزخارف والتشكيلات الفنية، ولكننا نجد تأثير مبادئ الإسلام وتعاليمه في كل تفاصيل تصميماته، فقد استلهم روح البساطة والاقتصاد بما يتفق ومبادئ الدين، فعندما ننظر إلى تصميم المسكن من الداخل، نجد اهتمامه بتوفير الحماية لأفراد الأسرة من أعين الغرباء والرقباء، صوناً لأعراضهم، فقد روعي تصميم جناح الحريم في البيوت الإسلامية ليبعد تماماً عن الأمكنة المخصصة للرجال من خلال مدخل وسلالم مستقلة، وغالباً ما يقع في الأدوار العلوية أو الخلفية، كما حرص على أن تغطى النوافذ بالزخارف الخشبية «المشربيات»، ما يؤكد التزام المعماري المسلم بروح الدين الإسلامي...

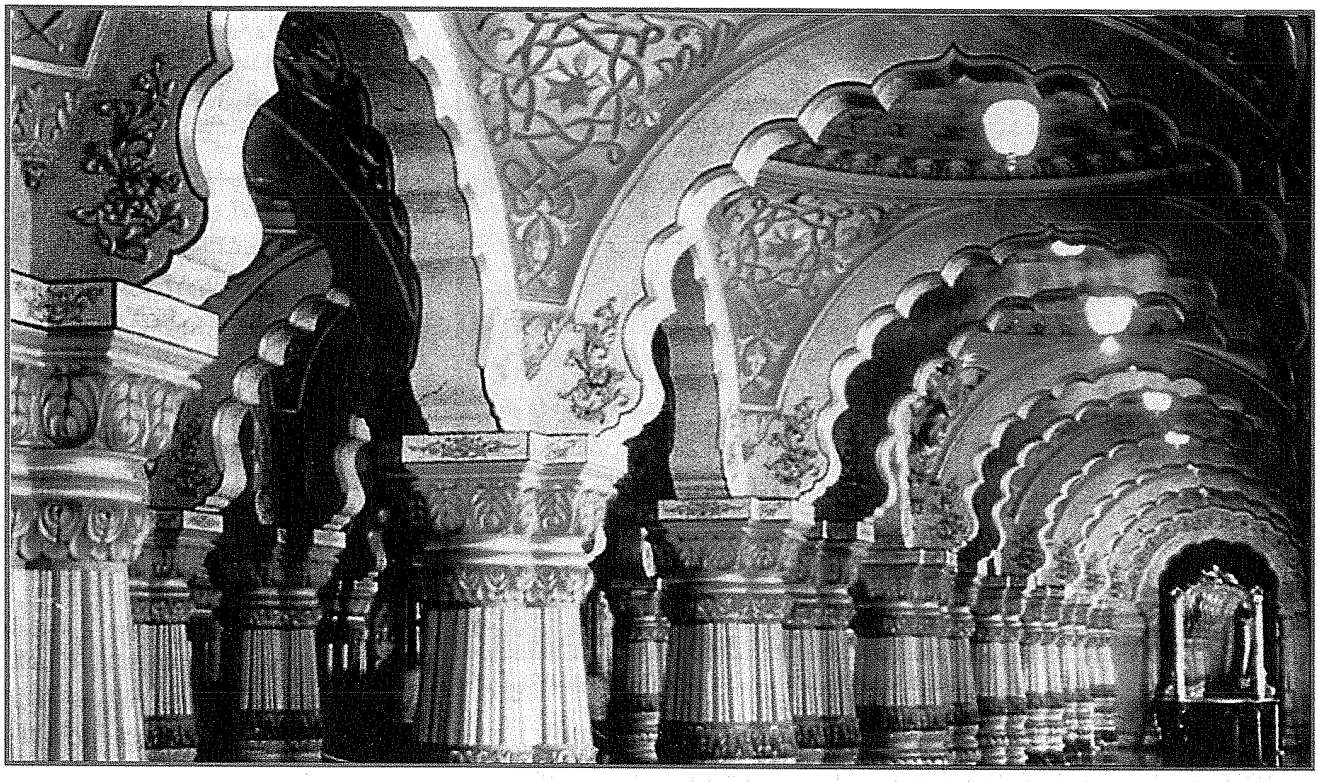

● نمط متميز لأعمدة وعقود وأقواس أبدعها العقل المسلم

وحيث خرج عن المألوف في العمارة الأوروبية التي تستخدم فيها النوافذ للتهوية والإضاءة والرؤية، ولكن النافذة في العمارة الإسلامية تعمل على توزيع وتخفيف شدة الإضاءة داخل المنزل، وبالتالي تقلل من تأثير الحراة، بجانب أنها تسمح بالرؤية من الداخل إلى الخارج، وتحجبها من الخارج إلى الداخل، وبذلك صان حرمة المسكن من أعين المارة والمتلصصين.

مصداقية الفنان

ويلاحظ أن التهوية تحتل أولية في تصميم وبناء المباني عند المعماري المسلم، والذي ابتكر أسلوب «أبراج الهواء» وهو يعتمد على حركة الهواء خارج المبنى للمساعدة على سريان تيارات هوائية باردة داخل الغرفة، فعند مرور تيار هوائي منخفض حول أي مبنى تتولد منطقة ضغط منخفض في الجزء الواقع في اتجاه الريح، ومنطقة ضغط منخفض في الجزء الواقع في اتجاه ما تحت الريح، ولذلك يتولد تيارات هوائية باردة نوعاً ما داخل المبنى.

ولا يقف الأمر عند المناخ الطبيعي وحده واتجاه الأشعة، ومساقطها، بل يعدوه إلى المنظر الطبيعي الذي يعد من العناصر المهمة في تحديد شكل العمارة التي كانت انعكاساً للبيئة، مما دعا بعض المعماريين الحداثيين إلى إطلاق صفة الصدق في التكوينات المعمارية الإسلامية والتي كانت نتيجة طبيعية لتفاعل المعماري المسلم مع البيئة وعقيدته.

قوة العقيدة

والمثير للدهشة أننا نجد وحدة للفنون الإسلامية من أقصى المغرب ومراكش إلى أقصى المشرق في إيران، والهند، رغم الاختلاف في اللغة وأصول الجنس البشري والعادات.

وقد أجمع الباحثون والدارسون على أن

تطوير استعمال النافذة الأوروبية إلى «المشربية» الإسلامية

العقيدة الإسلامية التي انتشرت في هذه البقعة الشاسعة والمترامية الأطراف بسرعة فائقة، كانت ذات أثر قوي في تحقيق هذه الوحدة، بحيث تغلبت على فوارق الجنس والتقاليد الوطنية الموروثة، ولعل السر الكامن في قوة وفاعلية العقيدة الإسلامية، أنها ليست قاصرة على العبادات وإنما نظام للحياة يقوم على دعامات قوية من المثل والمبادئ والقيم الأخلاقية.

ولا يزال المعماري المسلم المعاصر يستلهم خطوطه وتصميماته من الأصول الحضارية، ويتمسك بالبعد الحضاري الذي يجمع بين التراث والمعاصرة والمستمد من الطابع الفني والقومي الذي خلفته العصور السابقة.

وعلى الرغم من استجابته للنواحي العلمية والجمالية التي يعيشها والمتأثرة بالحضارة الغربية الحالية، إلا أنه يبدع ويبهر العالم الذي اتهم حضارته بالاستغراق في الزخارف وندرة الإبداع، فعندما يستحضر تراثه ليمزجه بثقافته المعاصرة، تكون النتائج خلاّقة وباهرة، وتشهد بذلك النماذج المنتشرة في كثير من الدول الإسلامية، وبات الغرب أيضاً يبحث وينقب في هذا التراث المتفرّد ويستوحي منه، بل يحاكيه أحياناً. ■

بقلم : محمد علي وهبة

بهاء الاهتداء

أعرف رجلاً أكل ميراث أبيه، فأكل هذا الميراث نفسه، ثم أُكل جميع ما كان يملكه مما كسبه بجهده في يومه وأمسه، فبارت تجارته، وفسدت بضاعته، حتى ما بقي منها أكلته الجرزان، وذاق بعد ذلك ذل الهوان. وهام على وجهه في الطرقات، يبتهل إلى ربه بالدعاء أن يرفع عنه البلاء، ويشمله بالرحمة، ويخفف عنه القضاء، حتى هداه الله برحمته للمداومة على صلواته، وإطالة الدعاء والاستغفار في سجداته، وهداه كذلك لنشر حكايته بين الناس، ليتعظ بها من لا يتعوذ من الوسواس الخناس.

أنهى محمود مسعود كلماته السابقة، وهو جالس في صحن المسجد، وأمامه جمع غفير من الناس، ممن كان يؤمهم في صلاة العشاء، رفع حاجبيه فوق عينيه في صمت، وهو ينظر إليهم ويفكر للحظات، وهم جالسون ينصتون له في اهتمام، ثم قال محاولاً إثارة اهتمامهم أكثر:

ـ هذه الحكاية حقيقية... حدثت لشخص ممن يعيشون بيننا!

وكان يشعر بالحرج من إخبارهم بأنها هي نفسها حكايته، وأنه هو نفسه الشخص الذي يتحدث عنه. ولعل ذلك من لطف الله، أن جعله مستوراً، غير مفضوح أمامهم، وهو يرويها لهم.

كان كلما تذكر بدايتها ونهايتها، وبدأ بروايتها يشعر برعشة خاطفة راجفة، تمس نبض قلبه وروحه مسّاً غائراً مؤثراً، وتنساب صورها بكامل تفاصيلها في رأسه، ويعاود معها استغفاره إلى الله في نفسه.

كان أبوه تاجراً ثرياً، صالحاً تقياً. أنفق بسخاء على تعليمه، كبيقة إخوته من بنين وبنات، حتى تخرجوا في الجامعات. أنفق بسخاء كذلك على تزويجهم، فصاروا آباء وأمهات، واختصه هو بتعليمه فنون التجارة، بكل ما فيها من حب للمخاطرة والجسارة، حتى صارت له كأبيه تجارة لا معة ساطعة بربح كبير وخير وفير. وأصبح ما لديه من مال يكفيه ويزيد، لكنه في آخر ايام أبيه كان يطمع في المزيد، وبطرق نزيهة أوكريهة، خصوصاً بعد اختلاطه بصحبة جديدة، ضالة سفيهة.

أخبره إخوته ذات يوم بموت أبيه، ليلحق بأمهم، التي انتقلت إلى جوار ربها قبل أبيه، واختاروه لتصفية التركة، التي كانت مليئة بالخير والبركة، فكان هو الوحيد، الذي يفهم في أصول التجارة، وأمور الربح والخسارة.

كان أول شيء فعله أنه فتح خزينة المال، فوجد أوراق النقد مكدسة فيها كالتلال. وقف يتأملها في ذهول، وهو يقول:

أستطيع ضمها لثروتي دون علم إخوتي!

وانطلق صوت مرعد من أعماقه، مليء بالثورة والهياج:

إنهم لا يعانون الاحتياج!

وانفجر صوت شهوة المال في نفسه، فأصابه بما يشبه الانصعاق:

تستطيع بهذا المال أن تملك الأسواق... تفتح الآفاق... تكبر سريعاً... تتضخم كعملاق!!

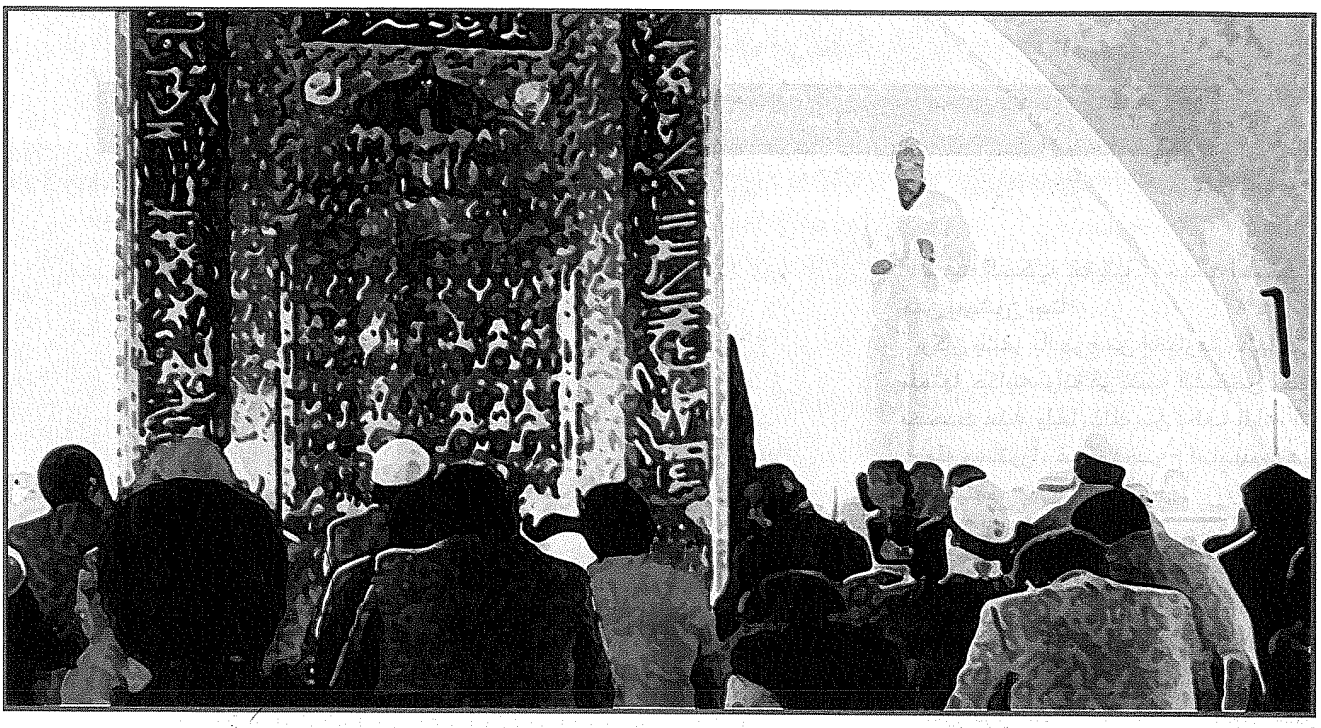

فسارع بضم الأموال إلى خزينته، دون علم أحد من إخوته، أو حتى أبنائه وزوجته.

استحوذت عليه بعد ذلك قوة شيطانية جهنمية، حتى أنه حين يمشي في الطريق، تحتويه أحاسيس غريبة رهيبة تشتعل في قلبه ورأسه كالحريق، وخطواته المشدودة بقوة عمياء يخيل إليه من عنفها أنها تدق في أغوار الأرض والسماء.

عندما سألته إحدى أخواته:

متى نحصل على نصيبنا من ميراث أبينا؟

قال بلا مبالاة:

لم يترك أبونا شيئاً من المال!

ثم قال:

إنه ترك ديوناً أثقل من الجبال!

وأضاف وهو يتظاهر بحزن شديد:

سأقوم بتسديدها من مالي... والله على ما أقول شهيد!

فوقفت تتأمل ملامح وجهه بنظرات مدققة في ذهول. لم تجد في تعبيرات وجهه ما يدل على عدم صدقه فيما يقول، ومع ذلك تركته، وهي غير مصدّقة لقوله.

شاع الخبر بعد ذلك بين أهله فتناقلوا أقوالهم حوله فيما بينهم، وهو غائب عن أحاديثهم.

قال أحدهم:

دعوه لله!

وقالت إحداهن:

لو أراد الله لهداه!

وكان لهم أخ أكبر عارفاً بالله، يخشى حسابه وعقابه، ويسعى لنيل ثوابه. قال لهم:

مال الميت إذا لم يتم تقسيمه على ورثته بحسب شرع الله... فيميت الله هذا المال... ويميت في آكله كل خير... ويستبدل خيره بشر.... ويصيبه بالهوان.. فينتهي إلى خسران!

وذكر لهم قول الله تعالى في سورة الفجر:

(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. كلا بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون على طعام المسكين. وتأكلون التراث أكلاً لّما. وتحبون المال حباً جما).

وشرح لهم المعنى المقصود من لفظ «التراث» بأنه هو «الميراث».

وصدق قول أخيه فيه، فوجد نفسه يتحول من النعمة إلى النقمة، ومن الصحة إلى المرض، ومن الوفرة إلى الندرة، ومن الانتشار والاشتهار إلى الانكسار والاندثار، حتى مدينيه، أحالهم الله إلى دائنين له، فاستولوا بأحكام قضائية على ملكه وماله جميعه! واستحال هو إلى مدين، مهين، حزين!

صار كل القريبين منه بعيدين عنه، فتخلى عنه أهله وأقاربه وأصدقاؤه، حتى زوجه وأبناؤه، ولم يتعود أن يتسول حاجته، فزاد إحساسه بقسوة محنته، حتى أنه كانت تأتي عليه أيام لا يجد فيها شيئاً من بقايا طعام، ولم يستطع أحد، حتى ممن كانوا خدامه أن يقدّم له شيئاً لإكرامه، فصدق فيه أيضاً قول الله تعالى في سورة الحج:

(ومن يهن الله فما له من مُكْرِم).

لم يجد بعد ذلك خلاصاً سوى عودته إلى ربه بالدعاء والاستغفار، في الليل والنهار، والصبر الجميل انتظاراً للغفران، وانقشاع بلاء الهوان.

أنهى حكايته، وهو يمسح بيده على لحيته، ونظراته المنكسرة في حزن دفين تسافر في وجوه الجالسين، وهو يقول في نفسه:

(سأظل أحكي هذه القصة للجموع... فقد تكون لي عند ربي شفيع).

ثم قال لهم، وشفتاه تنفرجان ببوادر بسمة ساطعة بأفراح جريحة دامعة:

ادعوا معي أن يلهمنا الله بالدعاء طلب الغفران، ويباعد بيننا وبين ما يصيبنا بالهوان.

فرفعوا جميعاً أكفهم إلى وجوههم، كأنهم يستجمعون هالات أنوار السماء المتوهجة في الخفاء، فيما بين الوجوه والكفوف، وشفاههم تتمتم بالدعاء في خشوع. أما هو، فلم يلحظه أحد، وهو يخفي عينيه بكفيه، فكانتا تسحان بالدموع. ■

الوعي الإسلامي
al-Wa'i al-Islami
العدد 404
ربيع الآخر 1420 هـ -
يوليو / أغسطس 1999 م

الأسرة المسلمة

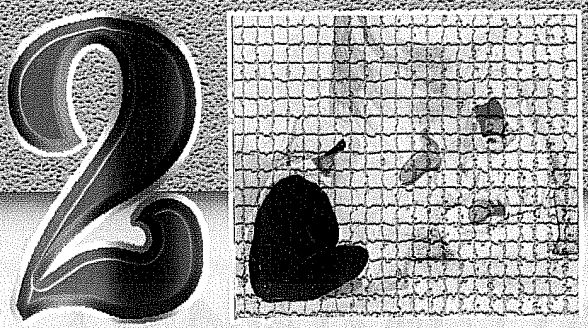

ماذا لو كانت
الضحية ابنتك
أو زوجتك ؟

الطفل الخجول
كيف نشجعه ونرعاه ؟

٨ أخطاء تنعكس سلبا على الأطفال

لحظات السعادة المفقودة

الحسنة بعشر أمثالها

من أسرار الزواج

بقلم: حواس محمود

٨ أخطاء للأهل تنعكس سلباً على الأطفال

من نافلة القول إن الأسرة من أهم عوامل التربية، فالخبرة الأسرية هي أول وأهم الخبرات التي يمرّ بها الإنسان في حياته، وربما يكون الدور الحاسم للأسرة في تشكيل سلوك الإنسان وفي بناء شخصيته في القضايا القليلة التي لا يختلف بشأنها الاختصاصيون في الأوساط الاجتماعية والنفسية والتربوية، والطفل منذ ولادته يتأثر بالبيئة المحيطة به، فهو كالزهرة إن سقيتها وعنيت بها نمت وترعرعت وأينعت وأثمرت، وإن أهملتها وقطعت عنها المياه والشمس والهواء، فإنها ستمرض وتجف وتذبل، والطفل أمانة في عنق والده ووالدته بالرعاية والتغذية والتربية الحسنة، والاعتناء الكافي من جميع النواحي، وذلك بتخصيص أوقات كافية لتعبئته بالقيم السلوكية الجيدة وبالأخلاق والمثل الحميدة، وبالعطف والحنان، ولكنّ هذه الأمور يفتقدها العديد من الآباء والأمهات، وإزاء ذلك يقعون في أخطاء سواء من خلال التعامل فيما بين الزوجين أنفسهما أو من خلال تعاملهما مع أطفالهما، ويمكننا في هذه المقالة أن تناول بعض أخطاء الأهل تجاه أطفالهم، وانعكاسها ومخاطرها على الأبناء من حيث بناء الشخصية وقوتها حاضراً ومستقبلاً والأخطاء تتجسد فيما يلي:

١ ـ الخضوع الزائد لرغبات الطفل: قد يظن الأهل أن تحقيق جميع رغبات الطفل أمر جيد، ولكنّ هذا السلوك يعتبر خاطئاً، بل خطراً مؤكداً شخصية الطفل النامية، فكما أن تحقيق طلبات الطفل في السنة الأولى ـ وبسرعة ـ من حق الطفل لأنه لا يدرك حقائق الأشياء، ولا يعي متطلبات الظروف، ولأنه لا يطيق صبراً على الحرمان، أو عدم الاستجابة فيبكي لأتفه الأسباب ولأقل حرمان، إلا أنه من الواجب أن نعوّده منذ مطلع السنة الثانية من عمره بالتدريج وبالشكل المتوافق مع درجة تطوره وفهمه أن هناك حدوداً عليه ألا يتخطّاها، وأن هناك ظروفاً عليه مراعاتها، وأن هناك آخرين لهم حقوقهم كما له حقوقه، وكمثال على ذلك ليس من حق الطفل أخذ أشياء وألعاب أخيه أو أخته، ولكن لا بأس من استعارتها لبعض الوقت ومن ثمّ إعادتها، أو أن يعبث بحديقة المنزل أو بدفاتر وكتب إخوته...إلخ.

وبعد أن يكبر ويصل إلى سنّ الثالثة عليه أن يعلم بأنه ليس مسموح له دائماً الخروج من المنزل، كلما طلب ذلك أو يشتري لنفسه أشياء من الدكان المجاور، كما أن الطفل عندما يشعر بأن أي أخطاء سيرتكبها ستمر دون عقاب قد يؤدي إلى فقدان الوالدين سيطرتهما عليه، فالقاعدة التربوية المنطقية الصحيحة هي تلبية حاجات الطفل ضمن حدود الحاجات الفعلية والإمكانات المتاحة للأسرة، وذلك منذ البدء، وإلاّ فإنّ الطفل قد يتمادى في طلب الأشياء وقد لا تنضج شخصيته بالشكل السوي، ويصبح أسيراً لرغباته ونزواته بعد أن عوّده أهله الخضوع لرغباته غير الناضجة وغير المتوافقة مع سنّه، والنتيجة أن يصبح الطفل أنانياً يحبّ نفسه فقط، وعصبياً، ثم يقطع عنه الأهل هذا التدليل ما يجعل الطفل يفاجأ بذلك ويؤدي في حالات كثيرة إلى ظاهرة ما يسمّى بـ«عقوق الأبناء للآباء».

٢ ـ طلب الكمال: يطلب الأهل من أبنائهم في كثير من الأحيان أن يبذلوا جهوداً قد تكون فوق طاقاتهم وإمكاناتهم لمجاراة أقرانهم وزملائهم في المدرسة أو العمل، وعندما يشعر الطفل بعدم تحقيق ذلك فإنه يشعر بالنقص، ويتشكل لديه مركب النقص، ومن الأقوال المسجلة في مثل هذه المواقف قول الأم ـ إن ابني لا يبذل جهده

في الدراسة إنه ذكي ويستطيع أن يحصل على علامات أعلى وهو لا يبلغ المستوى الواجب عليه أن يبلغه.

- إني كنتُ أطالبُ ابني وألاحقه كي يدرس كثيراً، ولكنني لم أعد أفعل ذلك الآن إنه هو الآن الذي يطالب نفسه بمستوى أعلى ويتحسّر لأنه لا يستطيع الحصول على درجات عالية.

٣ - الإفراط في التوجيه:

والمقصود بذلك زيادة مراقبة الطفل ومتابعته والتدخل في تصرفاته وممارساته وعدم تركه على حريته فمثلاً طفل يلعب مع أقرانه أو مع لعبته في المنزل وهو منسجم ومندمج بهذا اللعب، وتأتي والدته لتقول له تعال إليَّ يا بني لأغير ملابسك وعندما يرفض الطفلى ذلك تأخذه أمه رغماً عنه، هنا يشعر الطفل أن لحظة لذيذة ممتعة قد ذهبت منه بسبب موقف والدته، ما قد يؤدي إلى البكاء والصراخ، وعندما يتكرر مثل هذا الأمر يصبح البكاء والصراخ شبه دائم، وقد يصبح الطفل بالنتيجة اتكالياً وقليل المبادرة، يعتمد على أهله في كل شاردة وواردة، ومما تقوله الأم عندما تشتكي سوء سلوك ابنها نتيجة هذا الموقف السيئ، إني شديدة القلق على ابني فهو يعصيني ولا يريدني أن أنصحه بشيء أبداً أو أن أصحح له خطأ أو أن أرشده، وكلما طلبت إليه شيئاً انتحل الأعذار المختلفة ليتهرّب من الاستجابة.

٤ - الإفراط في العقاب: ويحدث هذا الموقف كثيراً في البيئات المتخلّفة خصوصاً، إذ يلجأ الأهل إلى معاقبة الطفل على كل صغيرة وكبيرة وبشدة لا تتناسب مع درجة ونوع الخطأ، وقد يكون الخطأ حاصلاً نتيجة لعدم نضج الطفل العقلي والجسمي، وفي هذه الحال لا تجوز معاقبته، وإنما تنبيهه وإرشاده إلى جادة الصواب، وفي حال تكرار الخطأ رغم النضج فإنه يجب معاقبة الطفل بشكل خفيف ومتدرّج حتى يستقيم سلوكه، ويرجع عن ذلك الخطأ، وفي حال استجابة الطفل الدائمة للعقاب قد يؤدي به إلى انتقاص ذاته، وتشكل مركب النقص عنده، والميل للعمل ضمن السلوك الذي يؤنّبه عليه أهله أي أنه يبدو وكأنه يتعمد أن يظهر بمظهر الشخص غير الكفء لتُكال له عبارات الانتقاد.

٥ - الإهمال:

وهو يعني عدم توافر الوقت الكافي للاعتناء بالطفل ومشاركته في اهتمامه وألعابه بما يتناسب وتطوره العقلي والنفسي، فالطفل يحتاج إلى ملاعبة أهله، وهو يجد متعة كبيرة في ذلك ويحتاج للتنزه ورؤية الأشجار في الحدائق والناس والسيارات والدكاكين، وبخاصة في سنوات عمره الأولى ما يؤثر عليه سلباً يضاف إلى ذلك من أنواع الإهمال عدم متابعة دروسه وتطوره التعليمي والثقافي، وبذلك يتشكل نقص كامن في شخصيته سببه عدم الإطلاع على مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية.

٦ - التفريق بين الأطفال في العائلة الواحدة:

بعض الأهل يعامل أحد أطفاله معاملة تختلف عن شقيقه وذلك بتدليله بشكل زائد ما قد يؤدي إلى غيرة بعض أشقائه منه، وتتطور تلك الغيرة مع الزمن إلى حقد وكراهية، ربما تفسد شخصيته باعتماده على الأهل بشكل دائم في الاتكالية وعدم القدرة على التصرف إزاء مواقف الحياة، وقد يكون التفريق بين الابن والبنت، خطأ له نتائجه السلبية إذ تشعر البنت دائماً أنها كائن ضعيف مغبون بين إخوانها، أي أقلّ أهمية من شقيقها ما يخلق في نفسها حزازات وغيرة وأحقاداً لا مبرر لها.

٧ - المشاجرة بين الأهل في المنزل:

قد يتشاجر الأب والأم في المنزل حول مسألة ما، ومع أن الخلاف أمر عادي في أي منزل إلا أن الصراخ العالي والشتائم أمام مرأى ومسمع الأبناء له مخاطر سلبية كبيرة على نفسيتهم التي تشعرهم بعدم الأمان وعدم الراحة والقلق، هذه النواحي خطيرة على تكوينهم التربوي، وله انعكاسات خطيرة في المستقبل، وتشير إحدى دراسات «جتمان وكاتز» إلى أن الأطفال الذين يعيشون مع والدين يتشاجران وعلاقتهما الزوجية غير مرضية يشعرون بالتوتر، ويكونون أقلّ قدرة على التعامل مع مشاعرهم وأقل استطاعة للعب بنشاط مع أقرانهم وتعتقد «بروكس» أن مثل هذه التأثيرات الواسعة تحدث لأن الوالدين يصبحان أقل فاعلية عندما تكون علاقتهما الزوجية غير سعيدة، ويُضاف إلى ذلك أن الجوّ الأسري السلبي يقود إلى مشكلات سلوكية لدى الأبناء، فالأبناء يصبحون أكثر تهوراً وعصياناً، ويشعرون بمستويات عالية من التوتر والضيق النفسي، ويتبين أيضاً أن الخلافات الزوجية «المشاجرات» في مرحلة ما قبل المدرسة تترك تأثيرات طويلة المدى تستمر إلى مرحلة المراهقة حيث يكون الأبناء أقل قدرة من غيرهم على بناء علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين وأقلّ قدرة على ممارسة الضبط الذاتي.

٨ - الإقلال من قيمة الأطفال والسخرية منهم والتشكيك في تفوّقهم ونبوغهم

وهذا خطأ فادح وخطير لأنه يؤدي إلى تشكل عقدة النقص لدى الطفل، فتهتز شخصيته، ويشعر دائماً أنه مهما أبدع ومهما تفوق، فإنه يظل دون مستوى أقرانه، ممن ينالون كلمات المديح والثناء والإعجاب من أهلهم على العكس من حاله مع أهله، إن الطفل يحتاج للتشجيع والتحفيز والثقة من أهله، وبفقدان هذه العناصر الضرورية لتربية سليمة ناجحة ومعاناة، فإن الطفل قد يصبح انطوائياً أو عصابياً أو ضعيفاً في شخصيته وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين، وكمثال على ذلك:

بعض الأهل يقولون عن أحد أبنائهم إنه «مجنون» يطلقون هذا اللقب عليه نتيجة تصرفات عصبية قد تكون من إفرازات تربيتهم الخاطئة معه ومع أشقائه ناسين ما لهذه الكلمة وأمثالها من أثر سلبي سيئ على نموّه التربوي الحالي والمستقبلي. ■

بقلم: عبدالعزيز إسماعيل أحمد

الطفل المدلل ... ؟!
كيف نتعامل معه ؟!

تتفق الآراء التربوية على أهمية مرحلة الطفولة في بناء شخصية الإنسان المستقبلية، فإذا ما اعترى تربية الطفل أي خلل فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى نتائج غير مرضية تنعكس سلباً على الفرد والمجتمع معاً... وما التدليل الزائد للطفل في مراحل طفولته الأولى إلا خلل يجب تداركه وعدم الإفراط فيه.

فالأبوان يرسخان لدى الطفل هذه الناحية عندما يخافان عليه بصورة مفرطة، ويسعيان لإرضائه وتلبية حاجاته مهما كانت، إن هذا الخوف الزائد على الطفل يتمثل بصورة «الدلال الزائد» وهذا لا يختلف من وجهة النظر التربوية عن «القسوة المفرطة» على الطفل فكلاهما تصرُّفٌ خاطئ يجب تجنبه والابتعاد عنه لأنه يؤدي إلى نتائج سلبية لا تُحمد عقباها.

التمييز بين الرغبة والحاجة:

يجب أن نضع في الحسبان التمييز بين رغبات الطفل وبين حاجاته الأساسية، فالرغبات كثيرة ولا تخضع لمعيار ففي المراحل الأولى من حياة الطفل تكونُ نوازعه كثيرة وتلازمه دائماً لأنه في هذه المراحل لا يستطيع أن يستوعب القيم الأساسية في محيط الأسرة، ولا يكون قد تعلم بعد كيفية التحكم بنوازعه ولجم جموح ذاته والمثال على ذلك: «إذا لفتت نظر الطفل في واجهة محل للألعاب لعبة ما، فإنه يلحُّ على طلبها وإن كان لديه مثلها في المنزل، بل يعمد إلى البكاء والصراخ كوسيلة للحصول عليها وكلما

ذكّرته أمه بلعبته المشابهة زاد عناده وصراخه، وبرر ذلك بأن لعبته المشابهة صفراء أو زرقاء أما اللعبة التي شاهدها في واجهة المحل فحمراء اللون».

ويطلق على هذا تسمية «التبرير الطفلي». فلا يكف عن الصراخ والبكاء فتقع الأم في حيرة من أمرها، وتضطرُّ للجوء إلى أحد حلّين: إما أن تضربه - عقاباً له - أو تنصاع لرغبته فتقوم بشراء اللعبة وفي كلا الحالين يحسُّ الطفل بلذّة الانتصار لأنه استخلص من أمه رد فعل محدد يتعلق بتلك الرغبة التي لا علاقة لها باحتياجاته الضرورية وهذا يقوده إلى التمادي في تكرار هذه الصورة لأنه عرف حقيقة موقفه بأنه «مدلل» لذا تزداد رغباته والطلبات التي لا علاقة لها بحاجاته الضرورية، والحل المناسب لعلاج مثل هذه الحالة أي - موقف الصراخ والبكاء - هو أن تتعامل الأم معه بصبر وروية وبرودة أعصاب مع شيء من الحزم، فالطفل يستجيب للحزم عندما يكون التعبير عنه مدعماً بإيضاح مبسط لأسباب الرفض.

أما الحاجات الضرورية للطفل فهي كثيرة منها: الحاجة الجسمانية، كالحاجة للغذاء، والحاجة للهواء النقي، والرداء المناسب، والحاجة إلى النوم، وثمّة حاجات نفسيّة مثل: الحاجة للحنان، والحاجة إلى الشعور بالانتماء إلى الأسرة والحاجة إلى الشعور بأنه محبوب ومرغوب فيه والحاجة إلى الاطمئنان والأمان، والحاجة إلى الحرية في الحركة والتمتع بمباهج الحياة، والحاجة إلى اللعب، والحاجة إلى حب الاستكشاف، يقول المثل الإنكليزي: «الطفل كالدجاج دائم البحث والتنقيب».

إنَّ تفهم الأبوين لهذه الحاجات الضرورية يجنبهما الانقياد لرغبات الطفل ونزواته ويصلان به إلى نوع من الاستقرار النفسي الذي يجعله يحسُّ بأهميته ومكانته، ويدعم ذلك حنان الأبوين ورعايتهما السليمة له وتوجيهه التوجيه الإيجابي البناء.

أنواع الأطفال المدللون:

الطفل الوحيد: وهو ذاك الطفل الذي يحيطه أبواه بهالة من الحنان المفرط والخوف الزائد عليه من كل شيء... وهذا الإفراط في الخوف عليه نابع من وحدانيته.

فالطفل البكر: يكون عادة ضحية لتربية خاطئة إذا ما ربيّ مدللاً.

الطفل الأخير «آخر العنقود»: عادة يعيش أطول فترة أمومة إذا ما قورن بمن سبقهُ من الأطفال... لذا يكون مدللاً.

الطفل ذو العاهة: يُدلّل نتيجة للشفقة عليه وهذا ما يكرِّس لديه عقدة «الشعور بالنقص» وذلك انطلاقاً من شعوره بشفقة الآخرين عليه نتيجة لكونه غير سوي، وهذا يؤدي إلى حقده مستقبلاً ما يثير نقمته على المجتمع بأسره.

الطفل الذكر بالنسبة للبنت: وهذا ما اعتاده معظم الناس وهو التمييز المفرط بين الذكر والأنثى ما يؤدي لتدليل الذكر وإهمال الأنثى وهذا خطأ يجب تفاديه.

دور الأم:

غالباً ما تؤدي الأم دوراً أساسياً في عملية التدليل لأنها تكون موجودة في المنزل بشكل دائم، وعلى احتكاك مستمر بالطفل، لذا يحاول الحصول على رغباته عن طريقها، فهي تطعمه، وتدفئه، وتنطفه، وتقضي حاجاته وتوفر له الراحة وتسعفه، وتسهر عليه في مرضه ولا تضربه إذا أتلف أو خرَّب شيئاً عكس الأب الذي غالباً ما يكون في عمله بعيداً عن المنزل بالإضافة لكونه أشد قسوة من الأم دائماً لذا تكون درجة تدليل الطفل لديه أقل منها لدى الأم.

نتائج سلبية:

إن التدليل المفرط يخلق شعوراً لدى الطفل مؤداه أن جميع رغباته تتحقق ما يؤدي به إلى الإحساس بأنه متفوق على الآخرين وبأنه أحسنهم وأفضلهم وبأن جميع أفراد المجتمع وجدوا لخدمته.

ولتأمين راحته، فإذا ما كبر فإنه سيصطدم بالواقع، ويفاجأ بحقوق الآخرين وبأنَّ الحياة ليست له وحدة، وأنَّ التعامل مع الناس أخذ وعطاء، كما يتوصل إلى مفهومي «الحق والواجب» فيعيش حالاً من «الصراع» تقوده إلى الفشل المؤدي إلى نوع من الألم النفسي فهو يفاجأ بأنه لم يعد يستطيع تحقيق ما يريد كما كان في طفولته.

ومن النتائج السيئة المترتبة على ذلك أيضاً فشله في حياته الزوجية لأنه «أناني» ويكون في حال طلب وأخذ دائمين دون عطاء، ودون أن يتبادل الحب والعطف مع الطرف الآخر، لذا نراه يتهرب من حياته الزوجية وتكون نهايته الحتمية الفشل، وعدم الاستمرار.

الوقاية خير من العلاج:

يجب أن تكون معاملة الطفل منذ البداية متراوحة بين اللين والقسوة فلا إفراط ولا تفريط، ويجب كبح جماح رغباته، وعدم الاستجابة لكل طلباته لأنه إذا شب على شيء شاب عليه.

كما يجب أن يكون هناك توازن في التعامل مع الطفل، وتدرج في تعليمه قواعد التعامل العائلي ضمن نطاق الأسرة، ثم على نطاق أوسع وهو المجتمع ولا يجوز التغاضي عما يرتكبه من حماقات أو أخطاء أو التغاضي عنها على أساس أنه صغير ولا يفقه، بل يجب أن نغرس في نفسه القيم والإيجابيات السلوكية التي تبنى على أساس من التعامل الصادق والثقة المتبادلة، واحترام آرائه وأن نكرِّس لديه مفهوم «القدوة الحسنة» والاقتداء بما هو صالح ومفيد، كل ذلك ضمن إطار من التوجيه البنّاء، فنعاقبه حين يخطئ ونثني عليه حين يصيب ويحسن التصرُّف، وبذلك نثبِّت ما هو صحيح، ونلغي ما هو خاطئ لنصل إلى طفل قوي البنية، متّزن السلوك، ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع. ■

المراجع:

١ - كتاب العربي - العدد رقم ٢٣ - بعنوان «الطفل العربي والمستقبل» تاريخ ١٩٨٩/٤/٥م.

٢ - مجلة «الحرفيون» سوريا - العدد ١٥٠ - تشرين أول ١٩٩٠م.

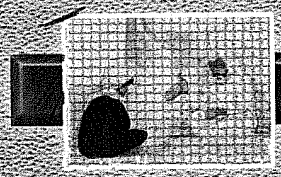

بقلم: محمد سلامة جبر

نحو أسرة مسلمة 3

من أسرار الزواج

تقدم أن الزواج «سكن» للرجل والمرأة على السواء والسكن يعني «الطمأنينة والهدوء والاستقرار» فالرجل لن يجد هدوء نفسه، وسكينة قلبه، واطمئنان روحه، إلا في الزوجة الصالحة، التي تكون له خير معين على تكميل دينه، وتعمير دنياه، والعمل لأخراه.

يدل لذلك قوله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم:٢١.

من أسرار الزواج التي اشتملت عليها الآية، أنه صفة كمال للإنسان، بل من أعظم ما منَّ الله به عليه من صنوف الإنعام، ويدل لذلك وصفه نعمة الزواج بأنها من «الآيات» ويدل لذلك أيضاً قوله «من أنفسكم» والمعنى أن الله خلق حواء من ضلع آدم كما جاء في الحديث الصحيح، فإذا كانت المرأة مقتطعة من الرجل، فكمالها - إذن - بالعودة إليه - والاندماج معه، وكذلك كمال الرجل لا يتحقق إلا إذا امتلك جزأه الذي اقتطع منه، وأعاده إليه ليكمل نقصه به.

فإذا تبين هذا، فإن رجوع الأنثى إلى أصل موطنها، يزيل إحساسها بالقلق والاكتئاب، وألم الضياع، وهم الاغتراب.

وهذا هو المراد بالسكينة والطمأنينة التي أشارت إليها الآية الكريمة، وكذلك الزواج بالإضافة للرجل، يعني أنه قد استرد ما فقده من نفسه، واستعاد بإذن الله ما غاب عنه من أمسه.

كمال الإنسان بالزواج

ولهذا السر العظيم كان الزواج صفة كمال للإنسان، بل به فخره واعتزازه بعد تحقيقه نعمة الإيمان، وبهذا أخبرنا رسول الله ﷺ حين قال:

«إني أتزوج النساء، وأنام وأقوم، وأصوم وأفطر، فمن رغب عن سنتي، فليس مني» رواه البخاري ومسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين النكاح، والسواك، والتعطر، والختان» رواه الترمذي.

قلت: وهذه الأحاديث وغيرها، فيها دلالة صريحة على أن الزواج من صفات الكمال الإنساني، وليس من باب المتاع الحيواني، ولهذا كان من إكرام الله لبعض أنبيائه - وهم أفضل خلقه - كان من إكرامه لهم سبحانه أن أنعم عليهم بزوجات كثيرات، وإماء عديدات، كداود عليه السلام، فقد أنعم الله عليه بمئة زوجة، وأنعم على سليمان عليه السلام بأكثر من ذلك كما جاء في الصحيح.

وآخر ما كان من آيات إنعامه على أنبيائه، ما تفضل به على سيد خلقه أجمعين، حين أباح له الجمع بين تسع زوجات، سوى جاريتيه: مارية «القبطية المصرية»، وريحانه القرظية، ولو كان الاستكثار من التمتع بالنساء من صفات البهيمية، لنزه الله عن ذلك رسله، فهم أحق من ينبغي أن يصانوا عن تلك النقائص لو كانت من النقائص حقاً، لأن الأنبياء هم أكمل البشر خلقاً، وأعلاهم قدوة وصدقاً، وكل ذلك يعرف بالتأمل في قوله تعالى:

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها).

وهذا لأن الزواج صفة كمال للمخلوق كما تقدم، ولم يتنزه عنه إلا الخالق سبحانه، فهو وحده المتفرد بالأحدية، المتعالي عن النقص والزوجية، بديع السموات والأرض، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وخَلَقَ كل شيء، وهو بكل شيء عليم.

(بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخَلَقَ كل شيء وهو بكل شيء عليم) الأنعام: ١٠١.

ولأن الزواج صفة كمال للرجال والنساء كما جاء بيانه في مطلع المقال، جعل الله لآدم حواء، وشاء أن يخلقها منه لتظل في شوق إليه، واختار لخلقها ضلعه الأيسر ليكون محلها القلب، وتتوثق بينهما عرى الحب.

أمنا حواء

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحيداً ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها آدم: ما أنت؟!

قالت: امرأة

قال: ولِمَ خُلقت؟

قالت: لتسكن إليَّ

فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟

قال: حواء

قالوا: وَلِمَ حواء

قال: لأنها خلقت من شي حي.

ما معنى السكن؟

قلت: قول حواء لآدم لتسكن إليَّ حين سألها: لِمَ خُلِقْ؟

هذا المعنى يدل عليه قوله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم: ٢١.

والمراد بالسكن هنا أن يأوي الرجل إلى زوجته لقضاء حاجته، والسكن يعني السكينة، والسكينة تعني اطمئنان النفس واستقرارها، فتأمل كيف جعل الله في اتصال الرجل بزوجه سكينة نفسه، واطمئنان قلبه، وهدوء روحه... (وجعل بينكم مودة ورحمة) زيادة على تلك السكينة والطمأنينة فعاطفة الحب التي زرعها الله في قلب كل من الزوجين، عاطفة عالية، سامية هانية، لا يعرفها إلا كل زوجين أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان، ومتعهما بلذة الحب والحنان.

فسكينة الرجل إلى زوجه تعني تحقيق كمال ذاته، لأن زوجه كانت قد اقتطعت من ذاته حين خلقت حواء من ضلع آدم.

وبالاتحاد البدني، والاندماج الروحي، يزداد التجاذب بينهما ويتحقق كمالهما الإنساني، ولهذا كان للزواج تلك المكانة المكينة، والمنزلة العالية الرفيعة، ولكن الناس أفسدوا هذه السنة الحميدة، والنعمة الفريدة، حين أعرضوا عن تحمل المسؤولية، واستهانوا بالحرمات الاجتماعية، وأقبلوا على الشهوات البهيمية، فلا عجب أن صار الزواج في نظرهم قيداً، والمرأة عند فاسقيهم صيداً!! (فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) مريم:٧٥. ■

قصة حقيقية

الحسنة بعشر أمثالها

موظف بسيط الحال

حسان الشاب الموظف البسيط يهدئ من حزن أمه ويقول لها: يا أمي إن الحسنة بعشر أمثالها، والصدقة تطفئ غضب الرب وتمنع البلاء، فماذا يضير لو أنفقت في سبيل الله نفقة يسيرة كهذه؟

ردت أمه: ألستُ أمك المريضة؟ ألست أولى بهاتين المئتين بدلاً من جارتنا الأرملة؟ أليس إنفاقك عليَّ أعظم أجراً ومثوبة؟

أجاب حسان: كل ما تقولينه صحيح، ولكنني رأيتها واقفة مع ابنها الصغير في الشارع تنتظر وقوف سيارة أجرة، عرضت عليها المساعدة بإيصالها فلم تمانع.

نظرت إلى ابنها اليتيم إلى جواري، فلمحت مسحة حزن في عينه، وابتسامة يُجبرها على أن تخرج يجاملني بها، وسرعان ما تنمحي، ثم عندما وجدت أن المكان الذي تريده هو الطبيب لم أستطع أن أمنع حناناً شعرت به ينتشر في كل أوصالي، وغلبتْ عاطفتي عقلي، فامتدت يدي إلى جيبي وأخرجت كل ما بها وهو كل ما أملك - وناولته لهذه الأرملة. نزلت من السيارة ولسانها يحاول أن يقول: كل عبارات الشكر والدعاء في تلك الثواني، أما الابتسامة التي رسمها صغيرها على كل وجهه فلم أر أجمل أو أرقَّ منها لأنها حقيقية هذه المرة.

حمدتُ الله يا أمي أن وفقني لذلك، وانطلقت بسيارتي سعيداً هانئاً.

تنهّدت الأم وقالت: عوّضك الله خيراً يا ولدي ولكنني أرانا في حاجة إلى هذه النقود القليلة، ولولا ذلك ما جادلتك ولا احتججت، أستغفر الله العظيم.

بعد ظهر اليوم التالي، عاد حسان من عمله إلى المنزل، والدنيا تكاد لا تسع فرحته، قبَّل يديّ والدته، وسألها طلباتك يا حنونة.

قالت: من أين يا ولدي؟

قال: من عند الله، ألم أقل لك إن الحسنة بعشر أمثالها؟ انظري إلى هذه، عدّيها.

الأم: إنها ألفان.

حسان: أعطيت اليتيم وأمه مئتين فقط، فضاعفهما المولى الكريم عشرة أضعاف.

إنها رزق ساقه الله إليَّ، ولم أكن أنتظره يا أمي، بل كان الأمر مفاجأة من صاحب العمل تقديراً لجهودي، كما يقول هو، وأنا أقول إنما هو هدية من الحنَّان المنَّان لعبده الفقير حسان. ■

إيمان أحمد شراب

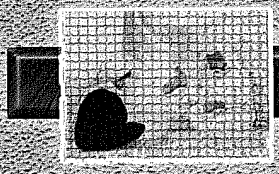

بقلم: محمد رشيد العويد

جرائم في غياب شريعة الإسلام

ماذا لو كانت الضحية ابنتك أو زوجتك ؟!

ماذا يقولون لو طالبنا بمستشفيات خاصة بالنساء، ليس فيها أحد غير النساء: لا أطباء، ولا ممرضين، ولا مرضى... بل طبيبات، وممرضات، ومريضات؟

هل سيقولون: عقلية مغلقة؟ تخلف ورجعية؟ عُقد وأوهام؟ ليقولوا ما يقولون؛ لأن هذا أحفظ للمرأة، وأمن لها، وأكثر حرية.

ولعل ما تنشره الصحف والمجلات من جرائم اغتصاب، وقعت في المستشفيات، يكفي ليؤيد كل عاقل إقامة هذه المستشفيات الخاصة بالنساء، فكيف وجرائم اغتصاب النساء في المستشفيات أكثر بكثير.

والمأساة التي سأعرضها في الأسطر التالية؛ تؤكد هذه الحاجة إلى تلك المستشفيات غير المختلطة.

المأساة أحدثت إحساساً أشبه بالصدمة، وأثارت غضب المواطنين في أميركا.

إنها قصة فتاة أصيبت في حادث سيارة جعلتها تعيش في غيبوبة لا تفيق منها منذ العام ١٩٨٥ قضتها في غرفة للعناية الخاصة بأحد المستشفيات الأميركية يعرف باسم «مركز ويست فول الطبي».

لم تنته مأساة هذه الفتاة بهذا الحادث المؤلم، فهناك وحش بشري اغتصبها وهي في غيبوبة، وحملت منه، ووضعت طفلها، في جريمة من أفظع وأبشع مظاهر الإجرام في هذا العصر.

وقف الوالدان إلى جوار تلك الفتاة، بعد أن وضعت طفلها، وهي ما تزال في حالة غيبوبة، عيونها مفتوحة.. ولكنها لا ترى شيئاً.

وقد طُرحت آراء كثيرة خلال حمل هذه الفتاة: هل يُحتفظ بالجنين أم يُتخلص منه؟ واختار والدا الفتاة أن يحتفظا بالطفل.. وأن يوفرا له الحماية والرعاية.

لنعد إلى القصة من بدايتها. كانت الفتاة تقود سيارتها في طريقها إلى الجامعة في مدينة روشستر قرب الحدود الأميركية الكندية، وأرادت أن تتجنب الاصطدام بغزال خرج إلى الطريق من بين أشجار الغابة المجاورة.. فاصطدمت بشجرة، ونقلت إلى مركز للرعاية، حيث كان يعودها الطبيب الخاص ليترقب ظهور علامات تدل على تحسن حالها.

وبينما كان الأطباء يجرون اختبارات الدم الروتينية عليها.. فوجئوا بمؤشرات تؤكد أنها حامل، فنقلت من دار الرعاية إلى أحد مستشفيات رعاية الأمهات الحوامل. وتولت الشرطة التحقيق للبحث عن الوحش البشري الذي اغتصبها في غيبوبتها.

عندما بدأ الأطباء في إجراء عملية قيصرية لها تبين أنها في مرحلة متأخرة من الحمل. وتقرر أن تترك لتضع طفلها بالطريقة الطبيعية.

وخرج الطفل إلى الحياة وأمه مازالت في غيبوبتها تنتقل بنظراتها إلى والديها وتنظر في أرجاء الغرفة دون أن يبدو عليها ما يدل على إدراكها لما يدور حولها.

لجأ الوالدان إلى مقاضاة مركز ويست فول الصحي بسبب إهماله في رعاية ابنتهم مما جعلها هدفاً للاعتداء.. أما الطفل الذي خرج إلى الحياة فقد تعلقت به الآمال في أن يكون السبيل لمعرفة الجاني.

ولما كانت الأم عاجزة من أن تجيب عن أي أسئلة، أو أن توجه الاتهام إلى أحد، كان الأمل الوحيد أمام رجال المباحث هو الاعتماد على المواصفات الخاصة بالأحماض الجينية لذلك الطفل باستخدام أسلوب DNA؛ فالطفل يحمل الصفات الوراثية لوالده الذي اغتصب تلك الفتاة.

قام المحققون ورجال المباحث بإجراء تحاليل لدماء العاملين في مركز ويست فول الصحي، وقد انحصرت شبهاتهم في ممرض يدعى «جون هوراس». وضاعف من الاشتباه فيه أنه كان قد دين في محاولة اعتداء على مريضة أخرى في المركز نفسه. وقد أُلقي القبض عليه بعد ٤٨ ساعة من خروج هذا الطفل إلى الحياة، وهو يحاول اجتياز الحدود والهرب إلى كندا.

حُوكم جون هوراس عن جريمة محاولة الاعتداء على المريضة الأخرى وحُكم عليه بالحبس مدة ستة أشهر. وجاء هذا الحكم في وقته؛ إذ يوفر لرجال الشرطة ضمانة ألا يهرب في أثناء جمع الأدلة في قضية الاغتصاب التي هم بصدد التحقيق فيها.. كما يتيح لهم أيضاً الحصول على أمر من المحكمة لإجباره على تقديم عيِّنة من دمه لاستخدامها في التجارب العلمية التي تستهدف إثبات الصلة الجينية بينه وبين هذا الطفل.. وكان جون هوراس الوحيد الذي رفض أن يعطي عيِّنة من دمه من بين ٧٥ مشتبهاً فيهم استجوبتهم الشرطة في أثناء التحقيق.. وهم جميعاً من العاملين في هذا المركز الصحي.

ووفق المحققون في التوصل إلى شاهدة يمكنها أن تدلي بأقوال تدين ذلك المجرم، وهي مريضة أخرى كانت تعاني بدورها من حال العجز التام إثر إصابات لحقت بها في حادث سيارة، وقد ظهرت دلائل تؤكد أن هذه المريضة كانت في وضع يسمح لها بمشاهدة الجريمة وقت ارتكابها.. إذ كانت في غرفة الفتاة نفسها.

وأثارت هذه الجريمة جدلاً ونقاشاً في الأوساط الطبية والعلاجية في أميركا بعدما اتضح أن جريمة الاغتصاب وقعت في حمام خاص في غرفة الفتاة المغتصبة. فالمتَّبع هناك أن يقوم الممرضون بغسل أجساد المريضات علانية على مرأى من الآخرين.. ومن المرجح أن الجاني ارتكب جريمته في هذه الأثناء. وكان جون هوراس مطلق السراح بكفالة مالية

بالنسبة إلى جريمته الأخرى عندما اتصلت إحدى السيدات بالشرطة لتبلغهم أن جون هوراس حجز لنفسه تذكرة للسفر بالطائرة باسم «جون لاشر» قاصداً مدينة كويبك الكندية.. فأسرعت الشرطة إلى ضبطه.

في الوقت الذي كانت فيه شرطة مدينة روشستر تجمع الأدلة العلمية ضد المتهم؛ ظهر المزيد من الدلائل على اتهامات بممارسات جنسية أخرى للمتهم نفسه، كما بدأت اتصالات من محامي مركز ويست فول للتوصل إلى تسوية مع أسرة المجني عليها لدفع تعويض معقول! (١)

هكذا تقوم جريمة الاغتصاب هذه دليلاً آخر على خطورة الاختلاط في كل مكان، فحتى المستشفى الذي يفترض أن يكون آخر مكان يرتكب فيه الاغتصاب... تتم فيه هذه الجريمة، ومع من؟ وممن؟ مع مريضة لا تملك قوة تدافع بها عن نفسها، ومن ممرض يفترض أن يخفف آلام مرضاه لا أن يزيدهم ويزيد ذويهم ألماً ومعاناة وقهراً.

لقد جاء أن الشرطة استجوبت ٧٥ رجلاً مشتبهاً فيهم وهم جميعاً من العاملين في هذا المركز الصحي... ألا يعني هذا أن كل رجل شمله احتمال بأن يكون هو المرتكب لجريمة الاغتصاب.. وأن منع الرجال من العمل في مستشفى ليكون خاصاً بالنساء إنما هو عامل وقاية فعّال؟!

كيف يقوم ممرضون بغسل أجساد المريضات؟ كيف يسمح لهم برؤية النساء عرايا؟ أليسوا رجالاً فيهم غرائز؟ ألا تظهر هنا عظمة الإسلام الذي يحرم هذا كله؟!

وأريد أن أسأل كل من يعارض تخصيص مستشفيات للنساء لا يعمل فيها الرجال: أما كنت تتخلى عن معارضتك تلك إذا ما كانت تلك المريضة المعتدى عليها.. زوجتك، أو ابنتك، أو أختك، أو أمك؟

هل ترضى وتتنازل إذا جاءك محامي المستشفى يعرض عليك التنازل عن قضيتك لقاء مال يُدفع إليك؟ كما فعل محامي مركز ويست فول حين عرض دفع «تعويض معقول» من أجل تسوية مع أسرة المجني عليها؟!

ضعوا أنفسكم مكان الضحايا.. أو أهليهم.. ثم أدلوا بآرائكم.. وحددوا مواقفكم. ■

(١)جريدة الأنباء (ملحق: أنباء الجريمة) - العدد ٧١٧٨

السعادة الحقيقية

* غالباً ما أحاور قريناتي في المدرسة التي نعمل فيها «معلمات» حول بعض مفاهيم الحياة فيحتدم بيننا النقاش، وتتضارب الآراء، وتختلف وجهات النظر، وفي آخر مرة أذكر أننا تناولنا في نقاشنا مفهوم (السعادة الحقيقية)، ومتى يجب أن تشعر بها الواحدة منا..؟

قالت إحداهن: السعادة الحقيقية تكمن في زوجٍ ميسور الحال، يملك رصيداً كبيراً في البنك ومنزلاً فخماً، وسيارة فارهة...

وقالت الأخرى وثمة دموع تنحدر من مآقيها: وما نفع ذلك إذا كان الزوج شحيحاً... بخيلاً... ممسكاً يده بقوة على ماله وجميع أفراد عائلته بحاجة إلى ذلك المال...

ورأي «ثالث طرحته مشاركة» ثالثة في الحوار: أرى السعادة في كثرة السفر والترحال وفي مسكن متواضع، وزوج يحترم رأيي ويقدره، ويناقشني في مختلف أمور الحياة العامة وداخل الأسرة.

ساد الصمت قليلاً في المكان... وقلت لهن: أما مفهومي للسعادة فهو:

أن السعادة ليست بكثرة المال ولا بكل ما ذُكِر... السعادة الحقيقية أشعر بها وتجتاح كياني عندما أدخل الصلاة بين يدي الله عز وجل.. خاشعةً.. أخاطبه... شاكرةً وبكل جوارحي على ما أنعم عليّ من النعم، فترفرف روحي في ملكوت الرحمة.. وترتاح نفسي أيما ارتياح، ويرسل قلبي نبضات الطمأنينة والراحة والأمان فأصل بذلك لقمة النشوة.. وأذوب في حب خالقي، فتغمرني سعادة حقيقية، لا مثيل لها.. فتهدأ نفسي.. وتقر عيني.. ويطمئن قلبي.. كيف لا والله تعالى يقول في محكم بيانه: (الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد/ ٢٨. وكذلك أشعر بسعادة حقيقية عندما ألجم لساني عن اغتياب الناس، والنطق بما هو حرام وما يسخط المولى عز وجل.. وتزداد درجات السعادة عندما أطلق لساني جريئاً في قول الحق وفي عمل الخير وذكر الناس بما هو حسن وما يرضي الله فتكون النتيجة الأخروية رضا الله وجنته وعطاءهُ غير المحدود. (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) هود/ ١٠٨ وكذلك أشعر بسعادة حقيقية عندما انتهي من واجباتي تجاه زوجي وأولادي في المنزل فأحمد الله وأثني عليه، ويتملكني فرح غريب.

وعندما أتذمر من شيء ما، ويضيق بي الحال، ويدب في أوصالي الوهن واليأس. سرعان ما استعيد رباطة جأشي فألجأ إلى كلام الله تعالى ووحيه المنزل فأرسل أشرعتي المتعبة في بحر آياته المعجزات متمثلة معانيه وتعاليمه وألقي بهمومي ومتاعبي هناك لترسو أشرعتي في مرفأ الإعجاز الإلهي... فتدب في عروقي الحياة ويتبدد من نفسي اليأس والقنوط، وتغمرني فرحة عظيمة يرتعش لها خافقي وتخلد روحي إلى راحة وسكينة لا مثيل لهما فأشعر بسعادة حقيقية منقطعة النظير واستذكر قول الله تعالى في الآية ٥٣ من سورة الزمر:

(لا تقنطوا من رحمة الله)، وقوله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الحجر: (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون). ■

ليلى عبدالرحمن السلطان

بقلم: د. زيد محمد الرماني

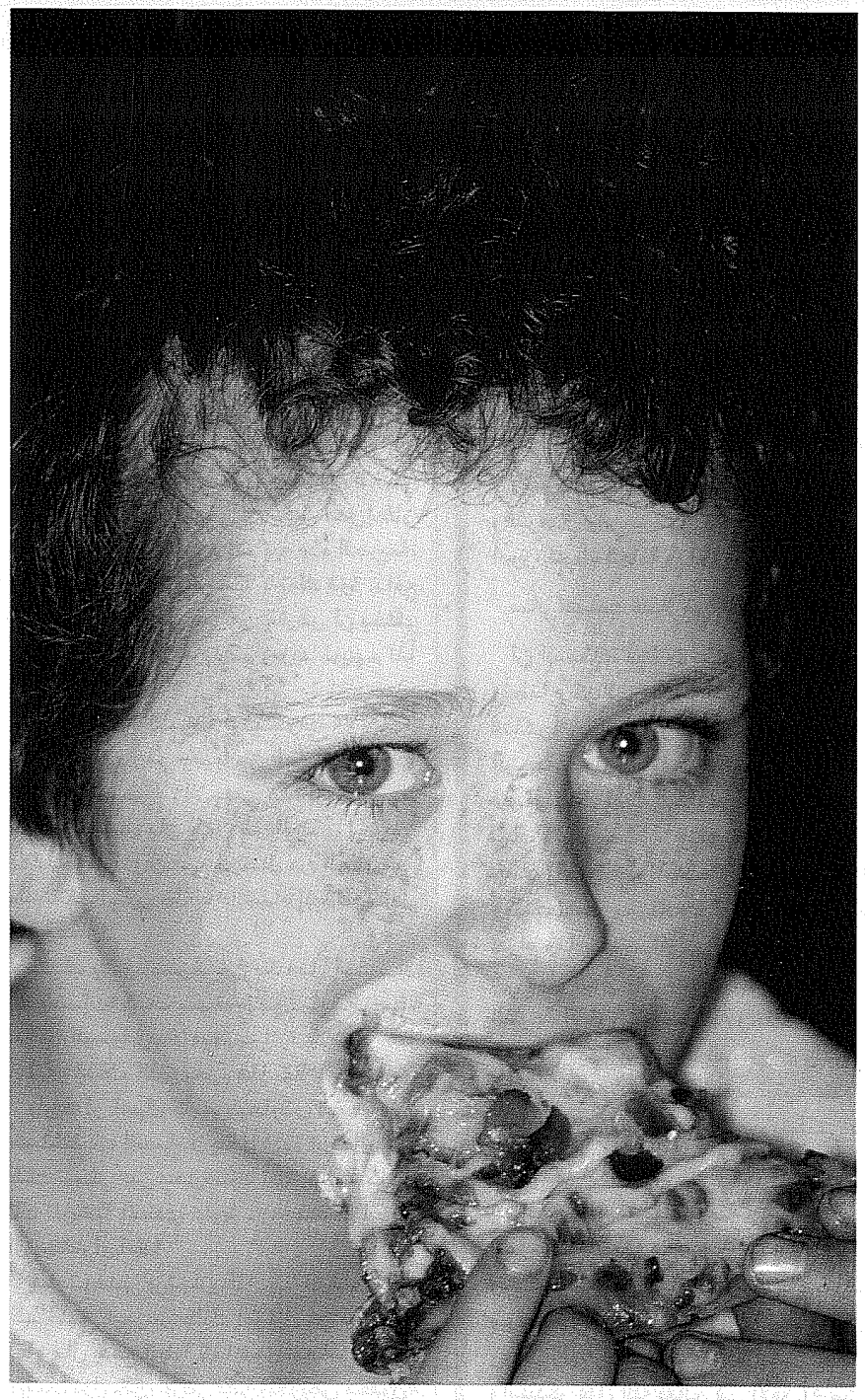

إنَّ ترشيد الاستهلاك يعتبر أهم أهداف المجتمعات عامة، فالدول تعمل جاهدة على ترشيد استهلاك مواطنيها، وتحضهم على تنظيم الاستهلاك الفردي والأسري.

ويتوقف نمط استهلاك الفرد على مدى وعيه بأهداف الدولة وسياستها الاقتصادية، كما يتوقف على نوعية المعلومات والعادات والاتجاهات المتأصلة لديه منذ الصغر، بالممارسة اليومية.

ولا شك أن التطبيع الاجتماعي للطفل له أثره في تحديد أنماط سلوكه الاستهلاكي، ولهذا كان الاهتمام بمراقبة الطفل وتوجيه سلوكه التوجيه السليم أمراً ضرورياً حتى يمكنه أن يشارك بنصيب من الجهد والعمل في تنظيم الاستهلاك.

الاستهلاك عند الأطفال

والتربية السليمة تتطلب إكساب الطفل حقائق وقيماً ومهارات واتجاهات معينة، منها الاتجاه نحو ترشيد الاستهلاك.

وحيث إن كثيراً من المعلومات والبيانات المتعلقة بترشيد الاستهلاك وتوجيه المستهلك وتكوين الاتجاهات السليمة لديه ليست فطرية وإنما هي مكتسبة. فلابد إذاً، من دراستها وممارستها وربطها بجوانب الحياة اليومية ومتطلباتها الأساسية.

إنَّ وجود القدوة السليمة وبخاصة في فترة الطفولة يساعد على سرعة التعلم وغرس العادات والقيم والاتجاهات الصحيحة نحو الاستهلاك والتركيز على المفاهيم الخاصة بترشيد الاستهلاك.

كما أن توفير الفرصة المناسبة للطفل منذ الصغر للمشاركة في عمليات الاختيار والشراء تنمّي لديه القدرة على حسن الاختيار، مع تعويده على الاقتصاد والتوفير وتقليل الفاقد في كل نواحي الحياة الاستهلاكية.

خصوصاً أن الطفل فردٌ في أسرة، مستهلك للغذاء والملابس واللعب والمصروف وممتلكات الأسرة من أجهزة وأدوات.

إنَّ تجربة الطفل الأولى مع النقود يمكن أن يكون لها أثر انفعالي، ومن الحكمة أن يدّرب الطفل في سنّ مبكرة من حياته وفي مستويات الدخل المختلفة على استعمال النقود، كما ينبغي أن يسمح للطفل أن يتصرف - في حدود - في نقوده ومن المهم، أن تكون المبالغ المعطاة للطفل مناسبة لسنه، وأن تعطى له بانتظام، فالطفل بطبيعته ميّال للجمع والادخار والتملك وحب النقود.

ويستحسن أن تتاح الفرص للطفل للتسوق لشراء الملابس والألعاب والغذاء، حتى يدرك أن السلع المختلفة لها أسعار مختلفة، وأن السلعة الواحدة قد تكون لها أسعار مختلفة.

ومن ثمَّ، يفضّل أن تنمي الأسرة لدى الأطفال عادات وسلوكيات سليمة في اختيار ملابسهم من حيث الجودة واللون والمقاس والثمن.

لقد قام علماء الاجتماع بتحليل عدد من العوامل مثل: الدّين، الموقع الجغرافي، البيئة الاجتماعية، العوامل النفسية والاقتصادية، وأشاروا إلى أن الطبقة الاجتماعية تلعب دوراً أكبر من جميع العوامل في تحديد نمط الإنفاق والتعامل بالنقود.

إنَّ نمط السلوك الاستهلاكي لدى الفرد يتأصل لديه منذ الصغر، حيث يتأثر الطفل بالكثير من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية من مثل: التقليد، والمحاكاة، والإعلانات التجارية والدخل النقدي ووسائل الإعلام المختلفة.

فلا يمكن إهمال تأثير التلفاز والإعلانات على أنماط استهلاك الأفراد، وكثيراً ما تؤثر الدعايات على أنماط الاستهلاك، وتزيد من الشراء العشوائي لدى كثير من الأفراد والهوس التسوّقي لدى النساء بخاصة.

إنَّ التعايش في هذا العالم يفرض على جميع الأفراد التعامل بالنقود. كما أن الصغير والكبير على السواء، ذكوراً وإناثاً، يؤدون دور المستهلك في لحظة ما، وكما تبيَّن - فيما سبق - يكتسب الأطفال أنماط استهلاكم من المجتمع، والأسرة والأتراب، ويتأثرون بعوامل ذاتية وبيئية كالتلفاز والإعلانات والمعارض، وما شابه ذلك.

وقد أشارت كثير من الدراسات والأبحاث إلى دور الإعلانات التلفازية في تفضيل لعبة أو منتج غذائي.

ويلاحظ أن تفضيل الطفل للإعلان ناتج عن جاذبية الإعلان نفسه، فإذا ما اعتاده الطفل يقل انتباهه له.

وأظهرت بعض الدراسات أن الإعلانات ذات تأثير ضئيل في معرفة الطفل لمعنى كلمة العلامة التجارية أو الماركة.

وأظهرت النتائج والدراسات أن التلفاز الوسيلة الأولى في الإعلان عن المأكولات الرخيصة والمحببة للطفل.

وفي ختام هذه المقالة أذكر بعض النصائح والتوجيهات من أجل توعية الطفل المستهلك وتربيته على السلوك الاستهلاكي السليم:

١ - تقديم القدوة الصالحة في مجال الأنماط الاستهلاكية الرشيدة.

٢ - ضرورة مشاركة الوالدين الطفل في عمليات الشراء.

٣ - تعويد الطفل على التوفير وتزويده بحصّالة نقود.

٤ - إعطاء الطفل مصروفاً محدداً ليتعود على التعامل مع النقود.

٥ - إسهام وسائل الإعلام والإعلان في توعية الأفراد بأهمية النقود والقيمة الشرائية والسلوك الاستهلاكي المتزن.

٦ - توجيه برامج إعلامية لتوعية الأطفال بأهمية وكيفية ترشيد استهلاكهم. ■

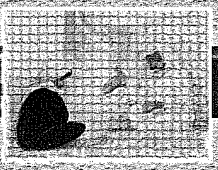

بقلم: د. إسماعيل حسن جاب الله

لحظات السعادة المفقودة

في هدوء الليل الساكن... دق جرس الباب... كانت عقارب الساعة تقترب من الساعة الرابعة قبل الفجر، حيث اجتمعت الأسرة على مائدة السحور، فتحتُ الباب لأجد أمامي ذلك الرجل الطيب الذي كلفه الجيران برعاية تلك السيد المسكينة - جارتنا - التي نُقلت قبل انطلاق مدفع الإفطار بدقائق إلى المستشفى، لقد كانت في لحظات وداعها الأخيرة للحياة،، رغم ذلك فقد عزَّ عليها أن ترحل عن الدنيا دون أن ترى ابنتها - قرَّة عينها - التي تزوجت وتركتها بين قسوة آلام ذلك المرض اللعين الذي أصابها فجأة بلا مقدمات، وقسوة مشاعر ابنها الأكبر، رغم ذلك... كانت قسوة آلام المرض أهون عليها من قسوة ابنها الأكبر، لقد كان فظاً غليظ القلب، لا... بل قد مات قلبه، فهو كالحجارة بل أشد قسوة، فإن من الحجارة لما يشقّقُ فيخرجُ منه الماء، ومنها ما يتفجر فيخرج منه الأنهار، أما ذلك الابن... فلا تدري ماذا يكون حقاً؟!

حين وجدتُ ذلك الرجل الطيب واقفاً أمامي على الباب انقبض صدري فجأة، وتوقَّعتُ سبب مجيئه في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وبينما أنا هكذا إذا به يبادرني بالكلام قائلاً: لقد ماتت (...) فتعالو لنحضرها، حين سمع أفراد الأسرة حديثه هبُّوا واقفين وخرجنا جميعاً لنحضرها من المستشفى قبل طلوع النهار، وقبل أن يزحف الروتين المعتاد بتعقيداته فلا نستطيع إخراجها بسهولة، وبسرعة تم إحضارها إلى بيتها في سكون الليل الهادئ.

ويا للعجب! لقد مرضت تلك المسكينة في شهر رمضان واكتشفت إصابتها بذلك المرض اللعين في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان الكريم، وماتت بعد ثلاث سنين وفاضت الروح إلى بارئها ليلة السابع والعشرين من الشهر ذاته، قبل الفجر بلحظات، ويالها من ليلة مباركة في شهر كله بركات! وكانت السنوات الثلاث عمر قلب يقطعه المرض - رغم أنه قد عانى كثيراً من قبل - وختاماً لحياة لم تخلُ يوماً من الحزن والألم.

ورأيت أبي يبكي بطريقة آلمتني فأشفقت عليه قائلاً: لِمَ كل هذا البكاء يا أبي؟! فأجاب بصوت تخنقه الدموع: أبكي من أجل هذه المسكينة التي لم تر يوماً ساراً في حياتها... ثم انقطع عن الكلام وتنهد بعمق ينمُّ عن حزن دفين يشوبه القلق، والأسى...

فقاطعتُ ذلك الصمت قائلاً: وكيف يا أبي؟! فقال: أنا أعرف أسرتها جيداً منذ زمن بعيد، لقد ماتت أمها وهي لا تزال طفلة صغيرة، فتزوج أبوها بأخرى وافقت على الزواج بشرط ألا تبقى هذه الطفلة بالبيت معهما، وكانت بلا إخوة ولا أخوات... وحيدة، فنُقلت إلى بيت خالتها، ترعاها إلى أن صارت زهرة يانعة، وتقدم لها أول خاطب يطلبها للزواج وكانت دون الخامسة عشرة، فقبلت به بلا تردد... لقد كانت تحلم ببيت يخصُّها وحدها، بيت هي سيدته، صاحبة الأمر والنهي فيه... ويا عجباً للأقدار! لم تكتشف تلك المسكينة حقيقة ذلك الرجل الذي قبلت به شريكاً لعمرها وحياتها، وما عليه من أخلاق سيئة وطباع وحشية حتى انقلبت حياتها إلى جحيم منذ البدايات الأولى لزواجها...! حينئذ قاطعتُ حديث أبي متعجباً: إلى جحيم! يا إلهي... وكيف ذلك؟! فقال: كان زوجها سامحه الله يثور ويغضب لصغائر الأمور، وكان يحوِّل تلك اللحظة التي يسمح فيها للغضب أن يسيطر عليه إلى ويل وعذاب، بل إلى هلاك... يقضي على كل شيء، لقد كان كثيراً ما يهينها بالضرب المبرح، بالألفاظ الجارحة، بتحطيم أثاث المنزل وكل ما تقع عليه عيناه، وهكذا حتى ينطلق الجيران مسرعين كي يحولوا بينه وبين تلك الزوجة التي ضنَّت عليها الدنيا بالقليل من لحظات السعادة التي قد يتمتع بها بعض الناس لبعض الوقت، وتحمَّلت من أجل ولدها وابنتها، واكتفت من الدنيا بأن تكون أماً حنوناً ترعى أولادها وتعوّضهم جفاء الأب وقسوته، وشب الابن الأكبر غاية في الهدوء والوقار وكان العزاء الوحيد لأمه المسكينة، إلا أن أملها الوحيد في ولدها هذا قد تلاشى تماماً أمام طغيان الأب وجبروته، لقد كان كثيراً ما يتعمد إيذاء ابنه الوحيد - وامتداده الطبيعي في الحياة من بعده - بالضرب المؤلم والإهانة أمام أصدقائه تارة... وأمام الجيران تارة أخرى، لم يكن ذلك يحدث مرة أو مرتين وكفى، بل قد ظل هذا المشهد المؤسف حقاً يتكرر دوماً على مدار ما يقرب من خمس سنوات، وإذا زاد الشيء عن حده الطبيعي... انقلب فجأة إلى ضده، وإذا بالابن تنقلب طباعه رأساً على عقب، ظل مضطهداً من قِبَل أبيه ولا يُعرف لذلك سبباً وحار الجميع لذلك الأمر - حتى صار مع الأيام صورة مكررة ونسخة مطابقة لأبيه، ثم جاء اليوم الذي تصدى الابن فيه لأبيه، وكان رد الفعل الطبيعي أمام أفعال الأب المخزية تجاه ولده، فمذا كان يرجو ذلك الأب؟! هل يزرع الشوك ثم يأمل أن يكون الحصاد ورداً... رقيقاً... ناعماً! كلا... لقد كان الحصاد مراً ومؤلماً، لقد وقف الابن لأبيه وقفة الند للند، يرد له

الصاع صاعين من الإهانات والكلمات التي يندى لها الجبين خجلاً وحياء، فما كان من الأب إلا أن طرد ولده - في نهاية الأمر - إلى الشارع، ومنعه من الحصول على أي نقود، ومرت السنون وسبحانه الذي يغيِّر ولا يتغير أبداً، لقد مات الأب، فتوسم الجيران أن يكون الابن الأكبر هذا هو المسؤول عن أمه المسكينة وأخته الوحيدة وأن يكون على قدر المسؤولية، ولكن خاب ظن الجميع ويا للأسف لقد أصبح هذا الابن - حقاً - بديلاً عن أبيه، لا في حمل المسؤولية الملقاة على عاتقه.... ولكن في سلوكياته.

لقد كانت كل تصرفاته وأحواله تجاه تلك السيدة البائسة «أمة» مخزية لدرجة لا تخطر على قلب بشر، لقد كان يضربها بعنف، ويضرب أخته الوحيدة، يقذفهما بأي شيء يقع أمام ناظريه، قضى على كل ما تبقى من حطام البيت الذي تركه أبوه الراحل شبه محطم، لم يتوقف عند هذا الحد، بل كان يكيل لأمه الكثير من الاتهامات الباطلة القاتلة، ما رأيت في حياتي أبداً ولا أظن أنني سأرى ابناً يتهم أمه في أغلى شيء في الوجود ألا وهو الشرف، وكانت تبكي، وعهدتها منذ صغري تبكي وتفوِّض أمرها إلى من بيده الأمر كله، وكان حلمها الوحيد - بعد ما رأت الويل و العذاب من ابنها هذا - هو أن تُزوِّج ابنتها وتطمئن عليها، قبل أن ترحل عن الدنيا، فهي لم تطمئن عليها أبداً مع ذلك الوحش الذي يعيش في صورة إنسان، وتزوجت ابنتها برجل فاضل اصطحبها معه إلى إحدى الدول العربية التي يعمل بها، واستراح قلب الأم المسكينة، استراح قلبها الذي لم يعرف للراحة طعماً قط، ورضيت بما تحمله الأقدار لها بعد ذلك، فها هي قد اطمأنت على ابنتها بعد زواجها، وكانت المفاجأة التي أذهلت الجميع قبلها، لقد مرضت بذلك المرض الخطير، فأدركنا أن النهاية قد اقترب موعدها، ووقف الجيران معها وقفة الأهل... لقد كانت تشعر وهي بينهم بأنها ليست وحيدة أبداً، وأن الله رزقها وعوضها بالعديد من الآباء والأمهات والإخوة والأخوات، وكان تعويض السماء لها قد بدأ يلوح في الأفق بعد طول غياب، إلا أن ذلك الابن العاق... المتجرد من كل معاني الإنسانية كان يجاهر بالشماتة لمرض أمه بين الناس، وكان دائم القول: إنها تستحق ما يحدث لها وسيحدث لها أكثر من ذلك... يا إلهي! لم أر طيلة حياتي شيئاً كهذا! حتى اللحظة التي بدأت فيها تلك المسكينة الانسحاب بهدوء من الدنيا - على الرغم من أن حياتها كانت خالية تماماً من أي لحظة هدوء - حتى تلك اللحظة كان هذا الابن يجلس بجوارها، لا يُقبِّل يديها ويطلب منها الغفران والسماح قبل الرحيل، ولكن... ليعيد نظرات الشماتة إليها قائلاً: أنت تستحقين ما يحدث لك، وستموتين إن عاجلاً أو آجلاً... وتنتهي حياتك تماماً، وأستريح منك ومن متاعبك.

يا للعجب! من الذي سيستريح ممن؟! أهو ذلك الولد العاق الذي أذاقها صنوفاً من العذاب، أم تلك الأم التي عانت وتحملت وقدمت الكثير من التضحيات دون انتظار أي مقابل... كعادة الأم دائماً، شمعة تحترق لتنير لمن حولها وتشعرهم بالدفء والأمان، ألهذا الحد كانت عبئاً ثقيلاً على نفسه وهو الذي لم يرحمها ولم يشفق عليها يوماً ما... ياللقسوة! قسوة كافية لأن تقضي على من هي في كامل صحتها وعافيتها، فكيف بمن بين يدي الموت؟!

وانصرف الابن العاق من الحجرة التي كانت ترقد فيها أمه، وكانت إحدى جاراتها تجلس بجوارها، وهي تبكي وتتألم من قسوة الابن على أمه حتى في تلك اللحظات القاسية، فالتفتت تلك المسكينة التي تودِّع الدنيا ونظرت إلى جارتها الباكية قائلة: لا تبكي يا أختاه... لا تبكي، فانهمرت الدموع من عينيَّ تلك الجارة الطيبة ثم خرجت من الحجرة لكي تذهب خلف هذا الابن وتعيده لكي يطلب من أمه العفو والسماح فأبى بإصرار أن يفعل ذلك، عادت الجارة وبصحبتها زوجها وابنها وابنتها، تلك الأسرة الطيبة التي كانت ترعى هذه الأم المسكينة حتى النهاية، ودخلوا على الأم التي أوشكت أن ترحل فوجدوها تبكي وتتمتم قائلة: سامحك الله يا ولدي... سامحك الله، ثم نظرت إليهم في صمت وتبسَّمت والدموع في عينيها كأنما تحاول أن تكلمهم قائلة: لا تبكوا، وأشفقت عليهم وهي تموت فاستجمعت روحها ليبقى وجهها حياً من أجلهم بضع دقائق، وقالت: سأغادركم مبتسمة... فعيشوا مبتسمين، ثم ذكرت الله وذكَّرتهم به وقالت: أشهد ألا إله إلا الله... وكررتها مراراً وامتلأت روحها بالكلمة التي فيها نور السموات والأرض، ونطقت من أعماق قلبها بالاسم الأعظم الذي يجعل النفس منيرة تتلألأ حتى وهي في قمة أحزانها، ثم استقبلت خالق الرحمة في كل الأشياء - لا أدري كيف نضب معين الرحمة لدى ولدها العاق هذا - وفي مثل إشارة وداع من مسافر انطلق به القطار ألقت إلى من حولها تحية من ابتسامتها وأسلمت الروح!!

يا لعجائب القدر! مشينا في جنازة تلك المسكينة التي رحلت عن الدنيا في هدوء، رغم أنها ما عاشت فيها لحظة هدوء واحدة، وحملناها إلى المكان الوحيد الذي يمكن أن تجد فيه تعويضاً عن كل ما لاقت من أهوال وعذاب، بل يمكن أن تجد فيه لحظات الهدوء ولحظات السعادة التي افتقدتها في حياتها الدنيا، وغاب ابنها عن الجنازة، فلم يكن ذلك مستغرباً، واخترقنا المدينة كلها فلما انقطع العمران وأشرفنا على المقبرة، فإذا بلوح من الرخام مكتوب عليه: (يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربِّك راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنَّتي). ■

إعداد: محمد عباس عرابي

كثير من الأطفال يتصابون منطوين على أنفسهم خجولين، يعتمدون اعتماداً كاملاً على والديهم ويلتصقون بهم، لا يعرفون كيف يواجهون الحياة منفردين، وتظهر هذه العيوب واضحة حتى يبلغ الطفل سن دخوله المدرسة، في السن التي يجب أن يتصرف فيها مستقلاً، وأن يواجه الحياة خارج البيت، والأشياء التي لم يتعودها، والمفروض عندما يصل إلى هذه السن أن يكون قد تهيأ لأن يكون مستقلاً ومستعداً لمواجهة المواقف المختلفة، دون تهيب أو تردد أو خوف، أو قلق. ولكن يحدث أن تجد الأم نفسها أمام طفل خجول، خائف متردد منطوٍ ملتصق بها، يمسك بطرف ثوبها ويعجز تماماً أن يقف موقفاً إيجابياً في حياته الجديدة.

الخجل وأسبابه:

الطفل الخجول في الواقع طفل مسكين وبائس يعاني من عدم القدرة على الأخذ والعطاء مع أقرانه في المدرسة وفي المجتمع، وبذلك يشعر بالمقارنة مع غيره من الأطفال بالضعف، ولعل أخطر الأعراض التي تزعج اختصاصي الأمراض النفسية سواء بالنسبة للأطفال أو الشبان أو الكبار هي أعراض الانزواء وأحلام اليقظة، وذلك لأن المنزوي الذي يعاني من أحلام اليقظة

الطفل الخجول... كيف نشجعه ونرعاه؟

يعيش منطوياً على نفسه يجتر وساوسه وهواجسه، وبذلك تجده حساساً، قلقاً، يعاني من عدم الثقة في النفس، ومن آلام الوحدة وتوقع الخطر، ومن الخوف من نقد غيره له.

ومما يقلل بعض الشيء من خطورة الخجل عند الأطفال أننا نجد أن أغلب الأطفال الخجولين غير المرضى إنما يظهر خجلهم وعدم قدرتهم على الأخذ والعطاء مع الأفراد الجدد الذين يقابلونهم في المجتمع، أو مع أقرانهم في المدرسة، ولكن تجدهم على درجة كبيرة من النشاط والقدرة على الأخذ والعطاء مع إخوتهم أو أقاربهم في المنزل أو الوسط العائلي، فهؤلاء في الواقع يعانون من الخجل وليس من «الانزواء المرضي»، ويمكن مساعدتهم مساعدة فعّالة للتغلب على هذا الخجل.

ولعل أهم أضرار الخجل، أن الطفل الخجول لا يندمج في الحياة مع غيره بسرعة، مما يتعذر عليه التعلم من تجاربها، وذلك لأنه يمتنع عن الاشتراك مع أقرانه في مشاريعهم ونشاطهم، بل يتسم بالجمود والخمول في وسطه المدرسي، ويتجنب الاتصال بغيره من الأقران، كما لا يرتبط بصداقات مستديمة، بل ينفر من كل من يوجّه إليه أي نقد، ولذلك يكون محدود الخبرات لدرجة قد يصبح معها عالة على نفسه وعالة على مجتمعه لبعده عن أقرانه وانطوائه على نفسه.

ومن أهم الأسباب التي تؤدي بالطفل إلى الانطواء والخجل والاعتماد على الآخرين وعدم القدرة على الإجابة على الأسئلة أو الاستعانة بالمدرسة على فهم الأشياء الغامضة ما يلي:

١ ـ قسوة الأب: فالأب الذي يسلك سلوكاً تسلطياً عدوانياً في البيت مع الزوجة والأولاد يسبب مخاوف غامضة لدى الطفل، مما يشعره بأن من واجبه أن يكون مستعداً للدفاع عن نفسه ضد العنف والعدوان والخشونة، لأن العراك المستمر بين الأب والأم يشعر الطفل بعدم الأمان، ويخيفه من العناصر العدوانية التي تكمن داخل طبيعته.

٢ ـ مخاوف الأم: حيث يتأثر الطفل بمخاوف الأم وقلقها الزائد عليه فتجعله يخشى أن يخوض التجارب الجديدة، فالأم تحب طفلها وهو أثمن ما لديها ولذلك تشعر بأن عليها أن تحميه وأن تحول دون انطلاقه، ومن الطبيعي أن تفعل كل أم ذلك، ولكن الحماية الزائدة تجعلها تشعر بأن طفلها سيتعرض للأذى في كل لحظة، ومن دون قصد تملأ نفس الطفل بأن هناك مئات من الأشياء غير المرئية التي يمتلئ بها العالم والتي تشكل خطراً عليه. إن مثل هذا الطفل يشعر بأن المكان الوحيد الذي يشعر فيه بالاطمئنان هو إلى جوار أمه، ومثل هذا الطفل يشعر بالخوف أيضاً ولا يستطيع أن يعبر الطريق بمفرده أو يستمتع بالجري أو اللعب أو السباحة في البحر، إنه يتوقع في كل لحظة أن يصاب بأذى... فيظل منطوياً بعيداً عن محاولة فعل شيء من ذلك أو ما يشبهه خوفاً من إصابته بالأذى.

٣ ـ عدم الاختلاط بالأطفال الآخرين: فأحياناً يصل خوف الأم على طفلها إلى درجة تؤدي إلى منعه من الاختلاط واللعب مع الأطفال الآخرين، خوفاً عليه من تعلّم بعض السلوك غير المرضي، أو تعلم بعض الألفاظ غير اللائقة، فيصبح طفلاً منطوياً يفضل العزلة، ويخشى الاندماج في أي لعبة مع الأطفال الآخرين، وينمو السلوك في داخله إلى أن تظهر مساوئ هذا الاتجاه حين يصبح في مرحلة يشعر فيها برغبته في الاختلاط وعدم قدرته على تنفيذ ذلك، فيصاب نتيجة لذلك بالقلق النفسي والاكتئاب وعدم الرضا عن نفسه وعن الآخرين، وهكذا يبدأ الشعور بالملل والسأم من الحياة، وأحياناً عدم الرغبة فيها كل ذلك يرجع إلى الانطواء الذي غرست جذوره في الطفولة والذي يؤدي إلى عدم الثقة بالنفس، والأنانية، وعدم القدرة على الاعتماد على النفس ومواجهة النفس.

٤ ـ التهديد المستمر للطفل: وذلك عن طريق سماعه التهديد الموجه إليه بإسراف كلما أتى أمراً لا يرضى عنه الوالدان يظنون أن التهديد يؤدي إلى النتيجة المرجوة عن طريق ما تثيره هذه الطريقة في نفس الطفل مثال «ذلك إذا فعلت كذا فلن أحبك أو أسلمك للشرطة» وما إلى ذلك من العبارات.

وبدهي أن الكبار لا يقصدون في واقع الأمر شيئاً من هذا الذي يرددونه على مسامع الطفل، ولكن الطفل لا يعرف أنهم لا يقصدون ما يقولون، ومن ثم يستجيب لهم على هذا الأساس، فتكون النتيجة أن تمتلئ نفس الطفل بالخوف والانزعاج والقلق وبالتالي يلجأ إلى الانطواء لإحساسه بعدم الأمان.

٥ ـ مركب النقص وخجل الطفل: يعاني بعض الأطفال من مشاعر النقص نتيجة نواقص جسمية أو عاهات بارزة وهذه تساعد على أن ينشأوا خجولين وميالين للعزلة، ومن هذه النواقص والعاهات البارزة ضعف البصر، وصعوبة السمع، أو الثأثأة واللجلجة في الكلام، أو الشلل الجزئي، أو السمنة المفرطة، أو قصر القامة المفرط أو ظهور البثور في الوجه، وما إلى ذلك من الظواهر الشاذة، وأحياناً يعاني الطفل من مشاعر النقص من نقص غير واقعي يتصوره في أحد أعضاء جسمه ولا يراه غيره ولا يجدي في إقناعه أي دليل أو مناقشة، كما قد يعاني بعض الأطفال من الخجل نتيجة مشاعر النقص الناتجة عن أسباب مادية كأن تكون مثلاً ملابسه رثة لفقره، أو لهزال جسمه الناتج عن سوء التغذية، أو لقلة ما بيده من مصروف يومي، أو لنقص في أدواته المدرسية وكتبه.

والشعور بالنقص شعور يعتري الفرد عندما يجد نفسه عاجزاً عن أن يحل ما يعرض له من مشكلات ويصاحبه من انفعالات الخوف والقلق والتردد وعدم القدرة على اتخاذ القرار أو التصرف في الموقف فيبدو الفرد لعدم الكفاية ضعيف الثقة بالنفس «خجولاً».

كيف نقي الطفل شعور الخجل؟

يمكننا أن نقي أطفالنا من مشاعر الخجل والانطواء على الذات والحساسية المفرطة، إذا عنينا بتوجيه الآباء والبالغين المحيطين بالأطفال سواء في الأسر أو المدارس وذلك بالحرص على تشجيع كل طفل على الثقة في نفسه، وعلى التعرف على النواحي التي يمتاز فيها عن غيره حتى تشغله هذه النواحي عن التفكير في نواح قد يكون فيها ضعيفاً، فكل طفل وكل إنسان مهما كانت استعداداته محدودة يملك ناحية أو أكثر يمكن إبرازها والفخر بها، كما يجب على الآباء والأمهات والمدرسات والمدرسين عدم مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظاً منهم سواء في الاستعداد الذهني أو الجسمي أو من حيث الوسامة أو القدرات والاستعدادات الاجتماعية لأن مثل هذه المقارنات تضعف ثقة الطفل بنفسه وتؤدي به إلى الخجل.

بل يتحتم على الآباء والمربين أن يوفروا لأبنائهم قدراً معقولاً من العطف والرعاية والمحبة وذلك بعدم نقدهم أو تعريضهم للمهانة أو الهوان خصوصاً أمام أقرانهم أو غيرهم، ذلك لأن النقد الشديد والإفراط في التوجيه يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه ويقعده عن القيام بكثير من الأعمال التي لو قام بها لضاعفت من قدرته وأكسبته ثقة في نفسه وشعوراً بالتقدير لذاته، وحمته من الوقوع فريسة لمشاعر الخجل.

ولا يقل دور المعلمين أهمية عن دور الآباء، فيجب أن يقوم المعلم ببث الثقة في نفوس التلاميذ ومعاملتهم بالمساواة دون تحيز، مع مساعدة المتخلف منهم وتشجيعه والنزول إلى مستواه لتحقيق التحصيل المطلوب.

كيف نعالج الطفل الخجول؟

لكي نعالج طفلاً خجولاً يجب أن ندرك أولا إحساس الطفل ونتبين مدى حساسيته المفرطة، وأنه في أمسّ الحاجة لأن نعيد إليه ثقته بنفسه وذلك عن طريق تصحيح فكرته عن نفسه، وعلى قبول بعض النقائص التي قد يعاني منها على أساس الواقع، وعلى أساس أن كلامنا له يزيل نقاط ضعفه، كما يجب أن ندرك أن الطفل الخجول في حاجة ماسة إلى تنمية شخصيته، وتكوين قدراته للأخذ والعطاء مع غيره، ولكي نحقق ذلك يجب أن نتبع الخطوات التالية:

- ينبغي توفير الجو الهادئ للأطفال في البيت وألا نعرضهم للمواقف التي تؤثر في نفوسهم وتشعرهم بالقلق والخوف وعدم الاطمئنان، ويتحقق ذلك بتجنب القسوة في معاملتهم والمشاحنات التي كثيراً ما تقوم بين الوالدين، لأن ذلك يجعلهم قلقين يخشون الاختلاط بالآخرين، ويفضلون الانطواء وعدم مواجهة الحياة بثقة واطمئنان.

- ينبغي على الأم إخفاء قلقها الزائد ولهفتها على طفلها، وأن تتيح له الفرصة ليعتمد على نفسه وأن يواجه بعض المواقف التي تؤذيه بهدوء وثقة، فكل إنسان لديه غريزة طبيعية يولد بها تدفعه إلى المحافظة على نفسه وتجنب المخاطر، فالطفل يستطيع أن يحافظ على نفسه أمام الخطر بغريزته الطبيعية التي تجعله يتمسك بالحياة.

- على الأم أن تتيح للطفل حياة اجتماعية مناسبة له حيث يلتقي بأبناء جيله، ويكتسب من صداقتهم له الشعور بوجوده وإنسانيته، إن ذلك يساعده على الإحساس بالسعادة والثقة والانطلاق ويقيه من الانطواء والانزواء والخوف واليأس.

- عدم دفع الطفل للقيام بأعمال تفوق قدراته، إذ إنه ليس معنى تشجيع الطفل ومحاولة بث ثقته في نفسه أن ندفعه إلى القيام بأعمال تفوق طاقته الجسمية أو قدراته العقلية أو اللفظية، بل يجب أن نتحسس الأعمال التي تشعره بأنه في مقدوره القيام بها، وندفعه إليه لنكسبه شعوراً بالأهمية والتقدير في نظر نفسه والآخرين، ومن ثم ننمي فيه شعور الانتساب إلى البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها بدلاً من الانزواء والخجل والبعد عنها... إن تكليف الطفل أو دفعه للقيام بأعمال تفوق قدراته يشعره بالعجز ويجعله يستكين وينزوي ويزداد خجلاً.

- يجب تدريب الطفل الخجول على الأخذ والعطاء وتكوين الصداقات مع أقرانه من الأطفال، وذلك بتشجيعه بكل الطرق على الاختلاط والاحتفاظ بالصداقات، ويمكننا أن ننجح في ذلك إذا عنينا بالمظهر الخارجي للطفل من حيث ملابسه وأسلوبه في الأخذ والعطاء، وساعدناه بإتاحة الفرص له للاختلاط مع أقرانه.

- التربية الاستقلالية وعدم تدليل الطفل خير وسيلة للوقاية والعلاج من الخجل، فكلما كان الطفل مدللاً معتمداً على أبويه كلما كان نضجه الانفعالي غير كامل، وكلما كان بعيداً عن الاعتماد في الأمور الصغيرة الخاصة به على غيره، فإنه ينشأ غير خجول، وتكون شخصيته متميزة.

وفي ضوء هذه الأساليب لعلاج الخجل، يمكن تخفيف حدة الخجل شيئاً فشيئاً عند الطفل الخجول، ويمكن اكتشاف مزاياه ونقط القوة في قدراته، وتنمية شخصيته في جو من الدفء العاطفي والأمن والطمأنينة. ■

المراجع:

١ - عبدالرقيب بحيري وآخرون، مشكلات الأطفال اليومية، جامعة أسيوط - كلية التربية، ١٩٩٨م.

٢ - ملاك جرجس، المشكلات النفسية للطفل وطرق علاجها، القاهرة، دار الحرية، ١٩٨٧م.

إعداد : عبدالمنعم أحمد

العالم بحاجة إلى دبلوماسية إنسانية جديدة تجعله أكثر أمناً

نشرت الهيرالدتريبيون مقالاً بقلم اثنين من وزراء خارجية الدول الغربية هما «لويد أكسوير ذي» و «نوت فوليبيك» وزيرا خارجيتي كندا والنرويج، تطرقا فيه إلى حاجة العالم في ظل الأزمات الراهنة، إلى دبلوماسية إنسانية تجعله أكثر أمناً واستقراراً يذكر المقال: إن أحد التحديات الأساسية التي نواجهها هو تحقيق عالم إنساني، وينبغي لهذا أن يكون أكثر من رؤية، إنه ضرورة أخلاقية، والحقائق في العالم المحيط بنا تتحدث عن نفسها.

نحن بحاجة إلى معالجات وأدوات جديدة، ونحن في حاجة إلى شكل جديد للدبلوماسية ينبغي أن يكون قائماً على جهود جماعية لممثلين مختلفين داخل الحكم وخارجه، وسيعتمد على قدرتنا في زيادة وعي الناس بالحاجات الأمنية الإنسانية الأساسية، وسيتطلب إجماعاً جديداً وعريضاً من أجل التصدي مباشرة للحاجات والحقوق الإنسانية التي تمسّ الحياة اليومية لملايين الناس، هذه الدبلوماسية تتجاوز العلاقات بين الدول لكي تضم أفراداً ومنظمات من مختلف قطاعات المجتمع المدني، ونحن نشهد بداية هذا الاندفاع نحو عالم إنساني من خلال النضال الناجح لحظر الألغام المضادة للأفراد وللحد من انتشار الأسلحة الصغيرة والخفيفة، وفي كلتا الحالتين يقوم المجتمع المدني بدور حاسم إضافة إلى الجهود التي تبذلها حكومات ذات اتجاه مماثل. وكان ميثاق «أوتاوا» لحظر إنتاج وتمويل واستخدام الألغام المضادة للأفراد قد فتح آفاقاً جديدة، وكانت الدبلوماسية الجديدة هي التي ألهمته وحققته، وبعد أن أصبحت بوركينا فاسو البلد الأربعين الذي يصادق على الميثاق، تكون عملية «أوتاوا» قد أعطت خلال أقل من عامين أداة قانونية دولية ملزمة ستدخل حيز التطبيق في أوائل العام المقبل، وفي هذا الخصوص يعتبر إنشاء محكمة جنايات دولية لمحاكمة الجرائم البشرية وجريمة الإبادة الجماعية وجرائم الحرب حدثاً مهماً آخر.

ففي عالم اليوم اتجاهات مثيرة للقلق ومدمرة في حد ذاتها ومصدر تهديد للنظام الدولي الذي أقيم خلال العقود القليلة الماضية، وأحد الأمثلة على ذلك الكارثة المالية التي اجتاحت آسيا وأظهرت أنه في حين أن الاندماج الاقتصادي العالمي يأتي بفوائد كثيرة، إلا أنه يولد أيضاً أنواعاً جديدة من المخاطر، والمثال الآخر هو التجارب النووية في جنوب آسيا، حيث تهدد بتقويض جهود جيل كامل لمنع انتشار الأسلحة النووية. وتطرح مثل هذه التطورات تحديات خطرة للمنظمات الدولية القائمة وللمعاهدات التي تنظم سلوك الدول، وما لم يتمتع النظام الدولي القائم على القانون بالاحترام في السنوات المقبلة، فإن المجتمع الدولي سيواجه تفككاً واضطراباً دوليين لم يشهدهما منذ الثلاثينيات.

وعلينا أن نبذل قصارى جهودنا لضمان الاحترام الكامل لجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية فضلاً عن توافر منظمات دولية هدفها ضمان احترام حقوق الإنسان في كل الظروف وكل البلدان.

إن تطوير أسلحة التدمير الشامل يشكل خطراً حقيقياً وراهناً علينا جميعاً، ولكن معظم ضحايا النزاع خلال ما يقارب عقد مضى من الزمان كانوا نتيجة حروب تقليدية، واتصفت النزاعات حديثة العهد أينما وقعت بعدد من السمات المشتركة، فقد كانت مدفوعة بخلافات عرقية أو ثقافية أو دينية، وكانت تدور معظمها بين متحاربين داخل الدول وليس بينها، وأصبح المدنيون هدفاً متعمداً، ولم تفعل المعاهدات الدولية التي تنظم التعامل بين الدول سوى القليل لحماية المدنيين. ومن الواضح أننا في حاجة إلى زيادة الجهود الرامية إلى تعزيز القانون الإنساني الدولي من أجل تحسين أمن الأفراد، وهذا هو الوقت المناسب لطرح جدول أعمال إنساني مشترك، فالصراع الدائر في جنوب آسيا وأفريقيا والبلقان والشرق الأوسط وأماكن أخرى يجعل إحراز تقدم في هذا المضمار أمراً ضرورياً للغاية، وهناك حاجة ملحّة لبذل مساع جديدة لتعزيز الاحترام العالمي لحقوق الإنسان ومراعاتها وللقانون الإنساني، وفي هذا الصدد يصبح من الضرورة بمكان التطبيق الكامل والفعال للمعاهدات الدولية القائمة. وهناك في عالم اليوم أمور كثيرة لا يمكن لدولة أن تحققها بمفردها، فنحن بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى استخدام مؤسسات التعددية التي في متناولنا، ولكننا في حاجة أيضاً إلى العمل مع البلدان ذات التوجه المماثل داخل وخارج هذه المؤسسات من أجل تجميع مواردنا وتوسيع نطاق تأثيرنا، وهذا مطلب منحته كل من النرويج وكندا أولية منذ بعض الوقت، ولكن لا ينبغي لهذه المشكلة أن تنحصر في الدول، بل علينا أن نتعاون مع المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص، وممثلين آخرين من خارج الدول. لقد أظهرت مبادرة حظر الألغام المضادة للأفراد أنه يمكن لمجموعة مناسبة من الشركاء أن يكونوا ناجحين للغاية، وانطلاقاً من تعاوننا في مضمار حظر الألغام المضادة للأفراد، وقعنا نحن وزيري خارجيتي كندا والنرويج، أخيراً «إعلان ليسون» الذي يحمل اسم الجزيرة النرويجية، التي جرت فيها المفاوضات بشأنه، ويضع الإعلان جدول أعمال مشتركاً للعام المقبل، مع اقتراحات محددة لمتابعة العمل بشأن الألغام المضادة للأفراد وتجنيد الأطفال وضحايا النزاعات من النساء والأطفال، وانتشار الأسلحة الصغيرة والخفيفة وحقوق الإنسان وعمل الأطفال ودخول محكمة الجنايات الدولية حيز التطبيق ودفع التعاون بشأن القطب الجنوبي والقضايا الشمالية. وهدفنا هو أن نعمل مع البلدان ذات التوجه المماثل، ومع شركات من المجتمع المدني للدعوة إلى احترام حقوق الإنسان والقانون الإنساني، وهذه هي الدبلوماسية الجديدة التي نرغب بتطبيقها، في عالم إنساني هو عالم آمن. ■

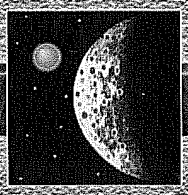

البرلمان الإسلامي في بريطانيا يطالب بإلغاء الزواج القسري بين أبناء الجالية الآسيوية

أصدر الدكتور غياث الدين صديقي رئيس البرلمان الإسلامي في بريطانيا بياناً علّق فيه على الحكم الذي أصدرته محكمة الجنايات بمدينة نوتنغهام في إنكلترا بالسجن المؤبد على أم وابنها عقب إدانتهما بقتل ابنتهما غير المتزوجة بسبب حملها نتيجة علاقة غير مشروعة.

وشدد صديقي في بيانه على ضرورة وقف تقليد الزواج القسري وسط أفراد الجالية الآسيوية المسلمة، مؤكداً أن الإكراه «على الزواج في الإسلام باطل وغير شرعي» لذا «ينبغي ألا يستغل المسلمون الدين كوسيلة لممارسة هذا التقليد المدمر» حسبما ذكر البيان. وأكد صديقي ضرورة التفاهم بين الطرفين كشرط لنجاح الزواج.

وذكر في بيانه كذلك أن الآباء والأمهات وسط أفراد الجالية الآسيوية يستخدمون تفسيرات خاطئة لـ«شرف العائلة» دونما أي اعتبار لمسائل التوافق والرضا بين طرفي الزواج، الشيء الذي يؤدي في معظم الأحيان إلى حياة زوجية بائسة.

ويعتقد صديقي أنه في ظل تجاهل المنظمات المرتبطة بالجالية الآسيوية لهذه الممارسات تصعب عملية إيجاد حل لها، لذا فهو يرى أن الوقت حان لأن تتخذ الجالية الإسلامية موقفاً جاداً تجاه هذه المشكلة بتنظيم حملة توعية، ويرى صديقي كذلك أن الأوضاع الراهنة ستقود إلى عدم استقرار العلاقات على المدى الطويل، مشيراً إلى ضرورة توفير الدعم المتخصص في مجالات الإرشاد والنصح للشباب الآسيوي والأسر على السواء.

وقال صديقي: إن هناك نحو ألفي فتاة من أبناء الجالية الآسيوية اختفين من منازلهن، خوفاً من تزويجهن قسراً من أقارب لهن في شبه القارة الهندية.

وأكد أن موافقة الطرفين في الإسلام ركن أساسي للزواج.

وقال الشيخ محمد عويس إمام المركز الإسلامي في ريجنت بارك في وسط لندن، إن حديث الرسول الكريم ﷺ واضح وصريح في أن البكر تستأذن. وهناك حادث آخر مفاده أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله: إن أبي سيزوجني بابن عم له ليرفع بي خسيسته وإني له كارهة، فقال لها «أمرك بيدك» بمعنى أن لها الحق في رفض الزواج ممن تكره أو ممن لا تحب.

وأضاف : أن الزواج هو العشرة الدائمة التي يحرص الإسلام أن يسودها الحب والرحمة فلا يعقل أبداً، أن يرغم أحد الطرفين على الاقتران بالآخر، خصوصاً إذا كان هذا الطرف هو الطرف الضعيف، وهي المرأة، لذلك نناشد باسم الإسلام ووفق تعاليم رسول الله ﷺ أن يبتعد الناس عن عادات وتقاليد ورثوها ولم يأمر بها الإسلام وأنها على العكس من ذلك أمر بالتراضي وأهم شرط كما نعلم وضعه علماء الإسلام لصحة عقد الزواج هو الإيجاب والقبول.

المؤتمر الإسلامي يؤكد مساندته لحق الكشميريين في تقرير المصير

دعا الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عزالدين العراقي كلاً من الهند وباكستان إلى ضبط النفس، كما دعا الهند إلى متابعة مبادرة السلام التي تبلورت في إعلان لاهور الذي وقعه رئيسا وزراء البلدين، وقال إن المؤتمر الإسلامي يساند الشعب الكشميري من أجل تقرير مصيره طبقاً لقرارات الأمم المتحدة والإعلانات الصادرة عن مؤتمر القمة والمؤتمرات الوزارية للمنظمة الإسلامية.

واعتبر العراقي أن الأمم المتحدة مدعوة للقيام بدور أكبر في كشمير لوضع حد لتصعيد الصراع في المنطقة وفقاً لمبادئ ميثاق المنظمة الدولية.

تمويلات جديدة للبنك الإسلامي

اعتمد مجلس المديرين التنفيذيين للبنك الإسلامي للتنمية في اجتماعات دورته الـ ١٨٥ التي عقدت في مقره في جدة أخيراً تمويلات جديدة بنحو ٢٧٠ مليون دولار لصالح عدد من الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية غير الأعضاء.

وأعلن الدكتور أحمد محمد علي رئيس البنك الذي ترأس اجتماعات الدورة الحالية أن المجلس اعتمد أكثر من ٢٠٩ ملايين دولار لتمويل ١٤ مشروعاً تنموياً لصالح ١٤ دولة عضواً وأكثر من ٩٧٠ ألف دولار في شكل منح لصالح خمس مجتمعات إسلامية في أربع دول غير أعضاء للمساهمة في تمويل مشروعاتها التعليمية والصحية والثقافية والاجتماعية.

الأمم المتحدة تحذر الدول الغنية من تجاهل الفقراء

حذر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان الدول الصناعية الرئيسة من أن تحرير الاقتصاد العالمي ينطوي على مخاطر بتهميش ثلاثة مليارات فقير ما لم يتم تحفيز النمو الاقتصادي.

كما دعا أنان في رسالة بعث بها إلى المستشار الألماني جيرهارد شرودر الذي استضاف قمة الدول الصناعية الثماني في كولونيا إلى تقديم إعفاءات ديون لأفقر دول العالم دون مزيد من الخفض في المساعدات الحكومية الرسمية.

وقال الأمين العام للمنظمة الدولية الذي لم يدع لحضور قمة الثماني منذ العام ١٩٩٦م إن الدول النامية تحتاج إلى مقعد حول المائدة عند إعداد نظام مالي عالمي جديد لمنع تكرار الأزمات المدمرة الأخيرة في شرق آسيا وروسيا والبرازيل.

وكتب أنان في رسالته «توجد مخاطر جسيمة من أن يصبح أغلبية سكان العالم على هامش اقتصاد اليوم العالمي الحر ويعيشون في فقر مدقع، وقال إن المجتمع العالمي وعد «مرات عدة»، بخفض الفقر العالمي، وأضاف: «ورغم ذلك يواصل نحو ثلاثة مليارات فقير معظمهم في الدول النامية العيش على هامش الحياة دون أمل يُذكر في حياة أفضل لأطفالهم».

ومن المقرر أن تناقش الدول الصناعية الكبرى السبع وروسيا حال الاقتصاد العالمي والأسواق المالية وأعباء الديون في القمة التي تعقد في كولونيا في الفترة من ١٨ إلى ٢٠ يونيو حزيران المقبل.

التقرير السنوي لجمعية الأعمال الخيرية في البحرين

بلغ إجمالي المساعدات والمشروعات الخيرية التي قدمتها لجنة الأعمال الخيرية في جمعية الإصلاح للأسر الفقيرة والمحتاجين والأيتام في مختلف مناطق البحرين خلال العام الماضي ١٩٩٨م مبلغاً وقدره (٢٣٦٠٨٧) ديناراً بحرينياً استفاد منه ما يقارب (٩٠٠) أسرة، كما بلغ عدد الأيتام البحرينيين المكفولين من قِبَلِ اللجنة (٢٢٩) يتيماً.

جاء ذلك في التقرير السنوي للجنة الأعمال الخيرية لعامي ١٩٩٨/٩٧م الذي صدر أخيراً.

اليابان تلغي ديونها على الدول الفقيرة

أكدت صحفية اساهي شيمبون أن اليابان ستتخلى عن مبلغ يقدر بـ٤٠٠ مليار ين (٣.٣ مليارات دولار) من الديون المستحقة على الدول الأكثر فقراً في العالم.

وأضافت الصحيفة الليبرالية أن هذا الإجراء سيطبق على معظم الدول الـ٤١ التي حددها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي باعتبار أنها تشكل الأكثر عوزاً في العالم ولن تستفيد أربع دول من هذه المبادرة وهي بورما «ميانمار».

موجز أخبار

- قام الحاج سعيد بن أحمد آل لوتاه رئيس مجلس إدارة المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بافتتاح حفل أقامته المؤسسة لمناسبة مرور خمسة عشر عاماً على تأسيسها. وهي من المؤسسات التي تسهم بشكل فاعل في عمليتي التأسيس والتعليم للطلاب من الجنسين على منهج إسلامي رصين، وبأسلوب مدروس يعتمد على تنمية مهارات المتعلمين في أهم مناحي الحياة ابتداء من سن ست سنوات وحتى سن الخامسة عشرة.
- قامت اللجنة الإسلامية المشتركة - التي شُكِّلت في تنزانيا لبحث ومتابعة شكاوى المسلمين المقدمة لرئيس جمهورية تنزانيا - بسرعة بحث هذه المطالب التي تنصب في محاور عدة أهمها: إعادة المحاكم الشرعية إلى العمل بعد ٣٨ عاماً من الانقطاع، وتعزيز دور المؤسسات الاسلامية للعمل بحرية أكبر في الساحة التنزانية، وفتح المجال أمام مشاركة أكبر في سياسة البلاد من خلال الدستور الجديد للبلاد. حيث يشكل المسلمون ٥٠٪ من عدد سكان تنزانيا البالغ عددهم ٣٠ مليوناً.
- أشارت إحصائية نُشرت في مجلة «أميغا» المتخصصة بالشؤون الدينية أن عدد المساجد والجمعيات الدينية الإسلامية قد شهد نمواً كبيراً خلال السنوات الثلاث الماضية، حيث سجل في الفترة ما بين عامي ١٩٩٦م و ١٩٩٨م إنشاء ٤٤ جمعية وهيئة إسلامية و٣٦ مسجداً، وكانت المساجد والهيئات الإسلامية التي سجلت في الفترة بين ١٩٧٠م و ١٩٩٥م ٥٥ جمعية وتسعة مساجد، مما يدل على انتشار الإسلام في إسبانيا انتشاراً كبيراً وسريعاً، بحيث يكون مجموع المساجد ٤٥ مسجداً، والهيئات والجمعيات الإسلامية ٩٩ هيئة وجمعية إسلامية.

٢٥٠ مليون لغم مضادة للأفراد في العالم !!

يصل المخزون العالمي للألغام المضادة للأفراد إلى أكثر من ٢٥٠ مليون لغم وتحتل الصين وروسيا قائمة الدول التي تملك أكبر مخزون من هذا السلاح، استناداً إلى تقرير صدر في باريس.

وأوضح التقرير السنوي الأول لرصد الحملة الدولية لحظر الألغام أن الصين في مقدم الدول التي تملك مخزوناً ١١٠ ملايين من هذا السلاح، وروسيا تملك من ٦٠ إلى ٧٠ مليوناً، كما أن روسيا البيضاء رقم غير معروف، لكنه يقدر بعشرات الملايين وأوكرانيا عشرة ملايين وإيطاليا سبعة ملايين والهند من أربعة إلى خمسة ملايين ومن المقرر أن تسلم منظمة «هانديكاب انترناسيونال» الفرنسية غير الحكومية المشاركة في هذه الحملة التقرير إلى رئيس الوزراء الفرنسي ليونيل جوسبان، كما دعا واضعو التقرير إلى ضرورة «تدمير هذه الألغام مطالبين بجهد ضخم تبذله الدول التي تملك مخزونات للقيام بعمل وقائي ضد الألغام».

ومن الدول الموقّعة على معاهدة أوتاوا ١٩٩٧م لحظر الألغام المضادة للأفراد والتي تملك أكبر مخزون أوكرانيا وإيطاليا والسويد وألبانيا واليابان وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا واليونان، وأوضح التقرير أن فرنسا وإيطاليا والسويد وبريطانيا وإسبانيا وأوكرانيا تقوم حالياً بتدمير ما لديها من ألغام.

ومن جهة أخرى، أشار المرصد إلى أن ثلاثاً على الأقل من الدول الموقعة عى معاهدة أوتاوا، وهي أنغولا وغينيا بيساو والسنغال استخدمت الألغام سنة ١٩٩٨م بعد توقيعها على المعاهدة.

وفي المقابل، لم يسجل المرصد أي إنتاج جديد للألغام في الدول الموقعة على المعاهدة وكشف أيضاً أن عدد الدول المنتجة للألغام «انخفض كثيراً» متدنياً من ٥٤ إلى ١٦ منتجاً فقط.

وفي ما يتعلق بتصدير الألغام، فإن الدول الـ٣٤ التي كانت تمارس هذه التجارة أعلنت جميعها، باستثناء العراق، وقف التصدير ولو رسيماً وكشف التقرير أيضاً أنه في ٣١ مارس ١٩٩٩م بلغ عدد الدول الموقعة على المعاهدة أو التي انضمت إليها ١٣٥ دولة من بينها ١٣ منذ مؤتمر أوتاوا، ووقعت جميع دول حلف شمال الأطلسي على المعاهدة، في ما عدا الولايات المتحدة وتركيا، كما وقعها معظم الدول الآسيوية والأفريقية، وأوضح التقرير أنه «لم يعد يوجد سوى أقل من ٥٠ دولة لم توقع بعد على المعاهدة»، من بينها ثلاث من الدول الخمس دائمة العضوية في الأمم المتحدة وهي الولايات المتحدة وروسيا والصين.

ارتفاع عدد المهاجرين اليهود الروس إلى إسرائيل

أعلن مصدر رسمي أن عدد المهاجرين اليهود من أصل روسي إلى إسرائيل ارتفع هذا العام بسبب الأزمة الاقتصادية وبسبب معاداة السامية المتنامية في روسيا.

وأفادت الوكالة اليهودية، الهيئة شبه الحكومية المكلفة شؤون الهجرة في بيان أن «معاداة السامية باتت أحد الأسباب الرئيسة التي تدفع اليهود الروس إلى الهجرة إلى إسرائيل منذ بدء الأزمة الاقتصادية في روسيا في أغسطس ١٩٩٨م.

وقالت الوكالة: إن ٧٩٣٣ يهودياً روسياً وصلوا إلى إسرائيل خلال الفصل الأول من العام ١٩٩٩م أي ١١٦ في المئة أكثر من الذين وصلوا في الفترة من العام ١٩٩٨م.

وأشارت الوكالة استناداً إلى نتائج تحقيق أجرته مع المهاجرين الجدد إلى أن ٣١ في المئة من الأشخاص الذين سئلوا قالوا إن معاداة السامية كانت السبب الرئيس لقرارهم الهجرة إلى إسرائيل. وبلغت هذه النسبة ٩ في المئة لدى المهاجرين الذين وصلوا في أغسطس ١٩٩٨م.

وشكل «القلق على مصير الأولاد» السبب الثاني الدافع إلى اختيار إسرائيل، وفق نتائج التحقيق الذي تم بين مارس ومايو ١٩٩٩م لدى ١٠٥٤ مهاجراً جاؤوا إلى إسرائيل عن طريق موسكو.

وبلغ العدد الإجمالي للمهاجرين الذين وصلوا من دول الاتحاد السوفييتي السابق خلال الأشهر الأربعة الأولى من العام ١٩٩٩م ١٦ ألفاً و ٣٨٦ مهاجراً، في مقابل ١٣ ألفاً و ٣٣٦ مهاجراً للفترة نفسها من العام ١٩٩٨م الماضي.

وتتوقع الوكالة اليهودية وصول ٦٠ ألف مهاجر يهودي إلى إسرائيل العام ١٩٩٩م قادمين من دول الاتحاد السوفييتي السابق.

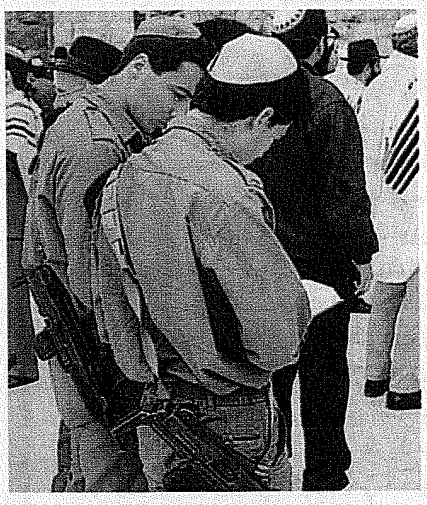

يشار إلى أن المهاجرين الناطقين بالروسية يشكلون واحداً على ستة من عدد سكان إسرائيل البالغ ستة ملايين نسمة.

شعر : منير محمد خلف

تضامناً منا مع من تشرَّدوا ... وطُوردوا عبرَ الحدود، مع أصحاب الحق الشرعي في بلادهم، التي أحالوها دماراً، تضامناً مع مسلمي كوسوفا.

أُمَّاهُ هَلْ يُرضيك مَا
عَاثُوهُ فِي هَذا المَكانْ!!
قَتَلوُ أشقَّائي بلا
ذنب أتوهُ... فلا أمانْ
سَفَكُوا الدماءَ بكل شبرٍ
مزَّقوا شرف الحسانْ
حرقوا الزروعُ مع الديا
رِ مع المساجدِ في ثوانْ
جزَّارهُمْ قاد الحروب
عنيفة.. وما استكانْ(٢)
أُمَّاه إن كُوسوفنا
صارتْ خَراباً... وامتهانْ
مِنْ بَعد أن كانتْ رموزاً
للمحبة والحنانْ
أضحتْ حريقاً هائلاً
والدور لفلفها الدخانْ
أماهُ بعد خُطا قلائل
سوف يرقُبنا الزمانْ
إنِّي حلفت بربنا
أنا لنْ أدعهمْ، في أمانْ
وقد ارتديت ملابسَ الـ
بطل المسيَّر للجنانْ
أنا لنْ أعيشَ للحظة
مادامَ يحيا «سلوبودان»(٣)

سأردّهم وأبيدهمْ
لا لنْ أكفَ عن الطعانْ
وَلَن أساومهم بصلح
لا أمان مع الجبانْ
فَلتُخْبري ولدي الصغير
بأن والده شهيدْ
هو ذا صلاح الدين يرمقـ
ـنا بلحظ من بعيدْ
يستجمع الجُند المدجـ
ـج بالسلاح وبالبرودْ(٤)
عُمَر يُناشدنا التوحـ
ـد في المعارك والصمودْ(٥)
ويشدّنا صوب الفيالق
عزمه... لا... لا يحيدْ
لِنُقدِّم الروح الزكيّة
دُونما أدنى قيودْ
وَنَهب نحو سيوفنا
نستلها ... فاليوم عيدْ
لمَّا رأيت بلادنا
ضاعتْ بمطرقةِ العنيدْ(٦)
لمَّا تشرد أهلنا
إذْ طُوردوا عبر الحدودْ

لا نبتغي من حربنا
غير انتصار... أو نموتْ
سنلف حول جسُومنا
كل القنابل والبرودْ
أجتازُ ضمن كتيبتي
تل البطولة والصمودْ
ولسوف تروي قصّتي
كُوسوفنا لمَّا نعودْ
وتعود كل مساجدي
وتعود آثار الحدودْ
وَيُقال يوماً: قُدِّمَتْ
أرواحنا.. وبلا قيودْ
ثمناً لعزّةِ ديننا
واستشهدتْ كُل الحشودْ
ولسوفَ تذكر قصّتي
كُوسوفا في الآتِي البعيدْ
ولسوف ترجع دُورنا
مَعَ طِفلةٍ تلهو بعيد
عيد انتصار عقيدتي
عيد انتصار للشهيدْ

الهوامش :

١ ـ إشارة لعمليات الاغتصاب التي مارسها الصربيون بوحشية.
٢ ـ جزارهم: إشارة لمجرم الحرب الصربي.
٣ ـ سلوبودان: مجرم الحرب الصربي المتوحش.
٤ ـ البرود: المقصود بها البارود ولكن جاءت هكذا للضرورة الشعرية.
٥ ـ عمر: المقصود به الصحابي الجليل والفارس: عمر بن الخطاب.
٦ ـ العنيد: المقصود به مجرم الحرب الصربي.

وَصِيَّة شَهِيد مِنْ كُوسُوفَا

إعداد : محمد هاني

البحث عن السلام : قرن من السلام والدبلوماسية

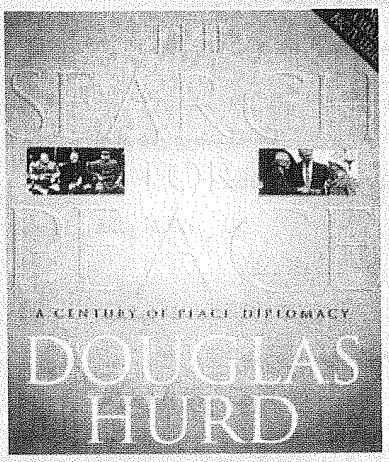

اكتسب هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي ووزير خارجية أميركا الأسبق شهرته العالمية من أطروحته للدكتوراة التي أعدها عن دبلوماسية المستشار النمساوي مينزينخ ودوره في سلام المئة العام الذي نعمت به أوروبا خلال الفترة ١٨١٥م «منذ هزيمة نابليون بونابرت» حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، هذه الأطروحة فتحت الأبواب لكيسنجر إلى مؤسسات الدولة السياسية حتى أصبح مهندس السياسة الخارجية الأميركية في حقبة السبعينات، وفي كتابه هذا البحث عن السلام.. قرن السلام والدبلوماسية يسعى مؤلفه «دوغلاس هيرد» إلى تقديم نفسه صانعاً للسلام، وصاحب رؤية شاملة لأساليب استتباب الأمن والاستقرار في العالم وبالتالي لا يقل أهميته عن كيسنجر، وقد عرف هيرد طريقه إلى دهاليز السياسة البريطانية العام ١٩٧٠م عندما عينه رئيس الوزراء «إدوارد هيث» سكرتيراً سياسياً له ثم عاد مع مارغريت تاتشر وزيراً لشؤون إيرلندا فوزيراً للداخلية، ثم وزيراً للخارجية حتى العام ١٩٩٥م مع جون ميجر عندما تقاعد وأصبح عضواً في مجلس اللوردات.

تناول هيرد بالسرد والتحليل الجهود الدبلوماسية لإقرار السلام في العام طوال قرن من الزمان معتمداً في بعضها على الوثائق التاريخية وفي أخرى على تجاربه واتصالاته خلال عمله السياسي ومقدماً في كل الحالات العمل الدبلوماسي كأداة مهمة في السلام والاستقرار، وأفرد هيرد فصلاً خاصاً للحرب في البوسنة، ربما للدفاع عن موقفه الذي قاد الدبلوماسية البريطانية في تلك الحرب، وهو الموقف الذي حظي بهجوم واسع داخل بريطانيا وخارجها.

الحوار من أجل التعايش

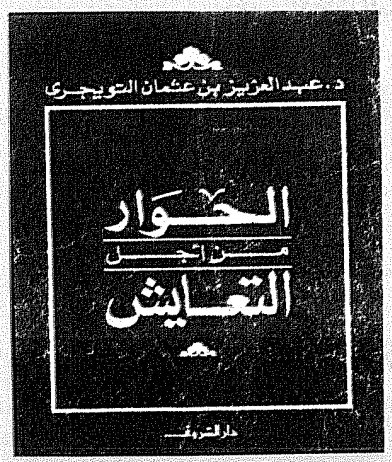

صدر أخيراً للدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري عن دار الشروق في القاهرة كتاب جديد تحت عنوان: «قضايا الحوار والتفاعل الحضاري»، وآفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، والثقافة العربية والثقافات الأخرى من التفاعل إلى الحوار والتعايش وحوار الثقافات والحضارات بين المؤثرات الثقافية والمعوقات الفكرية.

ويعرض المؤلف في رؤية علمية وبمعالجة موضوعية للعلاقة بين الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، ويتناول موضوع الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، بفكر مستنير، وبمنهج تحليلي، يقدم به مضامين تعاليم الإسلام وأسس مبادئه، ويعرضها عرضاً مستفيضاً.

ويدرس الدكتور عبدالعزيز التويجري في كتابه الجديد الذي يشتمل على تسعة فصول، موضوع الأقليات الإسلامية وحوارها الثقافي مع محيطها، ويستشرف مستقبل الوطن العربي في إطار التعاون العربي - الإسلامي، ويبحث موضوع الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية.

ويحرص المؤلف فيما كتبه عن قضايا الحوار والتعايش والتفاهم والعمل من أجل تعميق التعاون بين الشعوب والأمم وبناء المستقبل الإنساني المشرق، على تأكيد أهمية العمل الجماعي المشترك التي تتضافر فيه جهود أطراف عدة تعمل من أجل تحسين الحياة الإنسانية ودرء المخاطر عنها وتوفير الأسباب الكفيلة بضمان الأمن وكفالة الاستقرار وترسيخ أسس التعايش الثقافي والتعاون الحضاري الراقي القائم على المبادئ الإنسانية.

يقع كتاب «الحوار من أجل التعايش» في ١٦٣ صفحة من القطع الكبير.

الدين والدولة في الواقع الغربي

صدرت دراسة لموقع ودور الدين في الدولة القطرية/ للدكتور. عبدالعزيز صقر - القاهرة: دار العلم للجميع ١٩٩٥م - ٣١٦ص عن الدين والدولة، الدين والسياسة، الإسلام السياسي، التغريب العلمانية، مصطلحات ومفاهيم غطت أدبيات الساحة العربية والإسلامية منذ فترة غير قصيرة، ولا تصدر صحفية أو مجلة إلا وفيها موضوع أو أكثر يدور حول هذه المفاهيم بالشرح والتحليل والتأصيل حيناً أو بالنقد والتأييد حيناً آخر... فهل يا ترى... ما نقرؤه يدخل في دائرة الغزو الثقافي لبلادنا؟! وهل هذا الكم الهائل من الدراسات له صلة بالصحوة الإسلامية التي بدأت تظهر في كثير من بلادنا الإسلامية؟! ولماذا في الشرق... وليس في الغرب... الدين والتمسك به حرام علينا حلال عليهم... على الرغم من أن الإسلام السياسي كما يصورونه أصولية يجب القضاء عليها، نراها منغلقة في مجتمعاتهم تتحكم في توجهاتهم السياسية... ويكفي أن الجميع يعلم ما تفعله الدعايات الغربية والدعم اللامحدود لدول وشعوب اغتصبت أراضيها والتحيز الواضح ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان؟!

الكتاب الذي بين أيدينا يوضح لنا بمنهجية علمية دقيقة دور الدين في المجتمعات والحكومات الغربية ولقد لفت انتباهي ما ذكره المؤلف عن الجماعات الدينية اليهودية التي لها اليد الطولى في صنع القرار الأميركي كمثال وهي دراسة دقيقة وموثقة بالأسانيد والمراجع، يقول المؤلف «ص٢٠٨»: إن ولاء الجماعة اليهودية الأولى موجه مباشرة وصراحة إلى الدولة العبرية، وهو ولاء مقدم على الولاء سواء للمجتمعات القومية التي نزحوا منها في أوروبا، أو للمجتمع الأميركي الذي هاجروا إليه، وكذا فإن التفضيل الحزبي والسلوك الانتخابي لليهود يرتبط تماماً بالانتماء الديني، وقد عرفوا طوال تاريخ السلوك الانتخابي الأميركي بتأييدهم للحزب الديموقراطي وبالرغم من ذلك فقد شهدت الكثير من انتخابات الرئاسة انحياز اليهود للحزب الجمهوري لاعتبارات دينية بحتة كما حدث في الانتخابات التي أجريت أعوام: ١٩٠٤م، ١٩٠٨م، ١٩١٢م، ١٩٢٠م، ١٩٢٤م، ١٩٢٨م، وكما حدث في انتخابات ١٩٨٠م حين تحول بعض اليهود عن كارتر الديموقراطي إلى منافسه الجمهوري ريغان، وكما حدث في انتخابات ١٩٨٨م عندما أعطى اليهود معظم أصواتهم للمرشح الجمهوري بوش ودعموا حملته الانتخابية.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو كيف تمكنت هذه الجماعات الدينية من فرض سطوتها على القرار السياسي الأميركي؟ على الرغم من أن اليهود لا يمثلون سوى ٢ في المئة فقط من مجموع الشعب الأميركي، يليهم الجماعات الكاثوليكية التي يبلغ تعدادها ٢٧ في المئة، من مجموع الشعب الأميركي، أما الأغلبية البروتستانتية نحو ٥٩ في المئة، فتأتي في المرتبة الثالثة من حيث حجم مشاركتها في الحياة السياسية، ثم أخيراً تأتي الجماعات الإسلامية التي تحاول جاهدة منذ فترة المشاركة في صنع القرار السياسي على الرغم من الأساليب السرية التي تمارسها بعض الجماعات اليهودية ضدها ومنها التهديد والتشهير والضغوط أو التصفية الجسدية.

أما أهم عناصر الاستراتيجية التي وضعتها هذه الجماعات الدينية للسيطرة على صنع القرار الأميركي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولاً: استغلال العاطفة الدينية لدى الشعب الأميركي، وفي الوقت نفسه، الحيلولة دون ربط الدين بالدولة أو سيطرة المبادئ الأصولية.

ثانياً: استغلال التركيب المميز للمجتمع الأميركي القائم على تجمع عدد من الأقليات.

ثالثاً: استغلال الروح الرأسمالية التي تشجع على الوصول إلى مراكز التأثير.

وحتى يتضح لنا ولا نتعجب من الدور النشط الذي يلعبه اليهود في الحياة الأميركية يذكر المؤلف بعض الأدوات والوسائل التي يتبعها اليهود للوصول إلى قمة صنع القرار الأميركي وهي:

رجال الدين - وسائل الإعلام - المنظمات الصهيونية - المظاهرات - سلاح معاداة السامية - الملاحقة والتشهير - الإغراء بالمال - العنف والتصفية الجسدية، وتكفي الإشارة هنا إلى أنه يوجد في الولايات المتحدة الأميركية أكثر من ألف تجمع أو تنظيم للحاخامات اليهود، اشتركت في تقديم المساندة السياسية والمالية والعقائدية للدولة العبرية، ووسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود «لتجميل» الطابع القومي اليهودي «وتشويه» الطابع القومي العربي، والمنظمات الصهيونية وهي تنظيمات نشطة وفعّالة مثل: «لجنة الشؤون العامة اليهودية الأميركية «أيباك» والتي تعد أقوى المنظمات اليهودية في أميركا، و«رابطة الدفاع اليهودية»، والمؤتمر اليهودي الأميركي، و«اللجنة اليهودية للمتابعة»، والتي أعلنت في مارس ١٩٧٨م، أنها قد بدأت حملة منظمة للاحقة الدبلوماسيين المصريين في الولايات المتحدة، من أجل تحطيم علاقة التعاون القائمة بين القاهرة وواشنطن، ولا ننسى حملات التشهير لكل مسؤول يجرؤ على الوقوف في وجه الدعم الأميركي لإسرائيل، فالجنرال جورج براون الذي كان يشغل منصب رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة، والذي أشار في إحدى تصريحاته في ١٩٧٤/١١/١٣م إلى تغلغل النفوذ الصهيوني في أميركا وأعلن «أن خطراً بترولياً عربياً جديداً قد يدفع الأميركيين إلى اتخاذ موقف أقوى يحطم النفوذ اليهودي في هذا البلد، عاد بعد أقل من أسبوعين تحت الضغط والملاحقة اليهودية وقدّم اعتذاراً علنياً عما ورد بتصريحه عن اليهود، كما تعرض «تشارلز بيرسي» الذي كان يشغل منصب رئيس لجنة العلاقات الخارجية في

الكونغرس لحملة صهيونية عالمية العام ١٩٨٤م، وانتحار «جيمس فورستال» وزير الدفاع الأميركي السابق، عقب إصابته بانهيار عصبي بسبب ما تعرّض له من حملات التشهير من اللوبي اليهودي، وسلاح المعاداة للسامية فهو من أقوى الأسلحة التي تشهرها اليهودية ضد أي مسؤول يصرح أو يشترك ضد مصالح اليهود، فقد أشهر هذا السلاح ضد كل من جاكسون ولويس فرقان، كما أشهروه ضد «فريدريك ماك» أحد مساعدي جورج بوش في الحملة الانتخابية العام ١٩٨٨م، والذي كان يشغل منصب نائب رئيس اللجنة القومية للحزب الجمهوري، لمجرد أنه قد أعد قائمة في العام ١٩٧١م بناء على تعليمات الرئيس نيكسون بأسماء كبار موظفي وزارة العدل الأميركية من اليهود، وضد خمسة آخرين من أعضاء اللجنة الاستشارية في الحملة الانتخابية لجورج بوش والذي اتهمتهم صحيفة «جويسن ويك» بالعمل مع إحدى المنظمات المعادية لليهود، وعلى الرغم من إنكارهم الاشتراك في أي نشاطات معادية للسامية، فإن جميع المتهمين بمعاداة السامية قد أجبروا على تقديم استقالاتهم، ولم يستطع المرشح الجمهوري الذي أصبح فيما بعد رئيساً للدولة أن يدافع عنهم في مواجهة اللوبي الصهيوني.

وهكذا ففي الوقت الذي يمارس اليهود فيه نشاطهم السياسي ويؤسسون دعوتهم على الدين، فإنهم يناضلون بشراسة، وبكل الأسلحة ضد كل توظيف للدين من جانب الأطراف الأخرى حتى ولو كان الرئيس الأميركي ذاته، وحتى ولو كان ذلك من قبيل الدعاية الانتخابية، فتوظيف الدين من جانبهم يجلب لهم الدعم ويضمن لهم البقاء، أما توظيف الدين من جانب غيرهم، فيجلب عليهم العزلة والاضطهاد، ويهدد وجودهم بالفناء، ولذلك فإن اليهود الذين يعتمدون على الدين كأحد مقومات عملية تخطيط الحركة السياسية يعارضون بإصرار أي اتجاه ديني في السياسة الأميركية إذ إن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى تحجيم قوتهم.

وإذا كان ما سبق هو إلقاء الضوء على فعل الدين في المجتمع الأميركي، فهناك نماذج أخرى يحفل بها الكتاب في أغلب المجتمعات الغربية حتى الفرنسية والبريطانية والإيطالية والألمانية والإسبانية، والبلجيكية، وعلاقة الدولة بالقومية والدين في كل دولة أثبت المؤلف في نهاية بحثه أهمية التفرقة بين الدين كسلوك فردي والدين كسلوك قيادي والدين كأحد مقومات ظاهرة الصراع والتكامل السياسي... فبينما اختفى أثر الدين في بعض مراحل التطور السياسي الغربي كسلوك قيادي أو كأساس للتجانس الاجتماعي والتكامل السياسي - فقد ظل الدين دائماً أحد عناصر الاستمرار الثابت في التقاليد الغربية كمتغير أساسي في السلوك السياسي الفردي.

إن الكتاب عميق في تحليلاته، وفي معالجته للقضية ويعتبر من الأدبيات المهمة في موضوع الدين والسياسة وجدير بالقراءة والاقتناء.

(*) التايم: ١٩٨٤/٤/١١م ص٨، ١٩٨٨/٤/١٨م ص ٢٢-٢٤، نيويورك تايمز ١٩٨٤/٦/٢٦م، ص ٧ و ١٩٨٤/٦/٣٠م ص١.

البداية والنهاية لابن كثير

طرحت الشركة المتحدة للبرمجيات في القاهرة الإصدار الإلكتروني لكتاب «البداية والنهاية» الذي يعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخون في دراسة التاريخ الإسلامي، وهذا الكتاب الذي ألفه الحافظ ابن كثير الدمشقي يبدأ من تاريخ آدم عليه السلام وصولاً إلى منتصف القرن الثاني الهجري أي قبل وفاة المؤلف سنة ٧٧٤هـ.

والبرنامج يكتسب أهميته من أهمية الكتاب الذي يحتويه ومن وسائل البحث والعرض المفيدة والسهلة التي يوفرها لمستخدمه.

يحتوي البرنامج على خمسة فهارس مفيدة يستطيع المستخدم من خلالها الوصول إلى المعلومات التي يريدها بسهولة وهي: الأحداث والأعلام والأماكن والآيات، والأحاديث، ولا يحتاج الانتقال من فهرس لآخر إلا لنقرة واحدة «بالماوس» أي فأرة الكمبيوتر.

فإذا أراد المستخدم البحث عن «عمر بن الخطاب» مثلاً ينقر على فهرس الأعلام فتظهر له قائمة منزلقة بجميع الأعلام الموجودين في المجلدات الأربعة عشرة التي يتكون منها كتاب البداية والنهاية ويمكن بعد ذلك البحث عن الاسم المطلوب عن طريق ما عُرض على الشاشة أمامه أو يبحث بطباعته في خانة خاصة في أعلى القائمة، ينتقل المؤشر فوراً إلى الاسم المطلوب، فإذا نقر عليه ظهرت فوراً قائمة المجلدات التي ورد فيها اسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإذا نقر على المجلد ظهرت عناوين الفصول التي ذكر فيها، والمرحلة الأخيرة هي النقر على الفصل لعرضه في الجزء الأيسر من الشاشة.

وتوجد طريقة أخرى للبحث وهي البحث الحر ويدخل فيها المستخدم أي كلمة فيقوم البرنامج بالبحث عنها، ويعطيه إحصاء بعدد مرات ورودها وقائمة منسدلة بالفصول التي وردت فيها ولكنها هي لا تستطيع البحث عن الكلمة المركبة مثل عمر بن الخطاب أو غزوة بدر، بل تبحث فقط عن الكلمات المفردة.

إعداد : نسام أحمد

عشرات المليارات أُنفقت على إصلاح النظم الكمبيوترية للقضاء على الجرثومة الألفية في أميركا

كمبيوتر

الخوف يساور الأميركان من مشكلة الكمبيوتر لعام ٢٠٠٠ التي ستشمل كل أنواع الأجهزة الإلكترونية، فعدم قدرة هذه الأجهزة على قراءة التاريخ بصورة صحيحة مع إطلالة ذلك العام، ستعود إلى فقدان شبكاتها العاملة السيطرة على مولدات الطاقة بأنواعها مع توقف أنظمة الاتصالات والمياه عن العمل، إضافة إلى تعطل القطارات والطائرات والشاحنات البرية عن أداء مهماتها، بسبب انهيار أنظمة السلامة والمرور الخاصة بها، أما الكارثة الكبرى فستكون من نصيب عالم المال، فأسواق الأسهم وأنظمة الأوراق النقدية والأجهزة الأوتوماتيكية التي تعمل كأمين للصندوق ستصاب جميعها بالعمى مخلّفة نتائج لا تحمد عقباها.

يفترض أن يكون هذا القلق شيئاً من الماضي حسب رأي المسؤولين، فبعد عشرات المليارات المصروفة لإصلاح نظم الكومبيوتر وتحديثها توافرت الكثير من الآليات الكفيلة بمعالجة الخلل وإبعاد خطره، ويحذر الكثير من مديري مشروع العام ٢٠٠٠، من أن خوف الأميركان من الأسوأ قد يعود بمضار أكثر جدية على أنفسهم وعلى الجيران إضافة إلى الاقتصاد مما قد يسببه الكمبيوتر نفسه.

ويعلق خبراء التخطيط في أن الأضرار ستشمل مرافق مهمة، كأعمال المصارف وطرق خزن الأغذية والمحروقات، ووقوع الكثير من الحرائق الناجمة عن سوء استعمال المواقد والمولدات الجديدة، وهناك مخاطر جدية من ارتفاع أعمال العنف باستخدام الأسلحة النارية نتيجة لرواج مبيعات هذه الأسلحة بين الأفراد الذين يخشون فقدان حريتهم وخصوصيتهم المدنية.

بنية صامدة

أشاد جون كوسكينين رئيس المفوضية الرئيسية لتحولات العام ٢٠٠٠ بصمود البنية الأساسية الوطنية للولايات المتحدة بشكل واضح أمام التحديات المقبلة، لكن الأعمال والإجراءات المفرطة ستكون من أكبر المشاكل العالقة، فالتحدي الآن هو في الاستمرار في إصلاح الكمبيوتر من علته مع إجراءات وتحضيرات تكفل معالجة الاضطرابات المحتملة وتهدئة المواطنين وإزالة مخاوفهم.

وأظهرت إحصاءات أن الأميركان لا يتوقعون حدوث تغييرات جسيمة على نمط حياتهم، لكن قلة منهم يخططون لحماية أنفسهم باستثمارات كبيرة في أموالهم للتغلب على محنة الزمان، وحذر الصليب الأحمر الأميركي من خلال إرشادات عامة، إلى ضرورة توفير المواد الغذائية الكافية والسلع الضرورية بغية تحمل النتائج السلبية التي يمكن ظهورها لأيام عدة ولأسبوع واحد.

وفي لقاء حول الموضوع صادقت مفوضية مشروع العام ٢٠٠٠ للمبيعات الوطنية على توصيات الصليب الأحمر، ودعت أصحاب محلات البيع والصناعيين لدعم حملات تهدف إلى تنوير المستهلكين لخزن ما يحتاجونه تدريجياً بدلاً من الانتظار إلى الأيام الأخيرة من العام ١٩٩٩م، لكن هذه المجموعة تجنبت تحديد أنواع السلع والتجهيزات الضرورية الواجب خزنها، خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى دق ناقوس الخطر مبكراً.

كابوس مقبل

أعرب المسؤولون عن خشيتهم من احتمال انتشار الفوضى وعدم السيطرة عليها، وعندئذ لن يكون هناك رابح جراء الوضع القائم، فالتصرفات المشينة للأفراد ستحوّل الحياة إلى كابوس لا تعرف نتائجه، لذلك بدأت قطاعات مهمة كالمصارف التجاوب مع تلك المخاوف العامة منذ أشهر عدة، فأعلنت دائرة الإدخار الفيدرالية التي تجهّز كل المصارف بالسيولة النقدية عن خططها لتوفير ٥٠ مليار دولار إضافي من العملة الاحتياطية لترفع كمية العملة المتداولة إلى ٢٠٠ مليار دولار، لطمأنة العملاء على توفير مبالغ كافية لمن يرغب بالحصول على نقد إضافي قبل نهاية هذا العام، وركزت المصارف والمؤسسات الصناعية جهودها لتقديم اقتراحاتها المتنوعة حول أضرار احتفاظ الأفراد بأموالهم، لأن الأمر سيعرضهم لفقدانها بسبب الحريق أو السرقة، إضافة إلى صرفها على احتياجات غير ضرورية.

وأعلن بعض الأميركيين عن خططهم لتأكيد سلامة الأنظمة العاملة في مؤسساتهم عنها مع نهاية العام الحالي، فقد أعطى جين جيرفي مدير إدارة الملاحة الفيدرالية وعداً بالتحليق في الأجواء خلال أعياد رأس السنة لإظهار ثقته العالية بأنظمة السيطرة على الملاحة الجوية، كما أعلنت الخطوط الجوية البريطانية بأن كل مديريها سيكونون في الأجواء أيضاً في تلك الأيام.

ومع كل هذه المظاهر بالثقة، فإن الاستطلاعات تشير إلى أن نصف الدوائر الحكومية في الولايات المتحدة لم تباشر بإصلاح علة العام ٢٠٠٠ حتى الآن، مع وجود احتمال بالتخطيط لذلك فقط، كما تخلفت الدوائر الاقتصادية الصغيرة عن ذلك، وفي روسيا، فإن الشركات المتعددة الجنسيات تحاول جمع قواها خوفاً من العطل والضياع، لكن بلدان آسيا لم تعر للأمر أهمية، فمشكلة العام ٢٠٠٠ تقع ضمن اهتماماتها المتدنية.

إن اختبار الأعمال أينما كانت سواء في البيت أو في الخارج يعتبر

مسألة حاسمة في أمر تقويمها، فالتجارب أثبتت أن إصلاح أنظمة الكمبيوتر قد يصاحبها بعض الأعراض الخفية، لذلك أكد الرئيس كلينتون، عند تطرقه لمشكلة العام ٢٠٠٠ في أثناء خطابه الأخير للأمة، ضرورة الاستمرار بالعمل كأفضل وسيلة لتقليل الخسائر.

الجرثومة الألفية

سميت مشكلة العام ٢٠٠٠ بالجرثومة الألفية أو Y2K، وعلى أثرها كثرت الاستفسارات حول كيفية السيطرة على ردود الفعل الناجمة عنها، وهو أمر جلب انتباه المبرمجين في أثناء علاجهم للمشكلة.

جاءت هذه العلة نتيجة للمراسات البشرية الخاطئة لدى تصميم برامج وتقنيات المعلومات لدى اعتماد الرقمين الأخيرين عند تحديد العام، فالرقمان ٩٩ يعنينا سنة ١٩٩٩، وذلك لثبات الرقمين الأولين ١٩ طوال القرن الحالي، واتخذت هذه الإجراءات خلال الستينات لتقليل التكاليف الباهظة للذاكرة في تلك الحقبة، ولم تصدر النداءات التحذيرية إلا أخيراً بأن أعمال أجهزة الكمبيوتر وأنظمتها سترتبك العام ٢٠٠٠ لأنها ستعيد عقارب الساعة لسنة ١٩٠٠ أي إلى ذلك التاريخ، وهكذا لعبت نقاط ضعف الإنسان كالكسل والجشع وقلة الإيمان دوراً مباشراً في خلق المشكلة التي أولى المبرمجون إيجاد الوسيلة الكفيلة بإصلاح الخلل في الوقت المناسب، لكن النتائج كانت عكسية وتسببت في تكاليف باهظة وتعريض البشرية لتحديات جدية.

ورغم هذه المخاوف من المجهول، فإن أكثرية الأميركيين يعتقدون أن الانتقال إلى أماكن أخرى للهرب من خلل شبكات المدن ليست ضرورية، خصوصاً إذا عملت شبكات الكمبيوتر الوطنية بصورة مرضية، وتشير الاستفتاءات إلى أن ١٠ في المئة من المواطنين فقط سيقومون بسحب معظم مدخراتهم من البنوك، أما معهد غالوب فبين أن ١٧ في المئة سيندفعون لشراء المولدات والأفران العاملة بالوقود الخشبي.

استعدادات مبكرة

يفضل المسؤولون أن تكون استعدادات الأفراد منذ الآن بدلاً من الانتظار لأواخر أشهر العام الحالي، حيث ستكون الفوضى والإرباك شديدين، فبالإمكان تكديس الأغذية المعلّبة والسلع الضرورية مبكراً لتجنب الشد العصبي، وتأتي هذه الإرشادات السليمة عادة من مجموعات الاستعداد التي اقترحت إجراء تمرينات تطبيقية للمخاطر المحتملة على الأفراد، كانقطاع الماء والكهرباء ومحاولة التأقلم مع هذه الأوضاع.

وقد قامت بعض المنظمات ببناء روابط مع السلطات المحلية لتعضيد جهودها واستعداداتها في كيفية تعاون المدن مع بعضها بعضاً لأيام أو أسابيع أو أشهر عدة، وضمنت المعلومات في كرّاس أعدّ لذلك وتلقى هذه المجموعات عادة دعماً من السلطات الفيدرالية، رغم تخوفها من أن عمل بعض هذه الجماعات قد يكون تحذيرياً أكثر مما هو تحضيراً واستعداداً للاحتمالات المقبلة. فالناس لهم أحاسيسهم الذاتية لذلك كان القرار باطلاعهم بكل المعلومات المتوافرة لبناء الثقة والاحترام المتبادل. ■

أربعة أصناف للأمراض تهدد البشرية

تصنف منظمة الصحة الدولية الفيروسات والبكتريا حسب درجة خطورتها إلى ٤ أصناف، يشمل الأول منها العوامل البيولوجية التي يمكن التعامل معها من دون أي حماية خاصة، أما الصنف الثاني، فيشمل العوامل البيولوجية التي لا تشكل مخاطر حقيقية مثل تلك التي تسبب مرض الضنك والحصبة ومرض الفيالق، ويحتاج العاملون للتعامل مع هذا الصنف إلى ارتداء أطقم خاصة.

ويشمل الصنف الثالث من العوامل البيولوجية الخطيرة فيروسات وبكتريا تسبب أمراضاً خطيرة لا تنتقل عبر الملامسة مثل «إتش أي في» التي تعود إلى مرض الإيدز، ولدى التعامل مع هذه العوامل ينبغي مراقبة الهواء وعمليات دخول الأفراد. أما الصنف الرابع وهو مستوى P4 فإنه يشمل عوامل تقود إلى أمراض لايمكن شفاؤها حالياً تنتقل بسهولة مثل الأيبولا والتوباء القروية «وهو مرض جلدي» والجدري. ومرض الأيبولا أحد الأمراض الخطيرة وتتراوح مدة حضانته بين يومين و ٢١ يوماً ويقود إلى ظهور أعراض الحمى والتهاب البلعوم والتهاب الرئة ويقود إلى الموت في الغالب.

وكان الرئيس الفرنسي جاك شيراك قد دشّن في مدينة ليون المختبر P4 الذي سيقوم بدراسة أخطر الفيروسات وأنواع البكتيريا المنتشرة في الأرض، ويعدُّ المختبر الأحدث في العالم، والرابع من نوعه بعد مخابر الولايات المتحدة الأميركية وجنوب أفريقيا.

وتتمثل أولى مهمات المختبر المذكور في تطوير اللقاح المضاد لحمى لاسا Lassa التي تتسبب في وفاة ما بين ١٥ و ٢٠ ألف شخص سنوياً في أفريقيا الجنوبية، ودراسة فيروس أيبولا الذي أدى إلى وفاة أكثر من ألف شخص خلال عشرين سنة في أفريقيا، واللافت للانتباه أن المختبر يعطى الأولية في دراسته وفحصه لهذا الفيروس القاتل الذي يقضي على شخص كل عشرة أيام وحتى لحظة كتابة هذه السطور، وحسب جاك غريسنج مسؤول المختبر الذي تحدث لإذاعة «فرانسي انفو» الشهيرة والتي تبث دون انقطاع، فإن العلماء ما زالوا عاجزين عن معرفة الأسباب التي تقف وراء انتشار أمراض قاتلة بسبب الفيروسات المذكورة، وتكتسي أهمية المختبر P4 الفرنسي طابعاً خاصاً واستثنائياً، إذا علمنا أن من مهماته الأخرى أيضاً التصدي لعودة انتشار أمراض سبق أن تم القضاء عليها مثل السل والتيفوس نتيجة سوء استعمال المضادات الحيوية المطلوبة. ■

٧٠٪ من بحار العالم مهددة بسبب خطر الصيد الجشع

علوم

بعد اختتام العام ١٩٩٨م الذي كرّسته الأمم المتحدة «سنة عالمية للبحار والمحيطات» مؤكدة ضرورة المحافظة على مياه المحيطات وثرواتها البحرية والباطنية والسمكية، وعدم اندثارها وتلويثها، ونشرت الهيئة الألمانية الاتحادية للثروات البحرية والمائية والمحيطات، دراسة مهمة تضمنت المعلومات والأرقام التي جمعتها هيئات الملاحة البحرية الدولية خلال هذه السنة العالمية، وبخاصة تلك المتعلقة بالصيد البحري كمصدر رئيس ومهم من مصادر الثروة الغذائية لملايين من الناس.

وأشارت الدراسة إلى أن عدد الأشخاص الذين يمارسون مهنة صيد الأسماك يمارسونها كمورد أساسي للرزق في العالم يبلغ في الوقت الحاضر نحو ١٣ مليون شخص، يقومون بعملهم هذا بصورة يدوية وبوساطة شبكات صيد في المياه القريبة من السواحل، التي تعاني من مشكلة التلوث وتراجع الثروة السمكية، الأمر الذي انعكس بوضوح على تراجع عدد هؤلاء الأشخاص وسيطرة الاحتكارات الكبيرة على صيد الأسماك وتجارتها، والتحكم في مناطق معينة من العالم يشتد التنافس عليها يوماً بعد يوم.

وتشير الدراسة التي نشرت في ألمانيا أخيراً إلى الأخطار الكبيرة التي تحملها عمليات الصيد البحري التي تتجاوز الحدود المسموح بها في الاتفاقات الدولية والمعاهدات الدولية والإقليمية المتعلقة بالمحافظة على البيئة والثروات الطبيعية، مستخدمة بذلك أحدث الوسائل التقنية في هذا المضمار، من أجهزة الرادار التي تكشف مواقع الأسماك البحرية حتى أساطيل الصيد التي تصل إلى أعالي البحر وأعماقها السحيقة، وأساليب لا تتلاءم مع المحافظة على الثروة السمكية والطبيعة في هذه البحار والمحيطات.

وتضيف الدراسة التي أثارت اهتمام الأوساط العلمية والبيئية الألمانية بأن ٧٠ في المئة من البحار والمحيطات في العالم تعاني من مشكلة تجاوز حدود الصيد فيها وصيد الأسماك الصغيرة قبل نموها، مشيرة إلى أن ثلث الأسماك التي يجري صيدها في العالم وتصل إلى نحو ٩٠ مليون طن سنوياً، هي من الأسماك والكائنات الحية التي لا يستفاد منها كثروة غذائية، تلقى مرة أخرى في المياه مما يزيد من تلوثها وإضرارها للبيئة.

وقد سبق لمنظمة الزراعة الدولية «فاو» في روما، أن حذرت من نتائج المبالغة في صيد الأسماك وتدمير الثروات المائية والقضاء عليها كمصدر مهم جداً من مصادر الثروات الغذائية التي تسهم في مكافحة الجوع والفقر في العالم، مؤكدة بأن ثلثي سكان العالم يعيشون اليوم على صيد الأسماك، وبخاصة في المناطق القريبة من السواحل، وفي المدن الكبرى الواقعة فيها، إذ إن ١٦ مدينة من مجموعة ٢٣ أكبر مدن العالم تقع على سواحل البحار والمحيطات.

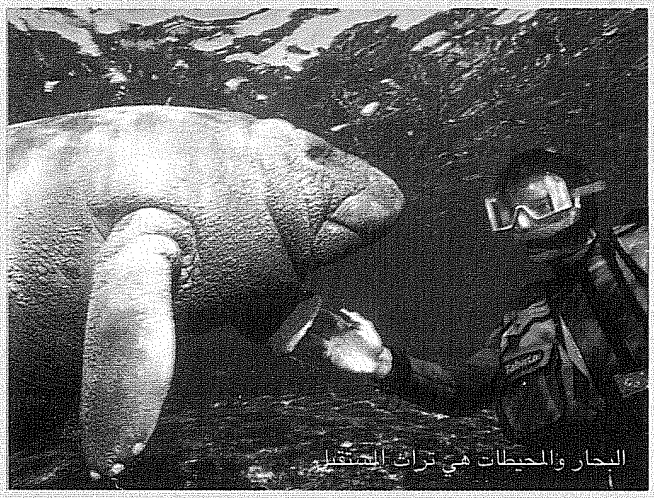
البحار والمحيطات هي تراث المستقبل

ولعل هذا ما يفسر الشعار الذي رفعه معرض لشبونة العالمي خلال العام الماضي ١٩٩٨م الذي أشار إلى أن «البحار والمحيطات هي تراث المستقبل».

وللمحافظة على هذا التراث في المستقبل، دعت هيئات العلوم والتقنية والبيئة الألمانية في إطار الحملات التي تنظمها خلال العام الحالي ١٩٩٩م بهدف المحافظة على ثروات المحيطات الحية، إلى ضرورة إعادة النظر في طرق صيد الأسماك والوسائل المستخدمة فيها، واعتماد طرق أفضل من الناحيتين العلمية والتقنية في التعامل مع هذه الثروات المهمة، وكذلك إعادة النظر في الاتفاقات الدولية والإقليمية المتعلقة بهذا الموضوع مع بداية القرن المقبل، وفي توزيع حصص الدول في صيد الأسماك المعمول بها حالياً، التي وضعت منذ عقود طويلة وفي ظل استعمار الدول الكبرى لمحيطات العالم، على حساب الدول النامية في العالم الثالث.

ولا تقتصر أهمية البحار والمحيطات على اعتباريهما مصدراً رئيساً للثروة الغذائية لمئات الملايين من الناس فقط، بل كمصدر مهم للثروات الباطنية الموجودة في أعماق البحار، وفي مقدمها النفط والغاز والغازات المعدنية والطبيعية المتوافرة بكميات هائلة لم تستثمر بعد، هذا إلى جانب أهميتها في شبكة الطرق والمواصلات البحرية التي تسهم في نقل ما يزيد على ٩٥ في المئة من السلع والبضائع إلى مختلف أنحاء العالم، وكعامل أساسي في إطار المناخ والأحوال الجوية في كرتنا الأرضية. وأخيراً، حذرت هذه الدراسة الألمانية من مشكلة ازدياد تلوث مياه البحار في العالم بسبب السفن وبقع الزيت والمواد الكيماوية والمخلّفات المنزلية اليومية الضارة، التي تتناولها الأسماك وتعود إلى الإنسان عن طريق صيد الأسماك، في إطار حلقة مفرغة خطيرة جداً. ■

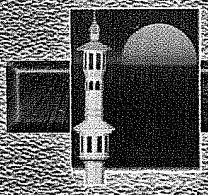

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

بناء المساجد من أموال الزكاة

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من المدعو / صلاح، ونصه:

إننا مجموعة من أبناء الكويت قمنا بتشكيل لجنة لجمع التبرعات من أجل بناء مسجد ومركز إسلامي يحتوي على صالة للمحاضرات ومكتبة كبيرة في جنوب أسبانيا «الأندلس سابقاً» وتسمى مدينة ملقا حالياً، علماً بأننا قد حصلنا على قطعة أرض بمساحة ٢٠٠٠م٢ مجاناً من تاجر أسباني ومعها ضمانات وتصريح من الحكومة الأسبانية ببناء المسجد، وبما أنه لا يوجد هناك مصلون دائمون طوال العام، فإن نشاط هذا المركز والمسجد وحيويتهما ستكون في أثناء فترة الصيف، أي في فترة وجود السياح المسلمين الكثيرين جداً هناك، وسؤالنا هو: هل يجوز أن تدفع من أموال الزكاة لمثل هذا المشروع؟ وخصوصا أن القصد منه هو جمع شتات المسلمين الذين يوجدون هناك على فترات متقطعة، وهناك أمل في المستقبل إن شاء الله أن يتحول إلى مركز إسلامي عامر بالحيوية طوال أيام السنة؟

- أجابت اللجنة:

بجواز دفع أموال الزكاة لهذا المشروع ما دام القصد منه نشر الدعوة الإسلامية في بلاد الكفر.

الدفن في المسجد

عُرض على اللجنة السؤال المقدم من الشيخ عبدالله وهو:

ما حكم الشرع في رجل بنى مسجداً وأوصى بأن يُدفن في صحن هذا المسجد بعد موته؟

- أجابت اللجنة: إن الصحن جزء من المسجد فلا يجوز الدفن فيه، أما الأرض التي حول المسجد الخارجة عنه، فلا مانع من الدفن فيها لأنها ليست من المسجد، ولكن الأولى عدمه أيضاً.

مسجد تحت دورة مياه

عرض السؤال الوارد من المركز الإسلامي في غرناطة:

وفحواه أن المركز يريد نقل مكان الصلاة إلى مكان أوسع، والمتيسر لهم شقة كبيرة يُراد إزالة جدرانها الداخلية لتكون قاعة واسعة إلاَّ أنه ينشأ من ذلك أن يكون فوقها، حمام ودورة مياه الشقة التي فوقها فهل هناك مانع شرعاً من إقامة الصلاة في مكان فوقه حمام ودورة مياه في الطابق الذي يعلوه؟

- أجابت اللجنة : إن ذلك لا يمنع من صحة الصلاة في المكان المذكور، وينبغي أن يحافظ على المسجد من أن تناله النجاسة وينزه مما يشوش على المصلين.

دفع الزكاة لإنشاء معهد طبي

تقدم إلى اللجنة المدعو ياسين عن جمعية أصدقاء مرضى الكبد - وعرض السؤال التالي:

هل يجوز صرف بعض أموال الزكاة لإنشاء معهد لأمراض الكبد - التي استشرى داؤها وكثرت ضحاياها - ولعلاج المحتاجين من المسلمين.

- أجابت اللجنة بما يلي:

من مصارف الزكاة كما ورد في القرآن الكريم «سبيل الله». وسبيل الله في الأصل كل عمل خالص يتقرب به إلى الله تعالى، والإجماع على أن الجهاد داخل في معنى «سبيل الله»، ولكن هل يمنع غيره من أنواع البر أن تدخل فيه؟

فقهاء المذاهب الأربعة لا يرون الصرف من سهم «سبيل الله» في غير الجهاد، ولكن بعض العلماء قديماً وحديثاً فسروا «سبيل الله» بما يشمل سائر المصالح والقربات وأعمال الخير والبر منهم الفخر الرازي في تفسيره، حيث قال: إن القفال نقل في تفسيره عن بعض الفقهاء، أنهم أجازوا صرف الصدقات في جميع وجوه البر، ولم يعقب الرازي على نقل القفال مما يوحي بميله إليه. ومنهم السيد صديق حسن خان في كتابه «الروضة الندية» الذي قرر أن الجهاد وإن كان أعظم الطرق إلى الله، لكن لا دليل على اختصاص هذا السهم به، بل يصح صرف ذلك في كل ما كان طريقاً إلى الله.

ومنهم الشيخ رشيد رضا في تفسيره «المنار» الذي قرر أن سبيل الله يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التي هي ملاك أمر الدين والدولة. والشيخ محمد شلتوت أيّد رأي الشيخ رشيد رضا في كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة» وأفتى بجواز صرف الزكاة لبناء المساجد والمستشفيات كما في كتابه «الفتاوى». والشيخ حسنين مخلوف أفتى بجواز دفع الزكاة لبعض الجمعيات الخيرية الإسلامية مستنداً إلى ما نقله الرازي عن القفال وغيره في معنى سبيل الله.

وعلى هذا، فإن الجهاد المعروف وإن كان هو المراد بسبيل الله في العصور الأولى، لأنه كان أهم ميدان للدعوة ورد العدوان، فإن الله قد أمر بالإعداد للجهاد بما يستطاع من القوة، ولا شك أن أسلحة العدو ضد الإسلام والمسلمين تغيّرت وتطورت فلا بدَّ من مواجهتهم بمثل أسلحتهم أو بأقوى منهم، وسلاح العلم والبر والعلاج من أقوى الأسلحة التي يجب أن نواجه بها مخطط الأعداء.

ومن هنا يجوز صرف جزء من أموال الزكاة في بناء مستشفيات لعلاج الفقراء وللدراسة العلمية لابتكار أحد الوسائل وأنجحها في مكافحة المرض، وهو بالتالي مكافحة للجهل ومكافحة للفقر أيضاً.

الوعي الإسلامي

جمعية إسلامية جامعة

al-Waei al-Islami

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

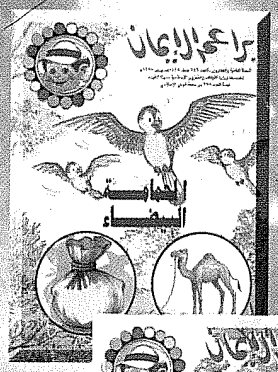

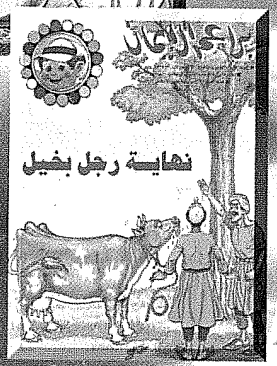

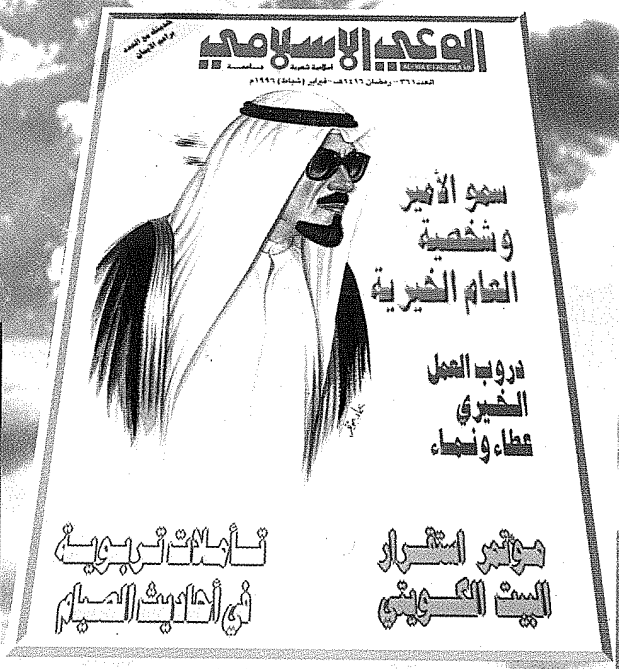

ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد .. إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث فهل من معتصم يجيب؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاط
مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥/٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت : ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر : ٥٧

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الإصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الإس
واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الك
الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الإسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية